جامعة الخليل

كلية الدراسات العليا

الهدن والمعاهدات في دولة المماليك الأولى

(648-784 هـ / 1250 -1382م)

دراسة تحليلية

إعداد :

بديع عبد القادر إبراهيم عمرو

إشراف

الدكتور شوكت رمضان حجة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ المملوكي بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الخليل

1436هـ -2015م

الهدن والمعاهدات في دولة المماليك الأولى

(648-784هـ / 1250-1282م)

Treaties and Truces in the First Mamlouk Dynasty

(648-784 H / 1250-1282 AD)

إعداد

بديع عبد القادر إبراهيم عمرو

نوقشت هذه الرسالة يوم الخميس.. بتاريخ ٢٠١٥/١/٢٩..

الموافق ٩ ربيع الآخر ١٤٣٦هـ وأجيزت .

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
1. د. شوكت رمضان حجة	مشرفاً ورئيساً	.....
2. د. خلقي خنفر	ممتحناً داخلياً	.....
3. د. عبد الرؤوف جرار	ممتحناً خارجياً	.....

المختصرات والرموز

ت: توفي

ج: جزء

د.ت : دون تاريخ

د.م : دون مكان نشر

ط : طبعة

ص: صفحة

ق: قسم

م : ميلادي

مج: مجلد

هـ : هجري

إهداء

إلى المخلصين من أبناء هذا الوطن

إلى كل من يريد أن يجعل من التاريخ عبرة خدمة للإنسانية وسعادتها

إلى زوجتي وأبنائي، وكل من بارك خطواتي نحو العلم والبناء

وأهدي هذا الإسهام المتواضع إلى كل من يرون الفجر القادمفجراً واعداً ...

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر الكبير إلى الدكتور شوكت رمضان حجة المشرف على دراستي هذه، والذي كان ناصحاً ،ومعيناً ، وميسراً لي في اختيار هذه الدراسة ، والذي قدم لي كل سبل الدعم والرعاية، وأمدني بما توفر في مكتبته من مصادر ومراجع ثمينة، وأرشدني لكل ما سهل الطريق لإخراج هذه الدراسة بالشكل الأفضل .

ولا أنسى أن أتقدم أيضاً بوافر الشكر والاحترام لأستاذي الفاضل الدكتور عبد القادر جبارين رئيس قسم التاريخ في جامعة الخليل على رعايته ودعمه لي طوال فترة الدراسة ناصحاً ومرشداً من أجل إنجاز هذه المشروع البحثي العلمي .

كما وأتوجه بالشكر لكل من مد يد العون والمساعدة سواء من حيث التدفيق اللغوي وخاصة الأستاذ محمود نصر، والزميل الأستاذ حسين مشارقة، والأستاذ الفاضل إسماعيل عمرو وغيرهم من الأصدقاء في مكتبة بلدية الخليل ومكتبة جامعة الخليل الذين كانوا على تواصل ورعاية ودعم طوال فترة الدراسة .

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
إهداء.....	ب
شكر وتقدير.....	ج
المحتويات.....	د–و
ملخص باللغة العربية.....	2-1
المقدمة.....	9-3
تمهيد.....	12-10
الفصل الأول: المعاهدات والهدن بين المماليك والفرنجة (الصليبيين)	81-13
اولا: من بداية الدولة المملوكية حتى مقتل السلطان قطز.....	16-15
الهدن بين شجرة الدر ولويس التاسع	20-16
المظفر سيف الدين قطز.....	22-21
ثانياً: المعاهدات والهدن في عهد السلطان بيبرس.....	49-23
الهدنة بين السلطان بيبرس وكونت يافا وكونت بيروت	28-25
الهدنة بين السلطان بيبرس وكونت يافا وفرسان المعبد أصحاب أرسوف.....	29-25
الهدنة بين السلطان بيبرس والفرنج في صفد	31-30
الهدنة بين السلطان بيبرس وصور	32-31
الهدنة والصلح بين والاسبتارية في حصني الأكراد والمرقب	34-32
الصلح والأمان بين السلطان بيبرس وعدد من البلاد والقلاع الفرنجية	35-34
الصلح بين السلطان بيبرس والفرنج في قلعة القرين	36-35
الصلح بين السلطان بيبرس وصاحب يافا	36
الهدنة بين السلطان بيبرس وصاحب طرابلس.....	39-37
الهدنة بين السلطان بيبرس وملكة بيروت إيزابيلا	40-39
لهدنة بين السلطان بيبرس والفرنج في قلعة لُد	41-40
الصلح بين السلطان بيبرس وأنطرطوس المرقب	42-41
الهدنة بين السلطان بيبرس والفرنج في حصن الأكراد.....	43-42
الامان والصلح بين السلطان بيبرس وحصن عكار..... ..	44-43
الهدن بين السلطان بيبرس وهيو الثالث	46-44

الهدنة بين السلطان بيبرس وعكا الفرنجية	47-46
الاتفاق والصلح بين رسل بيبرس وملك الفرنج بطرابلس	49-47
ثالثاً: المعاهدات والهدن في عهد السلطان المنصور قلاوون	71-50
الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون والفرنج في عكا	51-50
الهدنة بين المنصور قلاوون وبوهيمند السابع أمير طرابلس	52-51
الهدنة بين المنصور قلاوون والفرنج في عكا	54-52
الهدنة والصلح بين السلطان المنصور قلاوون والداوية والإسبتارية وأمير طرابلس.....	56-54
الهدنة بين المنصور قلاوون والفرنج بعكا والساحل	57-56
الهدنة بين المنصور قلاوون وصور وبيروت	58-57
الهدنة بين المنصور قلاوون والفرنج في عكا وبلدان الساحل الشامية	62-58
الهدنة بين المنصور قلاوون وحكام صور	63-62
هدن المنصور قلاوون وحصن المرقب	71-63
رابعاً: المعاهدات والهدن في عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون	79-71
الأمان بين السلطان الأشرف خليل للفرنج الإسبتار والداوية في عكا	79-71
خامساً: الهدن والمعاهدات في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون مع الفرنج.....	80-79
الفصل الثاني: الهدن والمعاهدات بين دولة المماليك والمغول	124-81
أولاً: الهدن والمعاهدات قبل عين جالوت.....	87-82
ثانياً: الهدن والمعاهدات بين السلطان بيبرس والمغول	88-87
الصلح والتحالف بين السلطان بيبرس ومغول القبجاق	90-88
الصلح والمراسلات بين السلطان بيبرس و أبغاخان ملك المغول	94-90
ثالثاً: الهدن والمعاهدات في عهد السلطان المنصور قلاوون	104-94
الصلح بين المنصور قلاوون والمغول بقيادة تكودار بن هولاكو.....	100-94
علاقة السلطان قلاوون مع أرعون خليفة تكودار	104-100
رابعاً: الهدن والمعاهدات بين السلطان الأشرف خليل بن قلاوون والمغول.....	106-104
الأشرف خليل بن قلاوون في مواجهة المغول	106-104
خامساً: هدن ومعاهدات السلطان الناصر محمد بن قلاوون مع المغول	123-106
علاقة المغول مع المماليك في فترة السلطان الناصر محمد	107-106
المراسلات وطلب الصلح بين السلطان الناصر محمد	112-107
علاقة السلطان الناصر محمد مع المغول بعد تولية السلطنة الثالثة	113-112

علاقة السلطان الناصر محمد مع خدابنده سلطان المغول ومحطات الصرع والصلح	117-113
الصلح بين السلطان الناصر محمد وأبي سعيد بهادرخان	123-117
الفصل الثالث: المعاهدات والهدن بين المماليك والقوى الخارجية والداخلية....	174-124
أولاً: الهدن والمعاهدات مع القوى الخارجية.....	162-125
مملكة أرمينيا الصغرى	138-125
الهدن والمعاهدات مع سلاجقة الروم.....	141-139
الهدن والمعاهدات مع بيزنطة	144-141
الهدن والمعاهدات المماليك مع غرب أوروبا	148-145
استنتاج	162-149
ثانيا: الهدن والمعاهدات مع القوى الداخلية(بلاد النوبة).....	173-162
استنتاج	174-173
الخاتمة.....	177-175
قائمة المصادر والمراجع.....	-180
اولا: المخطوطات.....	180
ثانيا: المصادر العربية	190-181
ثالثا: المراجع العربية.....	195-190
رابعا: المعاجم والموسوعات.....	196-195
خامسا: الرسائل الجامعية.....	196
سادسا: الدوريات.....	197
سابعا: المصادر والمراجع الفارسية.....	198-197
ثامنا: المصادر والمراجع الأجنبية المعربة.....	200-198
تاسعا: المراجع الاجنبية.....	201
الملخص باللغةالانجليزية.....	203-202

الملخص باللغة العربية :

تناولت هذه الدراسة فترة هامة وحساسة من عمر الدولة المملوكية الأولى (648-784هـ / 1250-1382م) كوريث طبيعي وشرعي للدولة الأيوبية، في ظل أوضاع صعبة ومعقدة كانت تعيشها المنطقة في ظل الوجود الصليبي، ومحاولات السيطرة على المنطقة، وتزاوج الخطرين المغولي والصليبي، وما كان لهذا الأمر من تداعيات استمرت لعقود من الزمن، استنزفت مقدرات المنطقة، لدرجة أن المنطقة شهدت ميلاد دويلات وإمارات كان لها دور مركزي في صراع المنطقة وبخلفيات متعددة.

وقد لعب المماليك دوراً بارزاً في التصدي لهذه التحديات والأخطار وتحرير المنطقة من آثار هذا الاحتلال، والحديث هنا يدور عن دور المماليك في عقد الهدن والمعاهدات مع الفرنجة والمغول كإجراء ضروري، لنظم علاقات المواجهة مع وجود هامش لأخذ ما يعرف باستراحة المحارب، وللتعرف إلى طرق وآليات تقييد حركة العدو بالشكل الدبلوماسي المشرعن، وفتح آفاق جديدة للمواجهة حتى في ظل تلك الهدن والمعاهدات بأشكالها المتعددة السياسية، والاقتصادية كأسلوب مسموح به في العلاقات الدولية قديماً وحديثاً .

وقد قسمت بحثي إلى تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، حيث بدأت الدراسة بتمهيد توضيحي لمفهوم المعاهدات ببعده اللغوي والسياسي كإجراء هام، لإيجاد سياق يتم فيه التعريف بهذه المفاهيم التي غدت جزءاً من علاقات الدول خصوماً وأصدقاء من حيث جواز وشرعية عقد تلك الهدن، ومضامين تلك المعاهدات وظروف العقد والمنع لها.

وتهدف هذه الدراسة إلى التعريف بأهم الهدن والمعاهدات التي عقدت بين الأطراف الفاعلة والمتصارعة في المنطقة في فترة الدولة المملوكية الأولى (648-784هـ / 1250-1382م) ، وتوضيح تداعيات وفوائد تلك الهدن والمعاهدات على مجريات الصراع.

هذا وقد تعرض الفصل الأول إلى الهدن والمعاهدات بين الدولة المملوكية والفرنجة (الصليبيين) ، في فترة حكم السلاطين المماليك : المظفر قطز ، الظاهر بيبرس، وأبنائه المنصور قلاوون ، الأشرف خليل ، الناصر محمد بن قلاوون .

بينما تناول الفصل الثاني المعاهدات والهدن التي عقدت قبل عين جالوت، بين المماليك والمغول كقوة فاعلة ومسيطرة في المنطقة، وذلك في فترة ما قبل معركة عين جالوت، وحتى دخول المغول في الإسلام في عهد أبي سعيد بهادرخان .

أما الفصل الثالث فقد شكل قنطرة هذا البحث من حيث إلقاؤه الضوء على الهدن والمعاهدات التي عقدت بين المماليك البحرية وبين القوى الخارجية والداخلية التي كانت جزءاً من التداعيات والصراعات في مرحلة هامة وحرجة من عمر الدولة المملوكية، أما القوى الخارجية فتمثلت في مملكة أرمينيا الصغرى، وسلاجقة الروم وبيزنطة، وغرب أوروبا، وقبرص، أما القوى الداخلية فتمثلت في بلاد النوبة.

كما تضمن هذا البحث خاتمة وقائمة للمصادر والمراجع وفهرس بأهم الموضوعات التي جاءت في البحث .

المقدمة

إن دراسة المعاهدات والهدن في عصر دولة المماليك الأولى، تعدّ بمثابة دراسة جادة لجزئية هامة من تاريخ المسلمين المماليك في بلاد الشام ومصر، كقوة لعبت دوراً هاماً ومفصلياً في تاريخ المنطقة، من حيث الصدام، والمواجهة مع أخطار متعددة، مثل: الفرنج، والمغول، وغيرهم في الفترة (648-741هـ/ 1250-1341م) .

أما سبب اختياري للموضوع فيعود للآتي:

إن موضوع الدراسة لم يبحث سابقاً، فمن خلال مطالعتي ومراجعتي للمكتبات المختلفة في الجامعات الأردنية والفلسطينية، تبين لي أن الموضوع لم يبحث في العصر المملوكي الأول على وجه التحديد.

إن اختيار هذا الموضوع، اعتمد بالأساس على الرغبة الأكيدة لدى الباحث، لتسليط الضوء على حقبة من تاريخ الأمة الإسلامية "زمن المماليك". في ظل اشتداد حالة الصراع مع الفرنج والمغول، للسيطرة على المنطقة، كاستجابة ضرورية لمحاولة التعرف إلى العلاقة التي ربطت بين الاستهداف الفرنجي والمغولي، والرد المملوكي على هذا الاستهداف. وسوف يعتمد الباحث على المنهجية العلمية والتحليلية، في قراءة تلك الحقبة التاريخية، وتأثيرها آنذاك ولاحقا على مصير المنطقة، والصراعات التي كانت تدور، والتي كان من أهم إفرازاتها انتصار دولة المماليك على تلك الأخطار، والأعداء المحدقين بها من إفرنج ومغول.

هذا وقد تم اختيار الفترة الأولى من تاريخ المماليك (المماليك البحرية) (648هـ-741هـ/ 1250م-1341م) لتكون ميدان دراستنا، اعتماداً على عدد من الدراسات والمصادر والمراجع التاريخية، التي تتناول هذه الفترة بروح تحليلية، مع العلم أن معظم الدراسات استخدمت تفاسير كثيرة، وصوراً وصفية عديدة في دراسة تاريخ المماليك. ولكن للأسف كانت تفاسير ذات سياق عام غير متخصص، وتحديداً فيما يتعلق بالمعاهدات والهدن كجزء أصيل من مكونات الفعل المتعلق بسياسة المماليك في مرحلة من المراحل، مع أن كثيرين ممن كتبوا عن تاريخ المماليك أغفلوا أهمية هذه المعاهدات والهدن، وأثرها على المحيط المتفاعل مع دولة المماليك، وأثرها في التأسيس لنظم العلاقات الدولية على قاعدة المصالح التي تفرض وجود مثل هذه

المعاهدات والهدن، كحالة مرتبطة أيضاً بموازين القوى، والتي ربما كان يشكل الاقتصاد أحد أعمدتها، وهذا ما يميز بحثنا في أسلوب المعالجة، وفي صوغ جوهر الموضوع، عن بقية ما كتب من أبحاث سابقة.

إن أهمية الدراسة تكمن في قراءة وتحليل منظومة المعاهدات والهدن بين المماليك والفرنج ، والمغول، في حقبة تاريخية هامة، كان لها أعظم الأثر في صياغة جزء من مفاهيم العلاقات الدولية والأممية.

ولعل الأهمية البالغة لهذا البحث تتمثل في قراءة وتحليل تاريخ أمة عاشت معظم فتراتها التاريخية في صراع مع قوى ومعسكرات كان همها وهدفها الأساس هو إخضاع المنطقة لسياساتها، متخذين من المبررات الدينية، والاقتصادية، منطلقا لغاياتها على قاعدة صنع العدو لتوحيد الجهود، والطاقات بهذا الاتجاه.

فكان ضرورياً تتبع الحقبة، لضخامة الأحداث، ولأهمية الدور الذي قام به المماليك، كقوة ذات فعل وتأثير في وضع حد لبقايا التدخل الإفرنج ي، والمغولي في المنطقة، ومن هنا فإن هذه الدراسة سوف تبحث عن المضمون، لدقائق المعاهدات، والهدن، على قاعدة واضحة أساسها الندية في التعامل، والتثبيت لتلك المعاهدات والهدن، وذلك عن طريق تفسير وتحليل بنود ومضامين هذه المعاهدات والهدن.

وفي هذا السياق تكمن قراءة وتحليل البعد الأخلاقي، والسياسي، والعسكري لكل الأطراف، بشكل يوضح القدرة الإعدادية على رسم معادلات جديدة. ليس فقط في زمن الحرب، لا بل في زمن السلم والهدوء، وفي ذلك وضوح تام لحالة الأمة، والقيادة، وقدرتها على صوغ الاستراتيجية المناسبة، لاستمرار الصراع، أو الوقوف به عند الحدود التي تمكن من صون الأرض، والإنسان، والكرامة.

هذا فضلاً عن اقتصار ما قدم من معلومات عن هذه الدراسة حتى الآن، على شكل متناثر وبسيط، يظهر الحاجة لمزيد من البحث، والاستقصاء، لنظم دراسة متكاملة وواضحة على منهج الدول في توظيف فترات السلم، والهدوء، والمعاهدات، لخدمة الشعوب. لعل هذه الدراسة

تشكل إضافة نوعية للدراسات السابقة التي تناولت تلك الحقبة التاريخية، وهي مساهمة متواضعة لرفد القارئ العربي ومده بمعلومات عن هذه الفترة التاريخية.

من خلال القراءة والاطلاع على عدد من الدراسات، والكتابات ذات الصلة، يتبين أن معظمها تناول موضوع (المعاهدات والهدن) في سياق سردي عام، قائم على استحضار المعاهدات والهدن، وبنودها، دون القراءة الموضوعية والتحليلية. الأمر الذي أبقاها كأحداث لا صلة لها بمسألة التأسيس لقواعد قانونية ناظمة للعلاقات الدولية حتى في وقتنا الحاضر. إلا أن كل ذلك ما كان ليقف حائلاً أمام دراسة هذا الموضوع المتعلق بالقراءة التحليلية والنقدية لتاريخ المماليك، لأن موضوع المعاهدات والهدن يستمد حيويته، وقوته، وأهميته من كونه موضوعاً مفتوحاً، لا يرتبط بزمان ومكان محدد، وتحديداً ما نشاهده راهناً في معظم المجتمعات، من استمرار الصراعات والتناقضات، التي تفضي في كثير من المواقع للجوء إلى توقيع المعاهدات والهدن كأسلوب لاستقراء الواقع، وأخذ ما يسمى (استراحة المحارب). للتقرير في التوجهات المتعلقة بالدولة، استناداً لحسابات تتعلق بشكل التحالفات والإمكانات، والتي تفرض الاستمرار في المواجهة، أو معالجتها بأشكال أخرى، لحين تبدل الظروف التي تخدم الهدف من عدمه.

الدراسات السابقة

تم البحث في هذا الموضوع من خلال عدة دراسات عامة ومن ذلك كتاب دولة بني قلاوون في مصر، للكاتب محمد جمال الدين سرور، وكذلك دراسة شخصيات بعينها من التاريخ المملوكي، كالظاهر بيبرس، لسعيد عاشور، وكتاب السلطان المنصور قلاوون للباحث محمد الحداد، وشخصيات أخرى من التاريخ المملوكي، كالسلطان الأشرف قلاوون، والسلطان الناصر محمد بن قلاوون، إضافة لكتاب يوسف غوانمة والخاص بعلاقة المماليك مع الفرنج، وما عقد من معاهدات معهم، هذا فضلاً عن خلو معظم الرسالات الجامعية التي كتبت في هذا المجال من التفصيل لتلك الهدن والمعاهدات، وهذا ما أشار إليه الكاتب أحمد احطيط في أحد مؤلفاته المدلول التاريخي للهدن والمعاهدات بين المماليك والفرنج.

منهجية الدراسة...

سيعتمد الباحث منهجية البحث التاريخي، معتمداً على المصادر والمراجع والدراسات الأساسية ذات الصلة بالموضوع، والتي سيتناولها بالقراءة والتحليل، مراعياً في ذلك التسلسل التاريخي للأحداث، ومحطات تلك الفترة قدر الإمكان بهدف الحفاظ على وحدة الموضوع وترابطه.

إن هذه الدراسة تأتي في سياق الدراسة الجادة لمحطة هامة من تاريخ المماليك وتأثيرهم في المنطقة؛ وذلك لأن صلب الموضوع الذي تتناوله هو قراءة تحليلية للمعاهدات والهدن بين المماليك وأعدائهم، من إفرنج ومغول وغيرهم، نظراً للدور التاريخي والحضاري الذي لعبه المماليك في المنطقة، وفي ظل صراعات وتناقضات مركزية، كان المماليك لاعباً أساسياً فيها. وموضوعية هذا البحث تنطبق تملاً على أسلوب المعالجة التاريخية التحليلية لحقبة زمنية ليست بالسهلة؛ لذا فان البحث مرة أخرى مختص بدراسة المعاهدات والهدن بين المماليك، والفرنجة والمغول، والقوى المحيطة الأخرى. خاصة أن تلك المعاهدات والهدن كانت دائماً تعطي زخما لتاريخ هام في المنطقة، لجهة قياس عناصر القوة والضعف لكل الأطراف. والبحث يراد له الدقة والتميز في أسلوب القراءة، والتحليل، والمعالجة.

إن هذه الدراسة ذات البعد التحليلي لتاريخ المماليك عامة، ولمفهوم المعاهدات والهدن، كجزء من فلسفة ذلك التاريخ خاصة، تدفعنا لمحاولة استنباط المعلومات، والوقائع، واستخراجها من مصادرها الأساسية، وكذلك الكتب القيمة، ذات الإشارات الهامة حول هذه الحقبة، لوضع تصور، وتحليل منطقي عن المعاهدات والهدن، في تاريخ المماليك؛ خدمة لهذه الدراسة التي سوف تسهم بالتأكيد في فهم الأسباب، والدوافع من وراء توقيع هذه المعاهدات والهدن وصياغتها وصياغة هذه المعاهدات والهدن كحالة مارستها الدولة المملوكية مع معظم القوى التي كانت تتصارع في المنطقة.

عرض وتقديم لأهم مصادر الدراسة .

هذه الدراسة اعتمدت على العديد من المصادر الأساسية التاريخية والجغرافية، إلى جانب عدد من كتب الأعلام والمعاجم، والتي جاء قسم كبير منها معاصر لفترة الدراسة، فكانت

أساس هام في دعم الدراسة بالعديد من الإشارات الهامة والضرورية، وعليه فإنني سأقوم بعرض لأهم تلك المصادر الأساسية التي اعتمد عليها البحث، والتي رتبت بشكل مختصر حسب الأهمية بالنسبة لهذه الدراسة على النحو الاتي:-

المصادر المعاصرة للدراسة.

لا يختلف اثنان على أهمية هذه الحقبة التاريخية في المواجهة الساخنة بين المماليك وأعدائهم من الفرنج والمغول، لذا فإننا وجدنا مؤلفات تسلط الضوء عليها بشكل عام، والتي يتصدرها مؤلفات محي الدين بن عبد الظاهر (ت 692هـ/1292م) وهو من المؤرخين المهمين والمعاصرين للفترة الأولى من الدراسة، مثل كتابه: "تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور"، والروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، هذه الكتب التي سلطت الضوء على حقائق ومجريات الأحداث في تلك الفترة ببعدها السياسي، والعسكري، والاجتماعي.

كما تمت الاستفادة بشكل واضح من مؤلفات المؤرخ "بيبرس المنصوري" الأمير ركن الدين الدواداري (ت725هـ/1324م) وخاصة مؤلفه "زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة" و "التحفة الملوكية في الدولة التركية" و "مختار الأخبار".

وكذلك كتاب "المختصر في أخبار البشر" للمؤرخ أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت732هـ/1331م). حيث كان هذا الكاتب مؤرخاً رافق العديد من الحملات وجولات الصراع بين المماليك، والفرنج، والأرمن، ومغول فارس.

كذلك كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للمؤلف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت733هـ/1332م) ، الذي كان معاصراً لفترة الدراسة، ذكر الكثير عن حياة ودور سلاطين الدولة المملوكية في المواجهة مع أعدائهم والأحداث التي مرت بها دمشق والشام فضلاً عن انفراده بذكر الكثير من الأحداث التفصيلية التي تمت الاستفادة منها في هذه الدراسة.

وتكمن أهمية مؤلفات هذا المؤرخ أنه كان معاصراً لبعض سلاطين المماليك، وكان نائباً على الكرك في فترة السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، واشترك معه في فتوحاته العسكرية ضد الفرنج والمغول، واستطاع أن يصف المعارك وصفا دقيقاً ، مما جعل من المادة التي أرخها نوافذ مهمة للإطلال على ذلك التاريخ بشكل تفصيلي.

كتاب "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" و "التعريف بالمصطلح الحديث" لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن فضل الله العمري (ت749هـ/1349م)، حيث يعد هذا المؤلف من أشهر الكتب العلمية التاريخية الموسوعية، وقد عمل شهاب الدين في ديوان الإنشاء مع والده محي الدين لما كان الأخير كاتب السر بدمشق، في أيام سلطنة الناصر محمد بن قلاوون في المرة "الثالثة"، ولما انتقل والده إلى كتابة السر بمصر انتقل معه وصار هو الذي يقرأ البريد على الملك الناصر، وينفذ المهمات، وقد استمر في ذلك طوال مدة عمل والده حتى عام (738هـ/1337م) نيابة عنه بسبب كبر سنه.

المصادر القريبة من فترة الدراسة

تم الاعتماد على العديد من المصادر والمؤلفات القريبة من الفترة الدراسية والتي أفادت في تدعيم الدراسة بالنصوص الهامة والمعطيات الدقيقة عن واقع تلك الفترة ومن أهمها:

مؤلفات أبي العباس شهاب الدين بن عبد الله القلقشندي (ت821هـ/1418م)، وأبرزها كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"، إذ يعد هذا المصدر من الكتب الموسوعية القريبة من فترة الدراسة، ويبدو أنه اعتمد في مؤلفه على كتاب "المسالك والممالك" لإبن فضل الله العمري، وذلك في نقل بعض المعلومات خاصة وإن كتاب صبح الأعشى أفاد البحث وتحديداً في المراسلات التي جرت بين مغول فارس والمماليك، وإلى جانب إظهاره للتحولات التي طرأت على العلاقات بينهما، فكان كتاباً شاملاً لا بد لأي باحث في العصر المملوكي من الرجوع إليه، ولا أبالغ إذا قلت أن كتب القلقشندي قد أفادت كثيراً في معظم فصول الدراسة، وخاصة التعريف بكثير من المفاهيم والمصطلحات المملوكية. وهناك العديد من المصادر الأخرى التي أفادت بحثي والتي يمكن الإشارة إلى بعضها، ككتاب العبر لابن خلدون، وتاريخ ابن الفرات، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، والجوهر الثمين لابن دقماق، وبدائع الزهور لابن إياس.

مؤلفات تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت840هـ/1442م) وأبرزها كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك"، وكتاب "المقفى الكبير". ويعد المقريزي من أبرز مؤرخي مصر في العصر المملوكي، وقد ساعده في ذلك أنه كان قد تولى عدة مناصب سياسية هامة، كتوليته ديوان

الإنشاء بالقلعة، ويعد كتابه السلوك من أغنى المصادر المملوكية بالمعلومات، والأحداث التاريخية، وكان أكثرها تفصيلاً وشمولية بالنسبة للأوضاع السياسية والعسكرية، وأثرها على الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية في فترة الدراسة.

كتاب "عقد الجمان في أخبار أهل الزمان" لبدر الدين محمود العيني (ت855هـ/1451م) وقد تمثلت الاستفادة من هذا المصدر، من خلال ملاحظتنا أن العيني قد اعتمد في تأليفه لكتابه على المصادر الفارسية التي أفادت بحثي وتحديداً في الفصل الثاني، حيث الأحداث التاريخية الهامة بسياق فارسي مغولي.

مؤلفات جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت874هـ/1469م)، ومن أبرزها كتاب "النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة" وكتاب "المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي" ويلاحظ أن تغري بردي قد اعتمد اعتماداً كبيراً في النقل عن كتاب السلوك للمقريزي فيما يخص فترة الدراسة.

وكذلك تمت الاستفادة من بعض المصادر الفارسية المعاصرة لفترة الدراسة وخاصة تلك التي اهتمت بتاريخ المغول مثل:

كتاب "جامع التواريخ" لمؤلفه رشيد الدين فضل الله الهمذاني (ت717هـ/1317م) والمشتمل على تاريخ نشأة المغول منذ بداية عهدهم وحتى نهاية عهد غازان، وقد عاصر فترة الاجتياح المغولي لدمشق، وغيره من المصادر، إضافة إلى العديد من المراجع التي أفادتني في هذه الدراسة ككتاب الحركة الصليبية للباحث سعيد عاشور، ودولة بني قلاوون لمحمد جمال سرور، وتاريخ الحروب الصليبية للباحث الغربي ستيفن رانسيمان، فضلاً عن العديد من المعاجم والموسوعات التي وضحنا من خلالها معظم مصطلحات الدراسة، إلى جانب عدد من المخطوطات والمجلات التي أفادت في بعض محطات هذه الدراسة.

تمهيد

المفهوم السياسي للهدن والمعاهدات

أمام تعدد مفاهيم العهود والاتفاقات والهدن نرى أنه من الأهمية بمكان تضمين بحثنا هذا لهذه المضامين، فابن منظور يقول[1]: "إن العهد هو كل ما عوهد الله عليه وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد"، وقال: إن المعاهدة في اللغة مأخوذة من العهد والعهد كلمة لها عدة معانٍ فتأتي بمعنى "الوصية" [2]. وهناك من اتجه من الفقهاء المحدثين إلى القول إن المعاهدة وسيلة لتنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم وقت السلم والحرب[3] وعرفت المعاهدة على أنها المعاهدة والصلح على ترك القتال، يقال توادع الفريقان أي تعاهدوا على أن لا يغزو كل منهما الآخر[4].

والمعاهدة لغة هي أصل معنى العهد وترجع إلى الاحتفاظ بالشيء فالمعاهدة والهدنة إذاً شيئ واحد حيث قال الخطيب الشربيني تحت باب الهدنة بأنها تسمى: "الموادعة، والمعاهدة، والمسالمة، والمهادنة".[5]

أما حول العهد في الاصطلاح...فهو على ما قاله الجرجاني في تعريفاته "حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، ثم استعمل في الموثق الذي يلزم مراعاته وهو المراد" وتعريف الهدنة في الاصطلاح يلتقي مع تعريف المعاهدة أيضا ففي المغني لابن قدامة يقول :" إن الهدنة تعني أن يعقد لأهل الحرب عقداً على ترك القتال مدة بعوض أو بغير عوض، وتسمى مهادنة ،موادعة، ومعاهدة"[6].

ومن خلال ما سبق من تعريفات أرى أن التعريف الأكثر قرباً إلى الصحيح هو الذي يجمع بين الهدنة والمعاهدة، على اعتبار أنها عقد بين المسلمين وغيرهم على إيقاف حالة الحرب

---

[1] ابن منظور :جمال الدين محمد ، **لسان العرب**، مادة : (عهد).

[2]: **لسان العرب**،مادة "عهد " ؛ الفيروز ابادي: **القاموس المحيط**، مادة (عهد)

[3] شكري، محمد عزيز، **الوجيز في القانون الدولي العام مقارنا بأحكام الفقه الإسلامي**، 174.

[4] الكاساني، أبو بكر بن مسعود، **بدائع الصنائع**،7/ 108.

[5] الخطيب، الشربيني، **مغني المحتاج**، 86/6

[6] ابن قدامة، موفق الدين عبد الله، **المغني**، 517/10 ؛ الجرجاني: علي بن محمد ، التعريفات ، 165.

مدة معلومة أو مطلقا بمقابل أو بدون مقابل ما دام في ذلك مصلحة للمسلمين. ولهذا يلاحظ أن القلقشندي يذكر بأن" المهادنة، والمعاهدة، والمسالمة، والمصالح، والمقاضاة، والمعاقدة هي ألفاظ بمعنى واحد"[1].

ولعل من الأهمية بمكان في هذا السياق أن نشير إلى نوعين من المعاهدات التي فرضتها جملة من التحديات والظروف في الماضي والحاضر وهي المعاهدات المشروعة التي تهدف إلى وضع قواعد قانونية "عامة مجردة"، والمعاهدات التعاقدية التي تتضمن التزامات متبادلة بين أطراف المعاهدة، ويستشف من أن المعاهدات التي عقدها المسلمون كانت تقع في إطار المعاهدات التعاقدية التي أسهمت لاحقاً في التأسيس في المعاهدات المشروعة، التي وضعت أهم القواعد القانونية العامة في القانون الدولي، إلى جانب ضرورة التمييز بين المعاهدات الثنائية التي تعقد بين طرفين، والمعاهدات المتعددة الأطراف[2].

أما فيما يتعلق بالمضمون السياسي للهدن والمعاهدات فإن القانون الدولي يؤكد أن الهدنة أو المعاهدة هي اتفاق أطرافه دولتان أو أكثر أو غيرها من أشخاص والقانون الدولي يهدف لتنظيم العلاقات الدولية، ويتضمن حقوقاً والتزامات تقع على عاتق أطرافه، ويعرف علماء القانون الدولي المعاهدة على أنها اتفاق مكتوب بين شخصين أو أكثر، ومن شأن هذا الاتفاق أن ينشئ حقوقاً والتزامات متبادلة في ظل القانون الدولي [3].

ويطلق لفظ "معاهدة" في معناها الخاص على الاتفاقات الدولية ذات الصبغة السياسية كاتفاقيات الصداقة والتحالف، وتنقضي المعاهدات بانقضاء الأجل المحدد لها أو باتفاق أطرافها كما أن إخلال طرف فيها بالتزاماته يخول الطرف الآخر إلغاء المعاهدة، وقد تنقض المعاهدة بأسباب أخرى منها تبدل الظروف التي عقدت فيها .[4]

---

[1] القلقشندي: عبد الله: **صبح الأعشى**، 4/14.

[2] عدنان: السيد حسين :**العلاقات الدولية في الإسلام**، 235

[3] النداف، محمد زكريا: **الأخلاق السياسية للدولة الإسلامية في القرآن والسنة** ،508.

[4] الكيالي، عبد الوهاب : **موسوعة السياسة** 6 /235-236.

والصفتان الرئيسيتان اللتان تميزان الهدنة هما أن الهدنة اتفاق سياسي رغم أن توقيعه يكون غالباً من القادة العسكريين، وذلك نظراً للأهمية السياسية، والأمر الآخر هو أن الهدنة لا تعد إنهاء لحالة الحرب، بل تقتصر على توقيف العمليات الحربية بصورة دائمة أو مؤقتة .[1]

[1] الكيالي، عبد الوهاب : **موسوعة السياسة** 7/ 89.

الفصـــــــل الأول

الهدن والمعاهدات بين المماليك والفرنجة(الصليبيين)

أولا: منذ بداية الدولة المملوكية حتى مقتل السلطان قطز

- الهدنة بين شجر الدر ولويس التاسع
- المظفر سيف الدين قلاوون

ثانياً: في عهد السلطان الظاهر بيبرس (658 – 678 هـ / 1260 – 1279 م)

- الهدنة بين السلطان بيبرس وكونت يافا وكونت بيروت (659 هـ / 1261 م)
- الهدنة بين السلطان بيبرس وكونت يافا وفرسان المعبد أصحاب أرسوف (661 / 1263م)
- الصلح والأمان بين السلطان بيبرس والفرنج في صفد (664 هـ /1266م)
- الهدنة بين السلطان بيبرس وصور (665 هـ / 1267 م)
- الهدنة والصلح بين السلطان بيبرس والإستبارية في حصني الأكراد والمرقب (665هـ /1267م)
- الصلح والأمان بين السلطان بيبرس وعدد من البلاد والقلاع الفرنجية (666 هـ / 1268م)
- الصلح بين السلطات بيبرس والفرنج في قلعة القُرين(666 هـ / 1268 م)
- الصلح بين السلطان بيبرس وصاحب يافا (666 هـ / 1268 م)
- الهدنة بين السلطان بيبرس، وصاحب طرابلس (669 هـ / 1271 م)
- الهدنة بين السلطان بيبرس وملكة بيروت (667هـ / 1269 م)
- الهدنة بين السلطان بيبرس والفرنج على قلعة لدُ (669- 1271 م)
- الصلح بين السلطان وأنطرطوس والمرقب:
- الهدنة بين السلطان بيبرس والفرنج في حصن الأكراد (669 هـ / 1271 م)
- الأمان والصلح بين السلطان بيبرس وحصن عكار (669 هـ / 1271 م)
- الهدنة بين السلطان بيبرس وهيو الثالث: (669 هـ / 1271 م)
- الهدنة بين السلطان بيبرس وعكا الفرنجية (670 هـ / 1272 م)
- الاتفاق والصلح بين رسل بيبرس وملك الفرنج بطرابلس: (673 هـ / 1275 م)

ثالثاً: المعاهدات والهدن في عهد السلطان المنصور قلاوون(678-689هـ/1279-1290م)

- **الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون والفرنج في عكا (680هـ/1281م).**
- **الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون – وبوهميند السابع أمير طرابلس(680هـ/1281م)**
- **الهدنة بين المنصور قلاوون والفرنج في عكا (679هـ / 1280م).**
- **الصلح والأمان بين السلطان المنصور قلاوون وحصن المرقب (680هـ/1281م) .**
- **الهدنة والصلح بين السلطان المنصور قلاوون، والداوية، والإستبارية ، وأمير طرابلس 680هـ/1281 م**
- **الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون والفرنج بعكا والساحل (681هـ/1282م).**
- **الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون، وصور، وبيروت (682هـ/1283م).**
- **الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون والفرنج في عكا وبلاد الساحل الشامية (682هـ/1283م).**
- **الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون وحكام صور (684 هـ /1285م)**
- **هدن السلطان المنصور قلاوون وحصن المرقب في العام (684هـ/1285م) .**

رابعاً: الهدن والمعاهدات في عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون(689-693هـ/1290-1293م).

- **الأمان بين السلطان الأشرف خليل بن قلاوون للفرنج الإسبتار، والداوية في عكا (690هـ/1291م).**
- **خامساً: الهدن والمعاهدات في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون مع الفرنج(693-741هـ/1293-1340م).**
- **أمان السلطان الناصر محمد لإفرنج جزيرة أرواد.**

أولا: منذ بداية الدولة المملوكية(648-658هـ/1250-1260م) حتى مقتل قطز:

واجه المماليك في مستهل حياتهم السياسية خطرين كبيرين، كان لهما أثر واضح في تطور حياتهم وسيرتهم السياسية كقوة فاعلة في المنطقة، وهما الإمارات الصليبية على الساحل الشامي، والمغول كقوة داهمة، فإذا كانت عين جالوت قد أوقفت الزحف المغولي نحو مصر بحماسة بالغة، كان عليهم مواجهة (الفرنجة) وإفرازاتهم المادية في المنطقة الحماسة نفسها مع ضرورة أخذ أوجه الاختلاف والتشابه بين الخطرين بعين الاعتبار في معادلة المواجهة التي كانت تدور على أشدها في المنطقة، والتقاء مصالح هذين الخطرين وأهدافهما لهدف مشترك، وهو السيطرة على بلاد الشام [1]

وبعد مقتل تورانشاه ومجيء شجر الدر إلى سدة الحكم كان العمل السياسي الأول هو عقد معاهدة خروج الفرنجة من الديار المصرية، وبغض النظر عن ضعف شخصية تورانشاه أو قوته إلا أن بنود هذه المعاهدة قد اكتملت، ونفذت على أكمل وجه، ويبدو أن ارتباط تنفيذها لم يكن متعلقاً بالشخصية المذكورة، وإنما تعود إلى جوانب متباينة كثيرة، فمن ذلك تصميم المماليك على بروزهم في الدور السياسي، وضعف فرنجة الشام بحيث لم يكن لديهم قوة فاعلة تعطى أصلا إلى لويس التاسع(Louse XI)، هذا إلى جانب انغلاق للأفق من هذه اللحظة في إيجاد حملة مشتركة مع الخطر المغولي القادم. [2]

---

[1] . ابن الأثير:ابو الحسن علي، **الكامل في التاريخ**، 9/ 330؛ طقوش: محمد سهيل، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام 116-117.

[2] .ابن تغرى بردى: يوسف ، **النجوم الزاهرة**، 6/ 371 ؛ العريني: السيد الباز، **الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، 152 ؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 33.

وفضلاً عما ذكر من تداعيات، فإن أهل مصر والملوك الأيوبيين في الشام لم يكن من السهل عليهم أن يتقبلوا حكم المماليك ، ولهذا قرروا أن يولوا شجر الدر (أم خليل) السلطنة، فنصبوها حكم مصر في 3 صفر / 7شباط من عام (648هـ / 1250 م)، كما عينوا المملوكي عز الدين أيبك (الجاشنكير) الصالحي المعروف (بالتركماني)[1] من أمراء البحرية نائباً لها، ويبدو أن تعيينه لم يأت لكونه أقوى الأمراء المماليك، وإنما لتجنب حلول (أقطاي) في هذا المنصب، وخشية الأمراء من سطوته وقوته. [2]

وبعد تسلم شجر الدر أخذت على نفسها زمام المبادرة في مباشرة إدارة المراسلات لاحقاً بين المماليك والفرنج رغبة في إنهاء هذا الملف.

- **الهدنة بين شجر الدر ولويس التاسع (648 هـ / 1250 م)**

رغم تعقيدات الحالة في السلطنة إلا أن شجر الدر كان من أولوياتها أن قامت بدراسة الموقف من الفرنجة وتقدير الحال[3]، ففاوضت لويس التاسع(Louse IX)، واتفقت معه على الرحيل عن مصر، وتسليم دمياط، وذلك يوم الأحد 4 صفر/ 8 شباط عام (648 هـ /1250م) وذلك في سياق المعاهدة التي كان من أبرز بنودها: "ينسحب لويس التاسع (Louse IX) والفرنجة من دمياط وتسلم للمصريين، يطلق الفرنجة جميع أسرى المسلمين، ويتعهد لويس التاسع بأن لا يعود لمهاجمة سواحل الشام مرة أخرى، ويدفع الفرنجة مبلغ (ثمانمائة ألف دينار فدية عن الفرنجة، وعوضاً عما تكلفه في دمياط)، ومقابل ذلك يتعهد المسلمون برعاية الجرحى من أسرى (الفرنجة)، وأن يحافظوا على بعض معداتهم التي سيضطرون لإبقائها بمصر إلى أن يتمكنوا من نقلها، وأن يسلم المسلمون رؤوس الفرنجة المعلقة حول أسوار القاهرة منذ موقعة

---

[1] . المعز عز الدين أيبك، (648 -655 هـ /1250 – 1257 م) هو المعز عز الدين أيبك، الجاشنكير التركماني، الصالحي، النجمي، توفي بالقاهرة عام 1257م، أول سلاطين الدولة المملوكية، نصب سلطاناً على مصر في عام 1250 م بعد أن تزوجته وتنازلت له عن العرش شجر الدر سلطانة مصر، وأرملة السلطان الأيوبي الصالح أيوب، وبقي سلطاناً على مصر إلى أن اغتيل بقلعة الجبل في عام 1257م ، كان من أصل تركماني اسم أيبك يتكون من مقطعين بالتركية أي وتعني قمر وبك، وبك وتعني أمير : المقريزي: أحمد، **السلوك**، 463/1.

[2] العبادي، أحمد مختار، **قيام دولة المماليك الأولى في مصر**، 16- 22.

[3] ابن إياس: محمد ، **بدائع الزهور**، 1/ ق1/ 286 .

غزة ويتعهد الملك الفرنسي بدفع نصف المبلغ المتفق عليه فوراً وقبل إطلاق سراحه، ويدفع النصف الآخر بعد مغادرته مصر،، ووصوله إلى عكا، وقد حددت مدة الاتفاقية بعشر سنوات". (1)

إن قراءة دقيقة لهذه الهدنة تظهر لنا أنها جاءت مضطربة، ولم تكسب المماليك شيئاً جوهرياً على صعيد تحول جذري في رؤية الفرنجة لمسألة الغزو والحملات، وضرورة مراجعة سلوكهم في المنطقة، وخاصة فيما يتعلق بامتلاك مراكز، وقلاع، وحصون تشكل تهديداً مباشراً على المسلمين، وهذا يطرح سؤالاً مهماً، هل كان هدف المماليك فقط طرد لويس التاسع من مصر وإطلاق يده في استباحة بلاد الشام؟ المعطيات التي أعقبت هذا الإفراج عن ملك فرنسا تشير إلى أنه قبيل فشل الحملة كانت المفاوضات تدور حول مطالبة الفرنج بإعادة القدس، وبعض مناطق الساحل مقابل تسليم دمياط إلى المسلمين[2]، وكأن المهزوم والمأسور يريد فرض شروطه إلا أن المماليك تجاوزوا هذا الطرح مؤكدين على نصوص الهدنة دون تغيير أو تبديل.

ورغم أهمية توقيع الهدنة بالنسبة للمماليك بسبب الظروف الداخلية بالغة الحساسية التي كانت تعيشها مصر، فإن الفرنج لم يعدّوها هزيمة مطلقة، بل على العكس فقد وجدنا لويس التاسع وبعد مغادرته مصر ووصوله عكا في فلسطين، يأخذ على عاتقه ترتيب الأوضاع الداخلية للفرنجة ،حيث قام عملياً بتحصين بعض المدن، والقلاع لمواجهة المرحلة القادمة، خاصة بعد وصول المماليك إلى سدة الحكم في مصر، ولهذا قام بتحصين قلاع عكا، وصور، وقيسارية وأرسوف[3]. كما نهج لويس نهجاً آخر في تسوية الأوضاع الداخلية بين الفئات الفرنجية في بلاد الشام من خلال وقف المنازعات بين الداوية، والإستبارية ، وتباين وجهات نظرهم في التحالفات

---

[1] المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 363 ؛ ابن تغرى بردى: يوسف: **النجوم الزاهرة**، 6/ 368 ؛ رانسيمان: ستفين، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 553 ؛ جوانفيل: جان دي، **القديس لويس**، 156 –163 ؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 38؛ الصوافي: طالب، **القلاع والحصون في شمال فلسطين**، 255 . .

[2] .ابن العبرى: غريغوريوس ، **تاريخ مختصر الدول**، 259؛ ابن الجزرى: ابو عبد الله محمد ، **تاريخ ابن الجزرى** ، 217؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **تاريخ ابن خلدون**، 5/ 360؛ ابن سباط: حمزة، **تاريخ ابن سباط: حمزة**، 1/ 347.

[3] . جوانفيل: **القديس لويس**، 246؛ ابن شداد: عز الدين، **الاعلاق الخطيرة**، 252 –254 .

المستقبلية، حيث أيدت الداوية التحالف مع الأيوبيين، على عكس الإستبارية التي أيدت التحالف مع المماليك في مصر. [1]

على أثر توقيع معاهدة دمياط بين المماليك، والفرنج،يظهر تساؤلاً مركزياً ربما تكون له آثار على مستقبل الحالة المملوكية خاصة، والإسلامية عامة، مفاده ما يقال إن موازين القوى في السلم والحرب هي التي تفرض نفسها، ولصالح من كان هذا الميزان؟ وهل استثمر بشكل جيد لمصلحة القضايا الإسلامية في ظل التحديات الكبيرة التي تواجه المنطقة؟ الإجابة ببساطة تقول إن هذه الهدنة جاءت فقط لإنقاذ ماء وجه شجر الدر التي كان يعنيها الأمر الداخلي أكثر من أي مسألة أخرى، وهذا ما دللت عليه الأحداث لاحقاً، ولأننا لسنا في معرض الخوض في تفاصيل الصراعات، والتناقضات التي ظهرت لاحقاً سواء بين الأيوبيين بزعامة الناصر يوسف في دمشق[2] والمماليك بزعامة أيبك في مصر، أو حتى بين المماليك أنفسهم، فإن جل الاهتمام سيركز على حالة التردي التي وصلت لها كل الأطراف في دمشق ومصر، خاصة الاتجاه من قبل الجميع لاستمالة الفرنجة (الصليبيين) بزعامة لويس التاسع(Louis IX) وكأنه صديق متناسين طبيعة الخطر وشكل المواجهة التي يجب أن تكون مع هؤلاء الأعداء. بعد سلسلة المواجهات والصراعات الداخلية والخارجية أن أيبك يحاول استمالة لويس التاسع إلى جانبه واعداً إياه بإعطائه بيت المقدس، لمجرد استيلائه عليها من الملك الناصر يوسف. ملك دمشق وحلب[3] .

وأمام هذا الواقع أسرع أيبك الجاشنكير[4] إلى الاستجابة، وجرت مفاوضات بين الطرفين تمخضت عن عقد معاهدة في عام (650 هـ / 1252 م) بهدف مناوأة الناصر يوسف، والتي جاء فيها: موافقة أيبك على إطلاق سراح بقية الأسرى الفرنجة (الصليبيين) الموجودين في مصر، وكذلك إعفاء لويس التاسع من دفع بقية المبلغ المتبقي عليه من الفدية، وكذلك قيام أيبك

---

[1] . عاشور :سعيد، **الحركة الصليبية**، 2/ 1044.

[2] الكتبي:محمود ، **فوات الوفيات**، 4/ 361؛ التونجي: محمد، **بلاد الشام ابان الغزو المغولي**، 135.

[3] . العيني: محمود، **عقد الجمان**، 1 / 44 ، طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 55 .

[4] . الجاشنكير: هو الذي يتذوق مأكول السلطان ومشربه خوفاً من أن يدس فيه السم ونحوه وهو مركب من لفظين فارسيين أحدهما (جاشنا) ومعناها الذوق، والثاني (كير) ومعناها المتعاطي لذلك، ينظر القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 5/ 460 .

بوعد الملك الفرنسي بأن يعيد للصليبيين كل مملكة بيت المقدس التي كانت تمتد شرقاً حتى نهر الأردن. [1]

ولكن يبدو أن هذا التحالف المملوكي الفرنجي (الصليبي) لم يؤد إلى شيء من النتائج نظراً لتبدل الأحوال، وظهور خطر جديد هو الخطر المغولي، الذي أخذ يتهدد المنطقة الأمر الذي دفع الطرفين الأيوبي، والمملوكي إلى نوع من التهدئة ضمن اتفاق يؤدي لبقاء كل طرف حامياً ومدافعاً للجغرافيا المتواجد فيها، لحين جلاء اتجاهات هذا الخطر، التي كانت تنذر بأن لا شيء باق مكانه، استناداً لمبادرة الخليفة المستعصم الذي استشعر عظم الخطر، فبادر لعقد الصلح الذي قاد لاعتراف المماليك بسيادة الأيوبيين على بقية بلاد الشام، واعتراف الناصر بسيادة المماليك على مصر وجزء من بلاد الشام حتى نهر الأردن، ويبدو أن هول الرعب الذي رافق حملة المغول دفعت الطرفين لهذا المنطق، وقد اكتسب هذا الصلح أهمية كبرى في التاريخ الإسلامي، على اعتبار أنه البداية نحو الاعتراف بشرعية سلطة المماليك في مصر. [2]

هذه القراءة لمجرى الأحداث، والتطورات التي تلت توقيع معاهدة الصلح بين المماليك ولويس التاسع، تدلل بشكل واضح أن معاهدة تكتسب قوتها فقط من موازين القوى وما يترتب عليها من فرض وقائع على الأرض، وإلا فإن الارتداد، والتراجع سيكون مصيرها. وهذا يؤكد أن لويس التاسع تجاوز حدود الاتفاقية والالتزام ببنودها، على حالة التدخل المباشر في شؤون المنطقة، ولعبه على وتر التناقض بين أطراف المعادلة الإسلامية آنذاك – الأيوبيين في الشام والمماليك في مصر– وعقده اتفاقات بمضامين توحي أن هذا الملك ما زال يحمل كرهاً شديداً للإسلام، وأطماعاً تتجاوز حدود العلاقات العامة بين شجر الدر وأيبك، وتصفية كل منهما للآخر لتؤكد عظم التحديات. [3]

---

[1] . رانسيمان: **ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 475 ، 478 ؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، 1/ 80 .

[2] . النويري:أحمد، **نهاية الأرب** 29/ 378 ، 426؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1 / 385 – 386؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 57 ، شفيق:محمود، **المماليك البحرية وقضاؤهم على الصليبيين**، 19–23 .

[3] . النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 29 / 457 ؛ شفيق: محمود، **المماليك البحرية وقضاؤهم على الصليبيين**، 86–88؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 56.

ولعل من المفيد الإشارة إلى مرحلة ما قبل قطز، والتي شكلت أحداثها مخاضاً هاماً في رسم خارطة مصر المملوكية وبلاد الشام، حيث كان الصراع بين المماليك الصالحية[1]، والمماليك المعزيه[2] على أشده، فما أن انتهت الفترة الانتقالية لحكم نور الدين علي بن المعز أيبك ، حتى كانت الضرورة تقتضي البحث عن زعيم قوي يواجه الأوضاع، والتحديات التي تواجه المنطقة، فظهر الخلاف بعد تعيين المماليك المعزيه الأتابك قطز نائباً للسلطان، إلا أن رغبة المماليك الصالحية كانت تميل لتعيين الأمير علم الدين سنجر الحلبي [3] نائياً، لكن هذا الخيار فشل بعد أن تمكن السلطان نور الدين علي، وقطز من تصفية خصومهم، وتحديداً شجر الدر والسيطرة على الأوضاع. [4]

---

[1] . **المماليك الصالحية:** هم مماليك السلطان الملك الصالح ، نجم الدين أيوب، الذي جلبهم من بلاد القبجاق والقوقاز، وشبه جزيرة القرم، وينتمون إلى عناصر مختلفة من المغول، والصقلية، والألمان، والجراكسة، وغيرهم، وجلبوا لحاجة السلطنة لهم في الجيش، ابن عبد الظاهر: محيي الدين، تشريف الأيام،37/ النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 29/ 415 –416 قاسم:عبده قاسم، **عصر سلاطين المماليك**، 7.

[2] . **المماليك المعزية** هم: مماليك الملك العزيز محمد صاحب حلب، وقد انتقلوا بعد وفاته إلى خدمة ابنه الملك الناصر يوسف، وفي أثناء واقعة العباسة التي دارت بين الناصر وأيبك في رجب (648 هـ / فبراير 1254 م) خامر البرلي وجماعة من العزيزية على ابن أستاذهم وصاروا مع أيبك، ثم أنهم قصدوا بعد ذلك اغتيال أيبك وعلم بهم " فقبض على بعضهم، وهرب البعض الآخر، وكان البرلي من جملة من سلم وهرب إلى الشام ، فلما وصل إلى الملك الناصر اعتقله بقلعة عجلون، وعندما اجتاح التتار الشام ، أطلق الناصر سراحه قبل فراره من دمشق فالتجأ البرلي وأصحابه إلى مصر، وشارك في وقعة عين جالوت، وكافأه قطز بعد انتصاره فولاه الساحل وغزة ، وصار مقره نابلس ينظر: الكتبي: ، عيون التواريخ، 20/106–107؛ العبادي، أحمد مختار، **في التاريخ الأيوبي و المملوكي**، 160 م.

[3] . **علم الدين سنجر الحلبي:** كان من أمراء المظفر قطز، الذي أمره على نيابة دمشق بعد عين جالوت، فلما قتل المظفر قطز وتسلطن الظاهر بيبرس، لم يعجبه قتل أستاذه، فتسلطن بالشام، إلى أن ألقي القبض عليه، فعفا عنه بيبرس ، ثم دخل في خدمة المنصور قلاوون، واستمر في خدمته في القاهرة حتى وفاته عام (292 هـ / 1292 م) ينظر: ابن تغرى بردى: يوسف، **المنهل الصافي**، 6 / 76 –78 .

[4] . الأمين : حسن، **غارات صليبية على مصر وبلاد الشام**، 33– 36.

- **المظفر سيف الدين قطز (657- 658 هـ / 1259 – 1260 م)**

بعد مقتل المعز أيبك، بدت الدولة المملوكية في ظل حكم صبي قاصر السلطان " نور الدين علي" ضعيفة، وهي لم تزل في طور التكوين، وفي وقت اشتد فيه الخطر المغولي بزعامة (هولاكو) بعد أن وصل إلى بلاد الشام عقب إسقاطه الخلافة العباسية في بغداد، هنا عم الاضطراب والقلق أرجاء مصر، حيث خلقت هذه الظروف الخارجية وضعاً حرجاً يتطلب وجود رجل قوي على رأس السلطنة، فوجد قطز الفرصة سانحة ليتبوأ عرش مصر، وعزل نور الدين علي في شهر ذي القعدة/ تشرين ثاني من عام (657 هـ / 1259 م) بمساعدة الأعيان والأمراء المعزية، ثم قبض عليه، وعلى أخيه، وأمه، وسجنهم في برج السلسلة بثغر دمياط. [1]

وقد تبين لنا من خلال مراجعة المصادر التاريخية أن هذه الفترة المذكورة أعلاه، لم تشهد معاهدات وهدن بين الطرفين، ويبدو أن ظهور الخطر المغولي ووقوف فرنجة الساحل موقف الحياد، قد أدى إلى ذلك. [2]

إن صلابة موقف قطز قبل معركة عين جالوت وبعدها[3] جعلته القائد الفعلي الذي أرسى دعائم حكم دولة المماليك البحرية في مصر، وتأمين الحماية لها من الخطر الخارجي المتمثل في المغول، إضافة للدخول الرسمي لبلاد الشام، مما كان له أثر كبير في تدعيم الوحدة الإسلامية[4]على يد خلفائه، تمهيداً لاستمرار مقاومة الخطر المغولي، ولطرد بقايا الإمارات الفرنجية (الصليبية) من الشرق[5]، وعلى الرغم من قصر فترة حكم السلطان قطز التي لم تشهد أية معاهدات، أو هدن صريحة مع أعداء المسلمين، إلا أنه استفاد من تلك المعاهدة التي كانت

---

[1] . النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 29/ 468 ؛ **المنصوري**:بيبرس،40 ؛ ابن عبد الظاهر:محيي الدين، **الروض الزاهر**، 58 –59 ؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، 1/ 181 ؛ ابن تغري بردى: يوسف ، **النجوم الزاهرة**، 7 / 46 .

[2] . الصياد: فؤاد عبد المعطي، **المغول**، 300 ، 301 .

[3] . عين جالوت: بلدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين، وقعت على أرضها معركة عين جالوت المشهورة في التاريخ، الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 4/ 177 .

[4] . ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 13/ 221 ؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 431 ؛ الصياد: فؤاد، **المغول**، 315 – 316 .

[5] . الامين: حسن ، **غارات صليبية على مصر وبلاد الشام**، 40–42 ؛ العبادي: أحمد مختار، **قيام دولة المماليك الأولى في مصر**، 236 – 239 ؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك** : 84 .

قد عقدت في عام (652هـ / 1254 م) بين الملك الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب، وفرنجة عكا، والتي شملت مصر، إذ أتاحت للمماليك ميزة كبيرة في الاستعداد للقاء العدو، وهم مطمئنون على خطوط دفاعاتهم الخلفية[1]، فحينما قرر قطز الخروج من مصر باتجاه عين جالوت في رمضان/ آب من عام(658 هـ/ 1260 م) متخذاً الطريق الساحلي المار بعكا حصل على إذن مرور من أراضي فرنجة (صليبي) هذه المدينة دون معارضة تذكر.[2] وعسكر في الحدائق الواقعة خارج عكا عدة أيام، بمعنى أن السلطان قطز قد وظف جوهر تلك المعاهدة نحو حيادية فرنجة للساحل، وفي ذلك نجاح هام وكبير لسياسة قطز وحنكته، الذي كان يدرك أن الوضع الداخلي للفرنجة لا يسمح لهم بالارتداد عليه، خاصة وأنه يخوض حرباً كبيرة ضد المغول كخطر داهم يهدد الجميع، فضلاً عن قيام قطز بطمأنة الفرنجة الذين خشوا من كثرة أعداد المماليك، وأكد لهم أنهم سوف يحصلون على ما يغنمه المماليك من خيول المغول، وبأسعار منخفضة[3]، ومما يدلل على قوة قطز في تلك الظروف هو قيام الصليبيين بعد حالة الاطمئنان بين الطرفين بتقديم عرض بأن يمدوا قطز بقوات فرنجية صليبية[4]، إلا أنه اكتفى بأن طلب منهم التزام الحياد في هذا الصراع. [5]

ثانياً: المعاهدات والهدن في عهد السلطان بيبرس (658- 676 هـ / 1260- 1277 م)

لقد شكل مقتل السلطان مظفر قطز تحولاً كبيراً في تاريخ الدولة المملوكية بعد أن أصبح إجماع أمراء المماليك البحرية على تعيين بيبرس مكانه، وقد بايعه كبار القادة مثل: أقطاي

---

[1] . العبادي: أحمد، **قيام دولة المماليك الأولى في مصر**، 161 .

[2] . المقريزي: أحمد ، **السلوك**، 1/ 430؛ عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية**، 2/ 1082.

[3] . رانسيمان:ستيفن، 3/ 535 – 536 ؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**،77

[4] . King : The Knight Hos Pitallers, p252

[5] . ابن دقماق: ابراهيم، **النفحة المسكية**، 50؛ ، **نزهة الأنام**، 263 ؛ **الجوهر الثمين**، 2/ 62/ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 430 ؛ طقوش: محمد سهيل ، **تاريخ المماليك**، 78؛ حجه: شوكت، **العلاقات بن دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 105؛ عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية**، 2/ 1082.

والأمير بلبان الرشيدي، وبدر الدين بيسري، والأمير سيف الدين قلاوون، والأمير بيليك الخازندار، ثم بقية الأمراء على اختلاف طبقاتهم [1].

ويبدو أن بهجة تعيين الظاهر بيبرس لم تكن في البداية مدوية، وهذا ما لم تشعر به مصر والناس، الذين ملأ قطز صدورهم بالفرحة بعد عين جالوت، فساءهم سماع الخبر، وخافوا من عودة البحرية إليهم لما عهدوه فيهم من الجور والفساد، إلا أن السلطان الجديد عاملهم بما يسرهم، فألغى ما كان قد فرض من ضرائب بسبب المغول. [2] ويعتبر جلوس الملك الظاهر بيبرس على عرش السلطنة إيذاناً ببدء مرحلة جديدة في تاريخ الدولة المملوكية، وهذا اقتضى القيام بعدد من الإجراءات التنظيمية والإدارية، التي منها تعيين بدر الدين بيليك نائباً، والأمير فارس الدين اقطاي اتابكا، وسلم الأمير جمال الدين أقوش النجيبي الاستادارية [3]، والأمير حسام الدين لاجين، وبلبان الرومي الدوادارية [4] وأقر الأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جندار [5]،

---

[1] . بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**،54؛ المقريزي: أحمد ، **السلوك**، 1/ 436 ؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **مختار الأخبار**، 11؛ أبو الفداء:اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 3/ 207 –208 ؛ النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 30/ 13– 13 ابن تغري بردى: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7 / 84 ؛ حجه : شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وفارس**، 123.

[2] . الكتبي: محمد ، **عيون التواريخ**، 2/ 23؛ النويري: أحمد، **نهاية الأرب**،30/ 15؛ الذهبي: محمد، **تاريخ الإسلام** حوادث (651 – 660) 65؛ حجه: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وفارس**، 124.

[3] .**الاستدار**: هو من يتكلم في إقطاع الأمير مع الدواوين والفلاحين وغيرهم، وعليه أن لا يطعمه حراماً، ولا يبيع أستاذه رخيصاً، وأن يوفق بأهل القرى، ويؤدي الأمانات لأهلها، كما عليه أن يؤدي حق الأمير، ينظر : السبكي: عبد الوهاب، **معيد النعم**، 26؛ ابن طولون الصالحي: محمد (ت 953 هـ/1546م) **نقد الطالب لزغل المناصب**،60.

[4] . **الدوادارية**: هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير وغيرها، ويقوم بإبلاغ الرسائل عن السلطان أو الأمير، ينظر السبكي: عبد الوهاب، **معيد النعم**، 25 ، القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 4/ 19؛ حجة:شوكت، **العلاقات بيت دولة المماليك وفارس**،125.

[5] . **أمير جندار**: هو لقب يطلق على الذي يستأذن على الأمراء وغيرهم في أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل، وهو مركب من ثلاثة ألفاظ: احدهما عربي وهو أمير، والثاني خان ومعناه الروح والثالث دار ومعناه ممسك، فيكون معناها الأمير الممسك للروح، وهو الحافظ لدم السلطان، فلا يأذن عليه إلا لمن يؤمن عاقبته، ينظر: القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 4/ 433/ البقلي: محمد، **التعريف**،48.

والأمير بهاء الدين أمير خور [1] وطلب منهم بذل الطاعة والولاء. [2]

وأمام هذا الواقع الجديد فقد هيأ الظاهر بيبرس نفسه للمواجهة المفتوحة مع الأخطار والتحديات التي واجهت العالم الإسلامي في فترة حكمه (659 – 677 هـ/ 1261–1277 م) ويبدو أنه سار على منوال سيرة السلطان صلاح الدين الأيوبي، فلم يعمد إلى المواجهة العفوية بل اعتمد التخطيط والإعداد وسيلة لتحقيق انتصاراته، إلى جانب ما امتلك من ذكاء وحنكة سياسية مع أعدائه، تمثلت في عقد عدد من الهدن والمعاهدات كوسيلة لتقدير الأحوال، وقراءة إيقاع المعادلة بما يكفل له النصر [3]، وكان من أهم الإجراءات التي قام بها:

1. إحياء الخلافة العباسية في القاهرة لدعم حكمه، ومواجهة خصومه ومنافسيه. [4]
2. تحصين المناطق الحدودية والثغور، لمواجهة الأعداء، ولإثارة الرعب في نفوسهم، وكذلك ترميم القلاع ذات المواقع الإستراتيجية. [5]
3. تنظيم عمل البريد والمناور، وذلك حسب الضرورات الحربية، وإقامة محطات البريد[6].
4. عمل على تنمية القوة العسكرية من خلال التزود بالقوى البشرية الآتية من أسواق أسيا الصغرى. [7]

---

[1] . **أمير خور:** وظيفة يتحدث متوليها على اسطبل السلطان أو الأمير، ويتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرها، مما هو داخل في حكم الاسطبلات، وهو مركب من لفظين وهو أمير والثاني فارسي وهو أخور بمعنى المعلف، فيكون معنى أمير أخور أمير المعلف لأنه المتولي لأمر الدواب، ينظر: السبكي: عبد الوهاب، **معيد النعم**، 37/ ابن كنان: محمد الدمشقي المتوفي (1153 هـ/ 1740 م) **حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين** ، 115 ؛ البقلي:محمد، **التعريف**، 47؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وفارس**، 125.

[2] . النويري: أحمد، **نهاية الأرب** ، 31 / 16 ؛ ابن دقماق : ابراهيم، **نزهة الأنام**، 268 .

[3] . حجة:شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وفارس**، 126.

[4] . الطرسوسي: نجم الدين ابراهيم (ت 758 هـ / 1356 م) : **تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك**، ، 17؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 92 ؛ عاشور: سعيد، **العصر المملوكي**، 342 .

[5] . ابن عبد الظاهر:محيي ، **الروض الزاهر**، 93 ؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1 / 252؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك والمغول**، 131–132 ؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 98.

[6] . ابن فضل الله العمري:محمد، **دولة المماليك الأولى**، 105؛ ابن إياس:محمد، **نزهة الأمم**، 218؛ الطباخ الحلبي:محمد، **أعلام النبلاء**، 2/ 259 ؛ **دائرة المعارف الإسلامية**، 4/ 366.

[7] . القلقشندي:عبد الله ، **صبح الأعشى**، 4 / 457 ، 464 ؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**،99.

5. تأمين السيطرة على المدن والقلاع بين مصر وبلاد الشام، وخاصة حصن الكرك، بمعنى أنه أراد تأمين الجبهة الداخلية. [1]

ويبدو أن هذه الأعمال والإجراءات التي قام بها السلطان بيبرس كانت هامة وضرورية حيث مكنته من امتلاك ميزان القوى في المنطقة، وجعلته يلعب دوراً مركزياً في عقد الهدن والمعاهدات ولمصلحة الدولة المملوكية الناشئة، والتي كانت تواجه أخطاراً، وتحديات داخلية وخارجية، خاصة وأن هذه الهدن والمعاهدات، قد تضمنت أبعاداً سياسية، وتجارية، واقتصادية انعكست إيجاباً لصالح المماليك، وإن تفاوتت حسب مضمون تلك الاتفاقات وظروف عقدها. ومن هنا سوف نقوم باستعراض، وتحليل لهذه الهدن والمعاهدات، معتمدين على الترتيب الزمني.

هدن ومعاهدات الظاهر بيبرس مع الفرنج:

- **الهدنة بين السلطان بيبرس وكونت يافا وكونت بيروت (659 هـ / 1261 م) :**

لم يكن السلطان الظاهر بيبرس في سياسته مواربا لأحد، بل كان صاحب رؤية مكنته من النجاح في تقدير أمور دولته، معتمداً في ذلك على قراءة دقيقة لموازين القوى ميدانياً، فكان يميل لعقد الهدن والمعاهدات بما يضمن له التفوق في حده الأدنى، فاستخدمت الهدن في زمنه لأغراض عدة، فها هو يقوم بمعاقبة الفرنجة (الصليبيين) الذين ساعدوا المغول في عين جالوت[2]، وخاصة أمير أنطاكيا، بوهيمند السادس (BohemondⅣ) [3] فوجه جيشاً تمركز في حلب لشن غارات على أنطاكيا، وتعرض ميناء السويدية[4] للتهديد، وكذلك تعرضت مدينة أنطاكيا

---

[1] . ابن عبد الظاهر: محيي، **الروض الزاهر**، 149 –150؛ حجه: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وفارس**، 137.

[2] . عين جالوت، بلدة تقع إلى الشمال الغربي من مدينة بيسان، على مسافة عشرة كيلومترات، على نهر الجالود، بجوار عين ماء يطلق عليها الاسم نفسه، ويذكرها السكان المحليون باسم : عين جالود (**الموسوعة الفلسطينية** 3/ 368) .

[3] . بوهيمند السادس (Bohemand IV) (650 – 674 هـ / 1251 – 1285 م) وهو أمير أنطاكية في مرحلة الحروب الصليبية، ينظر: ابن عبد الظاهر :محيي، **الروض الزاهر**، 299.

[4] . ميناء السويدية: هو ميناء ينسب إلى قرية السويداء بحوران من نواحي دمشق، الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 3/ 286.

نفسها للحصار، وكادت تسقط لولا النجدة المغولية التي قادها الملك هيثوم الأول[1]، فاضطر المماليك إلى فك الحصار عنها [2].

واللافت للانتباه أنه قبل عقد هذه الهدنة، كانت محاولات من قبل الفرنجة للتنصل من مضامين الحوارات السابقة، ومحاولة نواب يافا وأرسوف[3]، فسخ الهدنة والندم عليها، وأمام حزم السلطان بيبرس عادوا يبقون عليها، ويؤكدون تمسكهم بالمواثيق[4]، ومع ذلك تشدد السلطان، وأمر برحيلهم، وهدم كنيسة الناصرة، وهي أكبر مواطن عبادات الفرنجة. [5]

وبالمقابل خشي الصليبيون من قوة المماليك المتنامية، فمالوا إلى الصلح معهم، آملين في استعادة أسراهم، فتوجه الكونت" أبلين كونت يافا(John of Ibelin count of Jaffa) ، ويوحنا الثاني" (johnii lord of Beirut) ، كونت بيروت إلى القاهرة سنة (659 هـ/ 1261 م)، وأجريا مفاوضات مع الظاهر بيبرس، لاسترجاع أسراهم، وتم عقد هدنة مع السلطان بيبرس ووافق عليها بيبرس بشرط العودة إلى ما كان عليه الأمر أيام الملك الناصر صلاح الدين، وإطلاق الأسرى المسلمين، إلا أن الإستبارية والداوية [6] رفضوا التخلي عن الأسرى المسلمين نظراً لكونهم صناعاً مهرة، وعندئذ قطع السلطان بيبرس المفاوضات، وأمر بنقل أسراه من الفرنجة إلى معسكرات العمل الخاصة بتشييد العمائر، ثم حرك الجيوش باتجاه أملاك الفرنجة(الصليبيين)، وهاجم حصونهم مما حدا بهم إلى العودة لطلب الصلح فرد السلطان بيبرس قائلاً:" **لماذا لم يكن ذلك قبل حضورنا إلى هذا المكان؟ ردوا ما أخذتموه من البلاد، وفكوا أسرى المسلمين جميعهم فإني لا أقبل غير ذلك**". وأمام هذا الواقع سألوا في رجوعه عن قراراه، وتقرير الصلح على ما كان

---

[1] . هيثوم : التكفور هيثوم بن قسطنطين، بن باساك، ملك الأرمن، توفي في قرية اكنير في برجربيرد في 29 أكتوبر سنة 1271 م ، ملك أرمينيا الصغرى، أو ملك كيليكيا من سنة 1226 م لسنة 1269 م ، وابنه هو ليو الثاني ملك أرمينيا الصغرى ، ويعد هيثوم رائد التحالف الأرمني المغولي، ينظر: ابن العبري: غريغوريوس، غريغورس، **تاريخ الزمان**، 324 – 327 ، ماركو بولو: **رحلات ماركو بولو**، 28 .

[2] . منير البعلبكي وآخرون، **المصدر في التاريخ**، 145 – 146 .

[3] . ارسوف: بلدة تقع بين قيسارية ويافا، وكان بها خلق من المرابطين أيام الحروب الصليبية، الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 1/ 192 .

[4] . النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 5/ 255 – 257؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**،1/ ق2/ 286–287.

[5] . المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 484؛ عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية**، 3/ 48.

[6] .المقريزي: أحمد ، **السلوك**، 1/ ق2/ 464 .

عليه الأمر إلى آخر الأيام الناصرية، وإطلاق الأسرى، وبذلك توجهت الرسل معهم لأخذ العهود عليهم[1]، وهكذا تقررت الهدنة لصاحب يافا، ومتملك بيروت، على حكم الأيام الناصرية وأمنت السبل، وكثرت الأجلاب[2] ويلاحظ أن البنود الهامة في هذه الهدنة والمتعلقة بموضوع الأسرى بقي عالقاً على الرغم من قيام السلطان بيبرس بتسييرهم إلى نابلس حفظاً للعهود، وأقاموا في نابلس مدة والفرنج يماطلون في أمر الأسرى من يوم إلى يوم، وربما كانت المماطلة بهدف الحصول على العوض، إلا أن السلطان بيبرس أجابهم أنكم أخذتم العوض عنها في الأيام الناصرية[3] من مرج عيون[4]، وقايضتم صاحب تبنين [5] بمواضع، فكيف تطلبون العوض مرتين؟ وهذا لا سبيل إليه ولو طلبتم شبراً واحداً من بلاد المسلمين ما أعطيته لكم إلا بحقه، فإن كنتم باقين على العهد فنحن لا نغير عهودنا، وإن كنتم تختارون غير ذلك، فنحن بحمد الله لم يبق لنا عائق، أو عدو، ولا لنا شغل إلا الجهاد،وبقي الحال موقوفاً " . [6]

إن قراءة نصوص هذه الهدنة يظهر بشكل واضح أن عقد الهدنة انطلق به السلطان بيبرس من منطلق قوة لا ضعف، وأن الاستجابة الفرنجية هي نتاج لإدراكهم أن القوة المملوكية صاعدة، ولا مجال للوقوف في وجه الزحف المملوكي، وبكل الاتجاهات، سواء تعلق الأمر بالسيطرة على الأرض، أو موضوع الأسرى المسلمين، الذين ما كان لبيبرس أن يتنازل عنه لحساسيته أولاً ، ولرغبته في تلقين الفرنج درساً لا مجال للمساومة فيه، فالأسير مقابل الأسير ثانياً وإظهار قوة المفاوض المملوكي في التهديد بقطع المفاوضات متى ما تعارضت مع جوهر الهدنة ثالثاً.

---

[1] . المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/464؛ عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية**، 181.

[2] . المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ق2/ 463 – 464؛ النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 3/ 48.

[3] . النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 3/ 48.

[4] . مرج عيون: سهل بسواحل الشام و تكثر فيه عيون الماء في الجنوب اللبناني، وفيه مجال كبير للرعي، الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 5/ 101.

[5] . تبنين، بكسر أوله: بلد في جبال بني عامر، مطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور، الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 2/ 14 .

[6] . ابن عبد الظاهر:محيي ، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، 118 – 119 ؛ النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 30 / 48؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1 /ق2 ، 464 ؛ ابن واصل : محمد، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 322 ، 323 .

ويلاحظ أن الفرنج خلال هذه الهدنة اعتمدوا سياسية المماطلة، والتسويف، والتنصل من فعلهم ويمكن إجمال هذه السياسية في النقاط التالية:

1. التنكر وعدم الحلف على نسخة الهدنة في محاولة للتهرب.

2. المماطلة في موضوع الأسرى، وإظهار عدم المبالاة تجاه الموضوع رغبة في الإبقاء على أسرى المسلمين واستغلالهم.

3. التنصل من مصادرة أموال التجار المسلمين، والإدعاء أنها لم تصادر في أراض تحت سيطرتهم، وإنما صودرت في أنطرسوس[1]، وكذلك اعتراض الرسل في البحر، وتوجيه حركتهم لاتجاه غير الاتجاه الذي يريدون، وأسرهم، وأخذهم أموالهم، وقتل بعضهم، والإدعاء أن هذا فعل صاحب جزيرة قبرص وكأنه لا علاقة لهم به، وكذلك ممارسة الخذلان مع المسلمين تاريخياً وتحديداً خذلانه الملك الصالح إسماعيل، وأخذ صفد[2] والشقيف منه، والإدعاء أنهم يريدون نجدته ولم يكتفوا بذلك بل راحوا يحالفون لويس التاسع ويشتركون معه في حملته على مصر[3].

وأمام هذه الخروقات المقصودة من جانب الفرنج، إلا أن السلطان الظاهر بيبرس اتبع سياسة النفس الطويل، مؤكداً على الدوام أنه ليس بضعيف، وكأن لسان حاله يقول: " لن نصبر إلى مالا نهاية".

- **الهدنة بين السلطان بيبرس وكونت يافا وفرسان المعبد أصحاب أرسوف (661 هـ / 1263م):**

وافق السلطان بيبرس في عام (661 هـ / 1263 م) على عقد هدنة مع كونت يافا، وفرسان المعبد أصحاب أرسوف[4]، إلا أن ذلك لم يمنعه من الاستيلاء على يافا، وأرسوف تدريجيا، حيث استولى على يافا عام (666 هـ / 1268 م) واستولى على أرسوف عام (663 هـ / 1265 م) دون

---

[1] . النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 30/ 253 – 254 .

[2] . صفد: مدينة عربية، قاعدة قضاء، عاصمة الجليل الأعلى، اسمها أرامي بمعنى الشد والربط، تقع بين جمهوريتي سوريا ولبنان وقضائي عكا وطبريا، ترتفع 840 متراً عن سطح البحر كانت في عهد المماليك إحدى نيابات بلاد الشام، ينظر: شراب: محمد حسن، **معجم بلدان فلسطين**، 485 – 486 .

[3] .ابن عبد الظاهر:محيي ، **الروض الزاهر**، 153 ، النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 30، 256 ؛ المقريزي: أحمد،**السلوك**، 1 /ق2 / 482 – 487 ؛ ابن واصل : محمد، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 361 – 365 .

[4] . بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 67 ؛ العيني: محمود، **عقد الجمان، حوادث 648 – 664** ، 316 .

أن يكون السلطان مضطراً لتبرير خرق الهدنة المعقودة مع أسياد المدينتين[1]، ويبدو أن نقض السلطان الظاهر بيبرس للهدن والمعاهدات مع الفرنج يوحي أن هذه المعاهدات ما هي إلا ضرورات تكتيكية لتحقيق الأهداف الرئيسية وأن لا قداسة لتلك الهدن في حال تبدلت موازين القوى، بمعنى أن العلاقة مع الأعداء سلماً أو حرباً ليست قدراً، بل خاضعة لتقييمات وقراءات مرحلية، بما يخدم الأهداف المرحلية والاستراتيجية معاً . [2]

ومن خلال تتبع مجريات الأحداث التي رافقت سيطرة وفتح السلطان بيبرس لعدد من القلاع والحصون والبلاد، نلاحظ أن قوات المماليك تمكنت في عامي (663 – 664 هـ / 1265–1266 م) من الاستيلاء على قيسارية، وحيفا، وأرسوف، وصفد من أصحابها الفرنج (الصليبيين)، بالإضافة إلى بعض القلاع الأخرى لفرسان الداوية، حيث عقد السلطان بيبرس معاهدات مع القوى الفرنجية (الصليبية) الأخرى، يلزمهم فيها بعدم التحرش بالمسلمين، أو مساعدة أحد ضدهم، وكان ضرورياً للسلطان المملوكي أن يقوم بتحييد هذه القوى الفرنجية في صراعه المرتقب مع أهم أعدائه بعد المغول مملكة أرمينا الصغرى[3] وإمارة أنطاكية الصليبية، اللتين تحالفتا مع المغول ضد المسلمين عام (658هـ / 1260م) . [4]

إن جوهر أو مضمون هذه الهدنة يؤكد بعد نظر السلطان بيبرس، الذي كان يدرك المخاطر التي قد تترتب على خريطة التحالفات الجديدة، والتي لا بد أن يكون جزءٍ منها على الأقل، لممارسة سياسة التحييد لبعض القوى، خصوصاً وأن أزمة الثقة كانت تسيطر على الموقف، وتحديداً بين الفرنجة (الصليبيين) والأرمن، وهذا جعل عمر تلك الهدن مربوطاً بمستوى التزام الطرف الآخر، لا المماليك المتطلعين للسيطرة على المنطقة، بعد أن غدوا قوة الفعل المركزي في المنطقة.

---

[1] . حطيط: أحمد، **تاريخ لبنان الوسيط، دراسة رحلة الصراع المملوكي الصليبي**، 71– 72 ؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 120– 122 .

[2] . النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 30/ 268 – 270؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 120–121.

[3] . **أرمينا الصغرى:** هناك قسمان لأرمينيا، أرمينيا الكبرى وأرمينيا الصغرى، والأخيرة يحدها من الشمال ولايات الروم، ومن الجنوب بلاد الشام، وبحر الروم من الغرب، وأرمينيا الكبرى من الشرق، وكانت قاعدتها مدينة سيس، للمزيد ينظر: قزويني: حمد الله مستوفي، **نزهة القلوب**، 94–100، **رحلات ماركو بولو**، 1/48–49 ؛ ابن الشحنة: محمد ، **الدرر المنتخب**، 187 ؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وفارس**، 193.

[4] . هلال:عادل، **العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي**، 109– 110 ؛ حسين: حميدي عبد المنعم، **المعاهدات والهدن بين بيبرس والفرنج**، 174 –175 .

- **الصلح والأمان بين السلطان بيبرس والفرنج في صفد (664 هـ /1266م)**

إن جدية السلطان بيبرس في فتوحاته كانت أحد أهم عوامل نجاحه، ففي هذه السنة خرج السلطان بيبرس مع عساكره من الديار المصرية، وسار إلى الشام، وجهز عسكراً إلى ساحل طرابلس ففتحوا القليعات[1]، وحلباً وعرقا[2]، ثم نزل السلطان على صفد[3] وأمام شراسة القتال الذي باشره السلطان بنفسه طلبوا الأمان فأجيبوا إلى ذلك، فأجلس السلطان في دست المملكة الأمير سيف الدين كرمون[4]، وكان يشبه الملك الظاهر فنزلت رسلهم واستحلفوه فحلف لهم وهم لا يشكون أنه السلطان وكان في قلب السلطان الظاهر، منهم لما فعلوه بالمسلمين[5]، فلما كان يوم الجمعة 18 من شوال/23 تموز في السنة المذكورة طلعت أعلام السلطان على صفد، وأنزل من بها من الداوية وغيرهم، وكان قد وقع الشرط على أنهم لا يأخذون شيئاً من أموالهم، فاطلع عليهم أنهم أخذوا شيئاً كثيراً، فأخرجوا معهم الأسلحة، والفضيات[6]، وأخفوها في قماشهم، وأخذوا جماعة من أسرى المسلمين وصغارهم على أنهم نصارى، فلم يخف الله ذلك، ورسم بتفتيشهم، فوجد ذلك معهم، فأخذه منهم، وأنزلوا عن خيولهم، وجعلوا في خيمة، وقد حصل بينهم ما ينقض العهد، فأمر السلطان بضرب أعناقهم، فضربت رقابهم على تل بالقرب من صفد كانوا يضربون رقاب المسلمين فيه، ولم يسلم منهم غير نفرين، أحدهم الرسول بحكم أن السلطان كان قد شرب معه القمز[7]، حيث عفا عنه، وخيره في التوجه إلى قومه، أو الإقامة عنده،

---

[1] . ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 383؛ العيني: محمود، **عقد الجمان، في تاريخ أهل الزمان**، 2/ 8-9؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 560 ؛ ابن عبد الظاهر:محيي ، **الروض الزاهر**، 284 ؛ ابن تغري بردى: يوسف، **المنهل الصافي**، 4/ 193 – 194 .

[2] . وعرقا : علها تحريف لاسم "عرفة" بتسكين الراء السريانية بمعنى أخشاب، وهي قرية تقع غرب جينين في منتصف الطريق بين يعبد واليامون ينظر: شراب: محمد حسن، **معجم بلدان فلسطين**، 530 .

[3] . ابن عبد الظاهر:محيي ، **الروض الزاهر**، 254- 263 ؛ **التحفة المملوكية**، 57 ؛ أبو الفداء: اسماعيل، **تقويم البلدان**، 2/ 32-33 ؛ الطراونة ،طه ، **مملكة صفد في عهد المماليك**، 48 -51/ 48- 51 .

[4] . **سيف الدين كرمون:** إنمار التتري، من كبار الأمراء المماليك، في دولة الظاهر بيبرس، يبدو أنه من أصل مغولي اقطعه الظاهر بيبرس نصف الشويكه من أعمال قيسارية بعد فتحها، ينظر: المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 532.

[5] . الذهبي: محمد، **تاريخ الإسلام**، 2/ 24 -25.

[6] . المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 47 ؛ العبادي: أحمد مختار، في **التاريخ الأيوبي والمملوكي**، 209 .

[7] . **القمز:** لبن الأفراس الذي يعالجونه بطريقة تجعل فيه صفات النبيذ الأبيض، ويسميه المغول (كيمورس) ينظر: **رحلات ماركو بولو**، 1/ 138 ؛ عبد المجيد: سعد زغلول، **المجتمعات التركية**، 68؛ حجة : شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وفارس**، 213.

فأختار المقام في خدمة السلطان وأسلم، فأعطاه السلطان إقطاعاً ، وأما الآخر فكان الأتابك[1]، شفع فيه السلطان فأطلقه ودخل السلطان القلعة، واستناب عليها الأمير عز الدين العلائي، وتقررت نفقة رجالها في كل شهر ثمانية آلاف درهم، وعمل بها جامع بالقلعة وجامع بالمربض[2].

الهدنة بين السلطان بيبرس وصور (665 هـ / 1267 م) :

لقد شكل التداخل في الهدن والمعاهدات أحد أوجه الاضطراب التي سيطرت على المنطقة في تلك الفترة لذا نرى السلطان بيبرس لا يجد حرجاً في تجديد الهدن أو اتباعها بهدن أخرى انسجاماً مع الأحداث والتطورات، فها هو وفي عام (665هـ/ 1267م) يجدد الهدنة لرسل صور الذين سألوا استمرار الهدنة، بعد قتل السابق شاهين، غلام السلطان بيبرس[3]، فقال لهم: " إذا قمتم بديته استمرت الهدنة"، فأحضر أولاد السابق شاهين فقرر ديته خمسة عشر ألف دينار صورية، فأحضر الرسل نصفها وجماعة من أسارى المغاربة، واستمهلوا بالبقية، وقال السلطان: " تبنين[4] وهونين [5]وبلادهما بلاد أخذتهما بسيفي وصارت للإسلام، فاستقرت للمسلمين" فأجيبوا للصلح، وكتبت الهدنة لمدة عشر سنين.[6]

واستقرت أيضا قاعدة الصلح مع بيروت، بعد أن تقرر عليهم أن يردوا أموال التجار الذين كانوا أخذوا بمراكب الأتابك، وإطلاقهم ودفع ثمن تلك المراكب، ثم قبلت هديتهم، واستمرت هدنتهم. [7]

لعل من المهم والمفيد جداً التدقيق في سلوك السلطان، هذا الذي لا يعبر عن أفق سياسي فقط في عقد الهدن، بل إنه لم يتردد للحظة في تضمين تلك الهدن بالبعد الاجتماعي، فمقتل شخص كان كفيلاً بدفعه لعقد، أو تجديد هدنة، أو نقضها، ولم يهمل دور المجتمع في تقرير تلك

---

[1] . **الأتابك**، هو القائد العام ، المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 146 .

[2] . النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 30/ 288– 289؛ ابن تغري بردى: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 124 .الذهبي: محمد ، **تاريخ الإسلام**، 2/ 25.

[3] . المقريزي: أحمد، **السلوك**، 559/1 .

[4] . **تبنين:** بكسر أوله، وتسكين ثانيه، وكسر النون، وياء ساكنة، ونون أخرى، بلده في جبال بني عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور، ينظر: الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 2/ 14.

[5] . **هونين:** بلد في جبال عامله مطل على نواحي مصر، ينظر : الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 5/ 420 .

[6] . النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 295/30 –296 ؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 559/1 .

[7] . النويري: أحمد ، **نهاية الارب**، 30/ 297 .

الهدن، فيما يتعلق بالثمن، فيترك لأهل القتيل تقدير الدية، وهذا أيضاً دليل على قوة يحسب للسلطان بيبرس أمام أعدائه، وكذلك الحال بالنسبة للصلح مع بيروت، والإصرار على رد الأموال والمراكب أمام أعدائه.

- **الهدنة والصلح بين بيبرس والإستبارية [1] في حصني الأكراد[2]والمرقب[3] (665هـ -1267م)**

هادن السلطان الظاهر بيبرس الإسبتار بحصن الأكراد والمرقب سنة (665هـ / 1267 م) لمدة عشر سنين متوالية، وعشرة أشهر، وعشرة أيام، وعشر ساعات[4] ، ولعل البعض هنا يسأل ما هي دواعي هذه الهدنة والصلح إذا كان السلطان بيبرس يدرك أن المواجهة مع أعدائه مفتوحة؟

إن من يتطلع إلى خريطة المنطقة في تلك المرحلة يدرك أهمية هذا الأسلوب الذي اتبعه بيبرس، حيث كانت البلاد المصرية، والبلاد الشامية، محاطة من كل جانب بالأعداء، فمن الشمال مملكة أرمينية الصغرى، ومن الغرب الفرنجة، ومن الشرق المغول الطامع في الانتقام والغنائم، ومن الجنوب أهل النوبة، فضلاً عن الأخطار الداخلية.

وبذلك تعد هذه الهدنة واحدة من أهم الهدن ذات الدلالات الجدية في التعامل مع الخصوم والأعداء نظراً لشمولية ما تضمنت من بنود،فقد تناولت توضيحاً كاملاً للجغرافيا المشمولة في هذه

---

[1] . **الإسبتارية**، حيث أطلق المؤرخون المسلمون هذا الاسم على جمعية فرسان الهسبتاليين(Hospitallers) التي يرجع تأسيسها إلى عام (493هـ/ 1099 م) على يد بلسيد جيرارد بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس، وكانت دارها قبل ذلك بزمن طويل مأوى الحجاج والمرضى من المسيحيين ، المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق1/ 68؛الصوري: وليم، **الحروب الصليبية**،103/3؛ سميث: رايلي، **الإسبتارية**، 322؛ عوض: محمد، **الحروب الصليبية**،31.

[2] . **حصن الأكراد**، هو حصن منيع على الجبل الذي يقابل حمص من جهة الغرب، للمزيد ينظر: الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، مج2/ 264 .

[3] . حصن المرقب بالفتح ثم السكون، والقاف ، وباء موحده، بلد وقلعة خصبة تشرف على ساحل بحر الشام، وعلى مدينة بانياس بساحل جبله، وهو حصن يحدث من رآه أنه لم ير مثله، الحموي: ياقوت ، **معجم البلدان**، 5/ 108.

[4] . النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 295/30؛ ابن عبد الظاهر:محيي ، **الروض الزاهر**، 266-283؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**،1/ ق2 68-69، **التحفة الملوكية**، 60؛ القلقشندي:عبد الله ، **صبح الأعشى**، 14/ 13 ؛ علي، محمد كرد، **خطط الشام**، 2/ 115؛ العسقلاني المصري:شافع، **الفضل المأثور في سيرة الملك المنصور**، 140- 142 ؛علي: محمد كرد، خطط الشام، 115/2

الهدنة بلا غموض وبلا مواربة، وظهر ذلك في تأكيد الطرف الإسلامي على أدق تفاصيل هذا البند منعاً لتهرب الطرف الفرنجي من التزامه ، كما ركزت الهدنة على قضية حق كل طرف الاستفادة من ثروات وخيرات المناطق الواقعة تحت سيطرته، وتحديداً الغلات والثروات، بمعنى استقلالية التصرف بالمناطق المشمولة في الاتفاق أو الهدنة، وفي ذلك قوة وندية لا إذلال، وكذلك موضوع الضرائب التي يجب أن تفرض على الجميع وبنفس المستوى، لا أن تكون قضية الضرائب سيفاً مسلطاً على رقبة طرف نظراً لتمتع الجميع بالممرات البرية، والبحرية، دون هيمنة من أحد، إلى جانب الإدارة التي أخذت سمة المناصفة في حدود المناطق التي يسيطر عليها كل طرف، وإتاحة المجال للجميع بحرية السفر والحركة دون قيود، ودون رسم حدود أحادية، أو صنع معازل تجزئ الجغرافيا [1] .

وكذلك التأكيد على الجوانب القانونية في التعامل وبشكل متساو، وخاصة قضايا التهريب وخرق الحدود بلا إذن، وقضايا التهرب من الضرائب، فضلاً عن ضرورة توفير الأمن لكل الأطراف وبشكل متبادل، لا أن يكون طرف مستباحاً من الطرف الآخر، كما أن مضمون الهدنة تناول حرية السفر والتنقل وضرورة توفير الحماية بشكل متبادل، وكذلك التعاون المشترك لضبط الأوضاع على قاعدة ندية، وكذلك ضمان حرية التجارة، و ضبط الحدود، والمسروقات، والتهريب، وتبادل المعلومات حول القضايا كافة التي تؤكد استقلالية وكرامة كل طرف، وتسليم الفارين من العدالة، وتأكيد دوام الهدنة واستمراريتها، وبمضمونها المفصل حتى في حال موت الأطراف الموقعة عليها، ولا يجوز لخلفاء الأطراف الموقعة نقضها أو الانتقاص من مضمونها لمبررات وأسباب قد تفتح المجال لعودة الصراع إن لم تكن تلك الهدن والمعاهدات منصفة للجميع. [2]

شكلت هذه الهدنة نموذجاً وقاعدة في العلاقات الدولية، بمعنى أن صلاحية المضمون المستند لشرعية القوة تصلح لأن تكون أساساً يقتدى به، ومع أن السلطان بيبرس كان ومن خلال هذه الهدنة

---

[1] . بيبرس المنصوري: الدوادار، **مختار الأخبار**، 36 ؛ حمادة: محمد ماهر ، **وثائق الحروب الصليبية**، 261 – 264 .

[2] . القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 14/ 31–39 ؛ حمادة :محمد ماهر، **وثائق الحروف الصليبية**، 264 –270.

قوة أكدت انه لا يجوز التهاون مع الأعداء سلماً ،أو حرباً ، لأن نقض الهدن وتجاور المضامين مُبررٌ متى ما كانت الظروف تفرض ذلك تبعاً لموازين القوى،وشكل التحالفات التي قد تظهر لاحقاً [1]

- **الصلح والأمان بين السلطان بيبرس وعدد من البلاد والقلاع الفرنجية (666 هـ / 1268 م)**

على الرغم من إقرار وتثبيت السلطان بيبرس لعدد من الهدن والمعاهدات، إلا أنه كان يدرك أن عدم الاستقرار كفيل بنقض هذه الهدن، وتجاوز المضامين الحرفية لها، فها هو يعود في عام (666هـ/1268م) ليقوم بفتح يافا بالسيف، وقلعتها بالأمان ثم هدمها، ثم حاصر الشقيف[2] عشرة أيام، وأخذها بالأمان، ثم أغار على أعمال طرابلس، وقطع أشجارها، وغور أنهارها، ثم أخضع حصن الأكراد ورحل إلى حماة، ثم إلى أفامية [3]، ساق وباغت أنطاكية، فأخذها في أربعة أيام، وحصر من

---

[1] . لمزيد من التفاصيل حول مضمون الهدنة المعقودة بين السلطان بيبرس والاستبارية في حصني الأكراد والمراقب ينظر : القلقشندي:عبد الله، **صبح الأعشى**، 14/ 31-39 ؛ حمادة: محمد ماهر، **وثائق الحروب الصليبية**، 261-270 .

[2] . الشقيف:بالعربية قلعة شقيف أرنون، وبالفرنجية الحصن الجميل، وهي قلعة في جنوب لبنان، فوق جرف جبلي شديد الانحدار ارتفاعه 200 م، مقابل نهر الليطاني، وتتحكم بالمنافذ الجنوبية لهضبة البقاع الخصيبة وقد حاصر السلطان بيبرس القلعة، وأضطرها إلى الاستسلام بعد أسبوعين تقريباً باستخدام الآلات الضخمة أعيد تجديد القلعة على يد حاكمها الجديد الأمير صارم الدين قايماز الكافري ينظر: الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 3 / 309 ؛ فولفغانغ، مولر، **القلاع أيام الحروب الصليبية** ، 80 ؛حتى: فليب، **تاريخ لبنان**، 358 ؛ رانسيمان: ستيفين، **تاريخ الحروب الصليبية**، 2/ 677.

[3] . **أفاميه:** ويقال أفاميا وفاميا، وهي من عمل شيزر ، وبها بحيرة حلوة، ويشفها نهر العاصي، ينظر: ابن كنان: محمد، **المواكب الإسلامية**، 2/ 78 .

قاتل بها فكانوا أكثر من أربعين ألفا، ثم أخذ بغراس[1] بالأمان، وتوجه إلى الغوطة[2] وسيطر عليها، ثم صالح أهلها على ستمائة ألف درهم، فاضطر الناس إلى بيع بساتينهم بالهوان. [3]

هذه الأمانات والصلح المعقود بين السلطان بيبرس هي مقدمات هامة تؤثر إيجاباً لجهة التغيير في الخارطة السياسية والجغرافية، ولصالح المماليك آنذاك، بدليل ما ترتب عليها من سيطرة كاملة لهم على المنطقة بأكملها.

- **الصلح بين السلطان بيبرس والفرنج في قلعة القُرين(666 هـ / 1268 م)**

تذكر المصادر أنه في منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، كانت قلعة القُرين في منأى عن الهجمات الإسلامية، بسبب الصراع بين الملوك الأيوبيين في مصر والشام من جهة، وبين اجتياح المغول في العام (656–658 هـ/ 1258–1260م) من جهة ثانية إلا أنه وبعد دحر المغول وهزيمتهم في معركة عين جالوت عام (658 هـ/1260م)، قام بيبرس في عام (666هـ/1268م) بشن هجوم على قلعة القرين إلا أنه أجبر على الانسحاب منها، بعد أن وقع صلحاً مع حاكم عكا، وكان من أهم بنوده فيما يتعلق بقلعة القُرين هو إبقاء عشر قرى تابعة لها، وباقي القرى التابعة لها تكون مناصفة بين المسلمين والفرنج[4]، إلا أن الظاهر بيبرس عاد وحاصرها في عام (670 هـ/ 1272م) وفتحها. [5]

---

[1] . المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 619 –620 .

[2] . **الغوطة:** من أعمال دمشق ببلاد الشام، ومياهها تخرج من عين الفيجه، ويتفرع منها عدد من الأنهار، الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مج1/ 367 .

[3] . الذهبي: محمد، **العبر في خبر من عبر**، 314/3؛ ابن العماد الحنبلي: عبد الحي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** 321/5–322 ؛ ابن عبد الظاهر:محيي، **الروض الزاهر**، 292–294 ؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، ، **زبدة الفكرة**، 62؛ عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية**، 2/ 1149؛ ابن أيبك: أبو بكر عبد الله الدوادار: أبو بكر بن عبد الله، **الدرة الزكية في اخبار الدول المملوكية**، 124–125؛ **تاريخ ابن الوردي**:عمر، 2/ 219؛ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 13/ 251 ؛الحريري: أحمد بن علي، **الأعلام والتبيين**، 62–63 .

[4] العيني: محمود، **عقد الجمان**، 2/ **حوادث 665 –688** ، 1266 ، 1289.

[5] . ابن عبد الظاهر:محيي ، **الروض الزاهر**، 385 ؛ ابن تغرى بردى: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 153 ،

وبعد هذا الصلح معالقُرين أراد السلطان التوجه إلى الديار المصرية، إلا أنه وقبل المغادرة وردت إليه رسل الفرنج من عكا وغيرها لمواصلة الصلح والتأكيد عليه، فوافق على ذلك، وكتبت بينهما هدنة لمدة عشر سنوات، كان من أهم بنودها أن تكون عكا وبلادها للفرنج وكذلك حيفا، أما بلاد الكرمل فتكون مناصفة بين الطرفين، أما قلعةالقُرين فهي للفرنج ، وصيدا بالتساوي[1]، إلا أن الظاهر بيبرس عاد مرة أخرى وحاصرها في عام (670 هـ / 1272 م) وفتحها بعد أن فتح قلعتي كوكب الهوا وصفد. [2]

- **الصلح بين السلطان بيبرس وصاحب يافا (666 هـ / 1268 م) :**

كان الصلح قد استقر بين السلطان وصاحب يافا جوان ديكين(Jwan Dicken)، فصار نوابه يتعدون، وسيروا متجرمة في زي صيادين إلى مناطقهم، فاتفق هلاك صاحب يافا، وقيام ولده جاك (Jack) بعده[3]، ولما كان السلطان في صفد لعمارتها حضر إليه قسطلان [4] يافا، وسأله في هدنة لولد صاحبها، فامتنع السلطان من ذلك، ثم وصلت الأخبار بأن أهل يافا يحملون الميره إلى عكا وكانت ممنوعة عنها، وأقاموا في يافا حانة، و أوقفوا فيها عدة من المسلمات، واعتمدوا أسبابا ليست في الهدنة، ومع ذلك سار السلطان إلى يافا فالتقاه القسطلان وأكابر يافا، فبذلوا للسلطان تسليم المدينة والقلعة على أن يطلقوا بأموالهم وأولادهم فأجيبوا إلى ذلك، ومع ذلك وجدنا السلطان وعساكره يزحفون على القلعة ليتسلمها من أهلها في اليوم التالي ومنع السلطان نهبها، وجهز أهل القلعة على مأمنهم، وشرع في هدم القلعة فهدمت[5]. وهذا السلوك من جانب السلطان الظاهر بيبرس يبين أن الالتزام بالهدن والمعاهدات مرتبط بشكل أساس بمصالح المسلمين، وتطورات الأحداث مرتبط بصمود هذه الهدنة أو تلك، وهذا ما حصل مع قلعة يافا التي لم يشفع لها ما كان من تفاهمات وهدن سابقة.[6]

---

[1] . ابن عبد الظاهر:محيي ، **الروض الزاهر**، 263؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 571 ؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، 32/2؛ الصوافي: طالب، **القلاع والحصون في شمال فلسطين**، 273 .

[2] . ابن عبد الظاهر: محيي ، **الروض الزاهر**، 385 ؛ ابن تغرى بردى: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 153 ؛ الصوافي: طالب ، **القلاع والحصون، في شمال فلسطين**، 165.

[3] . النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 30/ 298 .

[4] . قسطلان: **مستحفظ الحصن**، المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 524 .

[5] . النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 30/ 299.

[6] . العبادي: أحمد مختار، **في التاريخ الأيوبي والمملوكي**، 213 – 214 .

•الهدنة بين السلطان بيبرس، وصاحب طرابلس (669 هـ / 1271 م):

لم تكن رغبة السلطان بيبرس في السيطرة على طرابلس بعيدة عن الفهم الاستراتيجي في عقله، نظراً لما تمثله طرابلس من عمق هام في المواجهة مع الفرنج، فبدأ بالسيطرة على مناطق الجوار في محاولة منه لشحذ همم العساكر من أجل حصار طرابلس ومقاتلتها، ثم خيم يوم السبت 4 شوال/ 16 أيار (669هـ/1271م) بالعساكر على طرابلس[1]، إلا أن حلمه لم يتحقق بعد أن بلغه وصول حملة فرنجية جديدة إلى الشرق نزلت في عكا.

وإذا كان السلطان بيبرس قد صرح بتغيير هدفه بعد وصول الحملة الفرنجية إلى عكا، فإنه لم يشأ أن يغادر ربض طرابلس قبل أن يثبت سيادته على البلاد التي فتحها، بل أراد أن يقطف ثمار ما أحدثته هذه الفتوحات في قلوب الفرنج في طرابلس من وهن وخوف، وله أن يغتنم هذه الفرصة فيفرض شروطه على بوهيمند السادس(Bohemond VI)، ولذلك سير إليه الأتابك " فارس الدين" والأمير سيف الدين بلبان الرومي الدوادار" ليبلغاه مقترحاته، فدخلا طرابلس، واجتمعا به، وحضر اللقاء مع يوهيمند (Bohemond)، صاحب طرابلس،" عبد الله بن أبيك" والد المؤرخ " أبي عبد الله الدواداري". إذ كان مع مخدومه" سيف الدين الدوادار" فقال:" **إن صاحب طرابلس التقاهم ملتقى حسناً وقام بواجب خدمتهم أتم قيام**"، ثم عرضوا مقترحات للسلطان الظاهر، وشروطه والتي منها:

---

[1] . البرزالي:القاسم بن محمد، **تاريخ البرزالي**، 1/ 232 ؛ النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 30/ 331 ؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **مختار الأخبار**، 45؛ الذهبي: محمد، **تاريخ الذهبي: محمد** ، 2/ 55؛ ابن عبد الظاهر:محيي، **الروض الزاهر**، 383–384؛اليونيني: موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 2/ 448؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **التحفة الملوكية في الدولة التركية**، 72؛ الذهبي: محمد، **دول الإسلام**، 2/ 172؛ **عيون التواريخ**، 2/ 409 ؛ **تاريخ ابن خلدون** 5 /390 ؛الحريري: أحمد بن علي، **الأعلام والتبيين**، 64 .

أن يكون للظاهر بيبرس قسم مناصفة" من أعمال طرابلس ، وأن يكون له دار وكالة فيها، وأن يعطى جبله[1]، واللاذقية [2] بخراجهما بأثر رجعي منذ أيام الناصر صلاح الدين الأيوبي حتى تاريخه ، وأن يعطى نفقات العساكر من يوم خروجه. [3]

وقد عدّ بوهيمند أن هذه المقترحات تشكل امتهاناً وإذلالاً لكرامته، فعمد إلى رفضها، ورد على الوفد المفاوض بقوله: " إن السلطان لما أخذ أنطاكية مني بالسيف كان عذري مبسوطاً عند الفرنج، ولما قصد حصن عكا طلب مني أن أنزل عن نصف بلادي، فلم أجبه خوفاً من الفرنج أن يعيروني بتسليمي البلد من غير قتال، وأنا أعلم أني لا أقدر به، ولكني لا يحسن بي أن أسلم إليه البلد من غير قتال، حتى لا يكون ذلك سبة علي بين ملوك الفرنج"[4]، فعزم على القتال، وقرن رفضه بإعطاء الأوامر بتحصين طرابلس مما أثار السلطان بيبرس [5] فزاد في مطالبه إمعاناً في إثارة الخوف اتجاه الفرنجة اولاً ، وإثبات القوة ثانياً، وحتى تكون عبرة للفرنجة في المفاوضات القادمة ثالثاً وكان من أهم شروطه:

1. أن تكون عرقة[6] وجبيل[7]وأعمالهما لبوهيمند(Bohemond).
2. أن تكون عرقه وأعمالها– وتحتوي على ست وخمسين 56 قرية– صدقة من الملك الظاهر على بوهيمند (Bohemond) ويبدو أنه إذا كانت شروط السلطان الظاهر هذه المرة قد

---

[1].جبلة: هي قلعة مشهورة بساحل الشام، من أعمال حلب قرب اللاذقية، كانت بيد الفرنج إلى أن استردها صلاح الدين الأيوبي، في سنة 584 ، ينظر: الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 2 / 105 .

[2].**اللاذقية:** بالذال معجمه مكسورة، وقاف مكسورة، وياء مشدده: هي مدينة في ساحل بحر الشام تعد في أعمال حمص، وهي غربي جبله بينهما ستة فراسخ، وهي الآن من أعمال حلب، ينظر: الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 5/5.

[3] . اليونيني:موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 450/2 ، ابن تغري بردي:يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7 / 137 ، 139/ 152 .

[4] .تدمري: محمد عبد السلام، **تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور**، 1/ 405 – 406.

[5] . ابن تغرى بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 137.

[6] . **عرقة** : بكر أوله، وسكون ثانيه، بلده في شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهي آخر عمل دمشق، وهي في سفح جبل ، وعلى جبلها قلعة لها. ينظر: الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 4/ 109.

[7] . **جبيل** : مدينة لبنانية تقع على ساحل البحر المتوسط وتبعد 38 كيلو متراً إلى الشمال من بيروت، ينظر: أبو حجر ، آمنة ، **موسوعة المدن العربية**، 414 .

تحمل طابع التساهل بالنسبة لشروطه الأولى، وذلك يرجع إلى تكرار الهجمات المغولية دون توقف.[1]

3. اقتسام غلة ساحل أنطرسوس، والمرقب، وبانياس، مع الداوية والإستبارية ، مقابل تنازلهما عن بعرين وحمص القديمة للظاهر بيبرس.

إلا أن الشرط الثالث والأخير كان قد أثار بوهيمند (Bohemond) على ما يبدو فأنف إبرام الاتفاق، ولما بلغ بيبرس امتناعه أظهر تصميمه على ما شرطه حتى استجاب بوهيمند (Bohemond) ووافق، وتم توقيع عقد الصلح بينهما لمدة عشر سنين، وعشرة أشهر، وعشرة أيام، تبدأ يوم الأربعاء 8 شوال /20 أيار من عام (669 هـ / 1271م). [2]

وأمام هذا الواقع الجديد تجهز الأمير " فخر الدين بن بلبان"، والقاضي شمس الدين الأخنائي، شاهد الخزانة، بثلاثة آلاف دينار مصرية، فدخلا طرابلس لفكاك الأسرى المسلمين[3] ، ثم ما لبث أن عاد السلطان بيبرس إلى حصن الأكراد ليتفقد عمارته، وقام بترتيب الجهات لوضع عقد الصلح مع الفرنج موضع التنفيذ، وقد أظهر السلطان اهتماماً كبيراً بحصني الأكراد وعكار لأهمية موقعهما وخطرهما بالنسبة لطرابلس وأعمالها. [4]

---

[1] . اليونيني: موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 2/ 450 ؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكر**ة، 98/9 ؛ ابن تغري بردي:يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 152 .

[2] . تدمري ، محمد عبد السلام: **تاريخ طرابلس السياسي والحضاري**، 1/ 406؛ المنصوري بيبرس: الدوادار ، **مختار الأخبار**، 44-45 ؛ ابن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب**، 5/ 328؛ ابن عبد الظاهر:محيي : **الروض الزاهر** 383 ؛ الذهبي: محمد ، **دول الإسلام**، 2/ 172؛ الكتبي: محمد، ؛ **عيون التواريخ**، 20/ 401 ؛ العيني: محمود، **عقد الجمان، حوادث 648 –** 664 هـ 2/ 77؛ النويري:أحمد، نهاية الأرب، 30/ 331 – 332 ، البرزالي: القاسم بن محمد، **تاريخ البرزالي**، 1/ 232 ، ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 290 ؛ علي: محمد كرد، **خطط الشام**، 2 / 114؛ تدمري : محمد عبد السلام، **تاريخ طرابلس السياسي والحضاري**، 1/ 406

[3] . المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ق2/ 593 .

[4] . تدمري: محمد عبد السلام، **تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبد العصور**، 406/1؛ حسين: حميدي، **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، 177.

- **الهدنة بين السلطان بيبرس وملكة بيروت ايزابيلا [1] (667هـ / 1269 م):**

يبدو أن العلاقة بين السلطان بيبرس وملكة بيروت إيزابيلا(Isabella) كانت ودية وقائمة على الاحترام المتبادل، فبعد عقد الهدنة لوحظ الانسجام والالتزام بين الطرفين، وقد تضمنت الهدنة عدداً من البنود الهامة وهي :

- تحديد المناطق الجغرافية التي تشملها الهدنة بشكل دقيق ومفصل.
- التأكيد على أمن المتنقلين في بلاد بيروت، وجوارها من جهة الملكةبراً ، وبحراً، ليلاً، ونهاراً، وكذلك ضبط الرسوم والضرائب، وكذلك رد المسروقات، وضبط التهريب، وتحديد ذلك بمدة زمنية من جهة كل الأطراف، وكذلك الوقوف أمام قضية القتل العمد والخطأ، وتحديد المعالجات سواء العوض، أو الدية، أو السداد، إضافة لتحديد قواعد عودة وإعادة الهاربين لكلا الاتجاهين، وعدم السماح لأحد من الفرنج أو سواهم بدخول أرض السلطان من جهة أراضي الملكة وحفظ البلاد من المجرمين. [2]
- وقد حددت مدة الهدنة بعشر سنين، وأوضحت الدراسات ذات الشأن أن مستوى الالتزام بالهدنة ونصوصها كان عالياً من الجانبين، لدرجة أن ملكة بيروت حينما كانت تريد السفر أو مغادرة بلادها تودعها عند السلطان بلا تحفظ أو خوف. [3]

---

[1] . ملكة بيروت: إيزابيلا: هي الابنة الكبرى للملك جان دي أيلن الثاني(Jean de ibelin II) وقد خلفته بعد وفاته وأصبحت ملكة بيروت (662هـ-680هـ /1264-1282 م)، القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 14/40-42.

[2] . حمادة:محمد ماهر، **وثائق الحروب الصليبية**، 1/ 276-279/ علي: محمد كرد، **خطط الشام**، 2/ 116.

[3] . للإطلاع على تفاصيل الهدنة: ينظر: القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 14/ 40-42 .

الهدنة بين السلطان بيبرس والفرنج على قلعة لد[1]عام (669 هـ- 1271 م)

تعدُّ هذه الهدنة واحدة من الهدن الهامة في التاريخ الإسلامي، نظراً لمجيئها في مرحلة حساسة وخطيرة فيما يتعلق بشكل العلاقات المستقبلية بين المماليك والفرنج (الصليبيين) في ظل اشتداد الصراع بين الطرفين على أكثر من جبهة، ولعل نصوص الهدنة ومضامينها تشير إلى مخاوف واضحة لدى كل الأطراف، حيث إن هذه الهدنة عقدت بين السلطان بيبرس وولده الملك السعيد، والفرنج، و الإستبارية على قلعة لد، إذ أكدت أن قلعة لد والجهات المذكورة إلى آخر الزائد للسلطان بيبرس، ولا يكون لبيت الإسبتار، ولا للمرقب، ولا لأحد من الفرنجة فيها حق ولا طلب بوجه ولا سبب إلى حين انقضاء مدة الهدنة. [2]

ويتبين أن نصوص الهدنة كانت على درجة عالية من الدقة والوضوح بدءاً من التحديد الزمني لها، والتحديد الواضح للجغرافيا مساحة ومسميات وتحديد مناطق السيطرة المطلقة للسلطان وبلاد المناصفات، وكأن الحرص يشير لرغبة السلطان في وضوح العلاقة دون لبس أو غموض كإشارة للرغبة في استقرار الهدنة، وكذلك تحديد ما يتعلق بمكان إقامة المقدم الكبير " افرير اولدكال"(Friar old kal)[3] مقدم الإسبتار، وحدود حركته في المناطق المشمولة في الهدنة، وعدم توفير حماية لأي كان إذا ما تعلق الأمر بالقوانين والأنظمة، مع الإشارة لأهمية توفير الأمان والاطمئنان على النفوس والأموال، والاتفاق على ضبط الأمور الإدارية، والتأكيد على أن الجناة المسلمين لا يحاكمون إلا في محاكم إسلامية، وتحديد جهات الاختصاص والتصرف فيما يتعلق بالبضائع، مع إشارة لحرية الملاحة واستخدام الموانئ، والتأكيد على قواعد مكافحة الجريمة والقتل، ولعل اللافت في هذه الهدنة إشارتها الواضحة لأهمية، استمرارها بعد وفاة من وقعوها بمعنى عدم

---

[1] . **قلعة لد:** اللد مدينة تقع على مسافة 16 كيلاً جنوب شرق يافا، وحوالي خمسة أكيال شرق توأمها الرملة، ترتفع 50 متراً عن سطح البحر، بنى فيها السلطان بيبرس جرس جنداس، وكانت قلعتها ذات أهمية ، ينظر: شراب، محمد حسن، **معجم بلدان فلسطين**، 214.

[2] . القلقشندي: عبد الله ، **صبح الأعشى**، 14/ 43 ؛ علي:محمد كرد ، **خطط الشام**، 2/ 116.

[3] . **أفرير أولدكال:** هو مقدم الجليل، مقدم جميع بيت اسبتار سرجوان بالبلاد الساحلية، وهو المسؤول عن الاسبتارية في تلك المواقع الساحلية، القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 14/ 42.

انتهائها بموت القادة، وكذلك أكدت الهدنة أهمية الاتفاق على مسائل البناء، وتجديده، وربط ذلك بقرار وتوافق، وكذلك الحال بالنسبة للترميم، وتنظيم عمليات دخول الأجانب وخروجهم براً وبحراً.[1]

وقد تميزت هذه الهدنة بقضية غاية في الأهمية وهي الإشارة الواضحة لآليات حل المشكلات والتداعيات في حال فسخ الهدنة بين الطرفين، حيث أكدت على أن التجار، والسفراء، آمنون من الجهتين، ويعطوا مهلة لمدة أربعين يوماً، وأنها لا تفسخ بموت أحد من الجهتين، ولا بعزل وال وقيام غيره موضعه، ولا زوال رجلٍ غريبه ولا حضور يد غالبه، بل يلزم كلاً من الجهتين حفظها إلى آخرها، ومن تولى بعد الآخر حفظها إلى آخرها بالشروط المشروطة فيها أولاً وأخيرا. [2]

- **الصلح بين السلطان بيبرس وأنطرطوس والمرقب (669 هـ / 1271 م):**

يقال إن كمندور أنطرطوس، ومقدم بيت الإسبتار قد سألوا السلطان على الصلح فأجابهم على أنطرطوس خاصة، خارجاً عن صافيتا[3]، وبلادها، وعلى المرقب، واسترجع منهم بلدة وأعمالها وما أخذوه في الأيام الناصرية، وعلى أن جميع ما لهم من المناصفات على بلاد الإسلام يتركونه، وعلى أن تكون بلاد المرقب، ووجوه أمواله مناصفة بين السلطان وبين بيت الإسبتار وعلى أن لا تجدد عماره بالمرقب، وحلف لهم السلطان على ذلك، وتوجه لتحليف المقدم المذكور بانطرطوس الأمير فخر الدين المقري الحاجب، وأخلى الفرنج برج قرميص[4]، وأحرقوا ما لا يمكنهم حمله من موجودهم، وهدموا بعض أجزاء البرج وحرقوه، ورسم السلطان بهدم بقيته[5]، ويقال أن الصلح بين السلطان والمرقب قد تم في مستهل رمضان/ نيسان، حيث وصلت رسل صاحب

---

[1] . القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 14/ 42–50 ؛ حمادة: محمد ماهر، **وثائق الحروب الصليبية**، 283– 291.

[2] . حمادة : محمد ماهر ، **وثائق الحروب الصليبية**، 291 ، ولمزيد من التفاصيل ينظر : القلقشندي:عبد الله ، **صبح الأعشى**، 14/ 42.

[3] .الذهبي: محمد، **تاريخ الإسلام**، 55؛ البرزالي: القاسم بن محمد، **تاريخ البرزالي**، 1/ 229 .

[4] . برج قرميص ويقال (قرفيص): هي خصبة على الساحل السوري، وبرها برج، نزل إليها السلطان المنصور قلاوون بعد أن قرر أمر حصن المرقب في العام (684 هـ / 1285 م) عندما رحل إلى الوطأة بالساحل، وأقام بمرج قرفيص، ينظر: أبو الفداء: اسماعيل، **تقويم البلدان**، 2/ 355.

[5] . المقريزي: أحمد،**السلوك**، 592/1؛ النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 30/ 328؛ ابن الوردي:عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 2/ 314 .

المرقب إلى السلطان فصالحهم مناصفة، وقررت الهدنة عشر سنين ونزل السلطان بسفح صافيتا.[1]

وهنا يلاحظ أن هذا الصلح يعقد بشروط السلطان، كدليل قوة في التفاوض ووضوح في الأهداف وتحديداً إخراج صافيتا من دائرة الاتفاق، وفرض قضية منع أحداث أي تغيير في مناطق الاتفاق، وتحديداً منع عمارة المرقب.

- **الهدنة بين السلطان بيبرس والفرنج في حصن الأكراد (669 هـ / 1271 م) :**

تشير المصادر التاريخية إلى أن حصن الأكراد شكل قوة فعل مركزي في المنطقة لحصانته، بدليل اهتمام المماليك وسواهم به، حيث فتحت الباشورة الثانية من حصن الأكراد يوم السبت 7شعبان ، وفتحت الثالثة الملاصقة للقلعة يوم الأحد 15 شعبان/ 29 آذار من الشهر نفسه، وكان المحاصر لها الملك السعيد، والخزندار، وبيسري، ودخلت العساكر البلد بالسيف، وأسروا من فيه من الجبلية والفلاحين، ولما حصل الاستيلاء على حصن الأكراد، كتب صاحب انطرسوس إلى السلطان يطلب المهادنة منه، وبعث إليه مفاتيحها، ومن الدخل نصف ما يتحصل من غلال بلاده، وجعل عندهم نائباً من قبله. [2]

وبعد سلسلة أحداث تعرض لها محيط الحصن، كتب السلطان كتاباً على لسان مقدم الفرنج بطرابلس إلى من بالقلعة يأمرهم بالتسليم، ثم طلبوا الأمان، فكتب لهم أماناً على أنهم يتوجهون إلى بلادهم، وفي يوم الثلاثاء 14شعبان/28 آذار خرج الفرنج من القلعة، وجهزوا إلى بلادهم،

---

[1] . البرزالي:القاسم بن محمد، **تاريخ البرزالي**،1/ 230؛ الذهبي: محمد، **تاريخ الإسلام**، 54؛ ابن كثير:اسماعيل، **البداية والنهاية**،13/ 259؛ الكتبي: محمد، **عيون التواريخ**، 2/ 400؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1 /ق2/ 591 –592؛ابن ابي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**، 1/ 189؛ **التحفة الملوكية**، 70.

[2] . ابن عبد الظاهر:محيي، **الروض الزاهر**، 375 –386 ؛ بيبرس المنصوري: الداودار، **زبدة الفكرة**، 127–128 ؛ بيبرس المنصوري: الداودار، **مختار الأخبار**، 45/ **التحفة الملوكية**، 70؛ النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 30/ 176 ، 325 – 326 ؛ أبو الفداء:اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 4/ 6؛ الذهبي: محمد، **تاريخ الإسلام**، 53؛ ابن ابي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**، 1/ 186 ؛ ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية** 2/ 259 ؛ابن تغري بردى: يوسف، **النجوم الزاهرة** 7 /150 ؛ البرزالي: القاسم بن محمد، **المقتفي على كتاب الروضتين تاريخ البرزالي**، 1/ 288 .

وتسلم السلطان الحصن، ورتب الأمير صارم الدين الكافري نائباً بحصن الأكراد، وفوض أمر عمارة الحصن إلى الأمير عز الدين أيبك الأفزم، وعز الدين أيبك الشيخ. [1]

وبذلك فإن سقوط حصن الأكراد كان مقدمة، إلا أن صاحب أنطرطوس بعث إليه مفاتيح المدينة وطلب مهادنته خوفاً من أن يكون مصيرها كمصير حصن الأكراد، فصالحه كما ذكرنا على نصف غلالها، ووضع فيها نائباً عنه، وكذلك فعل في المرقب، وقررت الهدنة معه، ومع صاحب حصن الأكراد، في أول رمضان/ أيار من عام (667 هـ/ 1268م) ولمدة عشر سنين، وعشرة أشهر، وعشرة أيام[2]، وأخليت عدة حصون تسلمها بيبرس. [3]

- **الأمان والصلح بين السلطان بيبرس وحصن عكار (669 هـ / 1271 م) :**

الحديث عن القلاع والحصون في التاريخ الإسلامي هو انسجام طبيعي مع ظروف القتال وأدواته آنذاك، حيث شكلت القلاع والحصون عناوين مقاومة وصمود، وفي يوم 17 رمضان/ 21 أيار عام (669هـ/1271م) نزل السلطان بيبرس حصن عكار[4]،الذي قام بوهيمند السادس (Bohemond VI) بعمارته منذ وقت قريب[5] وقبل أن يبدأ الهجوم مهد الطرقات حوله لطلوع المنجنيقات، ثم رماه وقاتل أهله قتالاً شديداً ، ونقب تحت أسواره حتى خسف منه قسماً كبيراً، مما أجبر المدافعين عنه لطلب الأمان، على أن يسمح لهم بالتوجه والرحيل إلى طرابلس فأجابهم إلى ذلك وخرجوا واستلمه ليلة عيد الفطر من العام المذكور[6].

---

[1] . النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 30/ 327 ؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 566/1 .

[2] . ابن تغري بردى: يوسف ، **النجوم الزاهرة**، 7 / 151 ؛ **الدرة الزكية**، 154- 155 .

[3] . المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق 2 /592 .

[4] . **حصن عكار:**" AKKAR "بالعربية حصن عكار العتيقه، والفرنجية أكار، وهو عبارة عن قلعة صغيرة في شمال لبنان، 25 ميلاً تقريباً إلى الشمال الشرقي من طرابلس،ويقع فوق جرف جبلي على السفوح الشمالية لجبل= عكار: ينظر فولفغانغ، مولر، 60 ، القلقشندي: عبد الله ، **صبح الأعشى**،4/ 150؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين المماليك وإيلخانية فارس**، 181.

[5] . النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 102/28 ؛ ابن شداد:عز الدين، **الاعلاق الخطيرة**، 2 / ق2 / 118؛ علي: محمد كرد، **خطط الشام**، 2/ 114؛ عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية**،2/ 1106.

[6] . بيبرس المنصوري: الداودار، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، 129/9 ؛ اليونيني:موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 449/2 ؛ أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 4/ 6؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق 2 / 592 ؛ ابن تغري بردى: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 152 ؛ البرزالي: القاسم بن محمد، **تاريخ البرزالي**، 1/ 231 ؛ الذهبي: محمد، **دول الإسلام**، 2/ 72 ؛ ابن أبي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**، 1/ 190 – 191 ؛ تدمري: محمد عبد السلام، **تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور**، 1/ 404 .

ودخل السلطان هذا الحصن ورتب فيه نواباً وكان حصن عكار المذكور كثير الضرر على المسلمين[1]، وبعد منازلة السلطان لهذا الحصن وأخذه بالأمان، تذلل صاحب طرابلس، وبذل له ما أراد، وهادنه عشر سنين[2]. وبعد هذا الفتح أرسل السلطان بيبرس إلى بوهيمند السادس(Bohemond VI) يحذره ويتوعده، وأرسل له رسالة شفهية مع أحد الفرنج الاسبتار طابعها التهديد والتخويف منعته من الخروج والركوب للصيد، وبهذا الانتصار انتهى أمر حصن عكار، وأصبحت الطريق ممهدة أمام المماليك باتجاه طرابلس وباقي المناطق [3] .

الهدن بين السلطان بيبرس وهيو الثالث: [4] (669 هـ / 1271 م):

إن سرعة تصفية الإمارات الفرنجية قد دفعت السلطان بيبرس إلى التمهل بعد ظهور ما يدل على تجهز مغول فارس لاستئناف تحركاتهم ضد بلاد الشام، كما ترددت شائعات حول قيام لويس التاسع (Louis IX) ملك فرنسا بإعداد حملة فرنجية(صليبية) ضخمة لإرسالها إلى الشرق الإسلامي، فلجأ السلطان إلى شيء من الدبلوماسية لحماية أملاكه في بلاد الشام ومصر، واستجاب لطلب هيو الثالث(Heo III) بعقد هدنة لمدة عشرة أعوام[5] ، وكانت هذه الهدنة مهمة للفرنج حيث أتاحت لهم في بلاد الشام فترة من الراحة، حاول خلالها هيو الثالث(Heo III) أن يقوي الجبهة الفرنجية لمواجهة المماليك، فاستمال فيليب مونتفورت (Philip Monteforte) صاحب صور عن طريق المصاهرة، وحاول في الوقت نفسه إيجاد نوع من التفاهم بين فيليب

---

[1] . اليافعي: عبد الله، **مرآة الجنان**، 4/ 170 ؛ القلقشندي:عبد الله، **مآثر الأنافة في معالم الخلافة**، 2 / 121

[2] . الذهبي: محمد، **العبر في خبر من عبر**، 3/ 319؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 5/ 329؛ ابن تغري بردى: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 235؛ ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 261/13 ؛ اليافعي، **مرآة الجنان**، 4/ 171 .

[3] . تدمري: محمد عبد السلام ، **تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبد العصور**، 1/ 404؛ ابن أيبك: أبو بكر بن عبد الله ، **كنز الدرر وجامع الغرر**، 8/ 157 – 158.

[4] . **هيو الثالث:** هو أحد قادة الفرنج في بلاد الشام، عمل جاهداً لإصلاح أحوال الصليبيين وإزالة ما بين قادتهم من خلاف لكن بذور الخلاف كانت أكبر، انسحب من بلاد الشام وعاد إلى قبرص عام 1276 م دون أن يعين نائب عنه، وكل ما فعله هيو الثالث هو أنه أرسل من قبرص إلى البابا جريجوري العاشر(Gregory X) يشرح له سوء أحوال الصليبيين في الشام وتعذر إصلاح أحوالهم، للمزيد ينظر: عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية**،2/ 1104 –1106؛ طراونه: طه ثلجي، **مملكة صفد في عهد المماليك**، 84؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين المماليك وفارس**، 178.

[5] . ابن تغري بردى: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 147؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 126.

والبنادقة، غير أن فيليب قتل في شهر صفر/ أيلول عام(669 هـ/ 1271 م) مما أفقد الفرنجة(الصليبيين) أحد ألمع قادتهم، الرجل القوي الذي يعتمد عليه وقت الشدة. [1]

ونظراً لكل هذه المتغيرات وتسارعها خشي بوهيمند السادس (Bohemond VI) أمير طرابلس أن يحل بإمارته ما حل بأنطاكية، فالتمس عقد هدنة، فأجيب بالقبول، رغم أن السلطان بيبرس كان ينوي استعادة إمارة طرابلس، ولم يصده عنها سوى وصول حملة صليبية إنجليزية بقيادة الأمير إدوارد الأول(Edward I) ولي عهد إنجلترا [2]، فأظهر الاتزان والتعقل تجاه سياسة بوهيمند(Bohemond)، وعقدت الهدنة بين الطرفين وتضمنت:

1. يحتفظ السلطان بيبرس بما فتحه من بلاد حديثاً.
2. تستمر الهدنة مدة عشرة أعوام [3]

ومن المعروف أن بيبرس وبعد توقيعه الهدنة عاد إلى مصر، واستعاد في طريق عودته كما هو معروف حصن القُرين، الواقع إلى الشمال الغربي من عكا، ويعد هذا الحصن من الحصون المنيعة التي احتفظ بها الفرسان التيوتون حتى ذلك الوقت، وكان هيو الثالث(Heo III) قد غادر في هذه الأثناء جزيرة قبرص قادماً إلى عكا، ولما علم السلطان بذلك جهز أسطولا حربياً لمهاجمة قبرص، إلا أن الحملة فشلت بسبب هبوب عاصفة قوية حطمت الشواني والسفن التي عاد ما تبقى منها إلى موانئ مصر. [4]

من خلال القراءة الدقيقة لنصوص الهدن بين بيبرس وهيو الثالث (Heo III) يتضح أن النفوذ الفرنجي في المنطقة بدا بالانحسار التدريجي، وهذا هو سبب ارتفاع وتيرة الهدن بين الطرفين، فالإقرار باحتفاظ السلطان بيبرس بما فتح من بلاد تعبير عن عمق الأزمة التي باتت

---

[1] . طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 127

[2] . **الأمير إدوارد:**هو إدوارد الأول ملك إنجلترا فيما بعد، وكان قد أتى إلى بلاد الشام على رأس قوة صغيرة من ألف محارب على أمل التعاون مع خان مغول فارس أبغا بن هولاكو على غزو مصر والشام، ولكن هذا المشروع لم يتحقق نتيجة لانشغال أبغا بمحاربة محول التركستان، ولم يلبث إدوارد نفسه أن طُعن على يد أحد الحشيشة بخنجر، ولكن الطعنة لم تكن قاتله، فاضطر إلى العودة إلى بلاده بعد أن عقد هدنة مع بيبرس مدتها عشر سنوات: ينظر:العبادي: أحمد مختار، **في التاريخ الأيوبي والمملوكي**، 217..

[3] . ابن عبد الظاهر:محيي ، **الروض الزاهر**، 383 –384 ؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 128 ؛ شفيق: محمود، **المماليك البحرية وقضاؤهم على الصليبيين**، 109 –110.

[4] . العيني: محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 2/ 74– 76؛ عاشور: سعيد، **قبرص والحروب الصليبية**،47–48.

تواجه الفرنج، وتهدد وجودهم، أما السلطان فكان في وضع لا يحسد عليه أيضاً، وهو التهديدات الجديدة التي راحت تواجهه، إلا أنه استطاع وبحكمته امتصاص الضربات.

- **الهدنة بين السلطان بيبرس وعكا الفرنجية (670 هـ / 1272 م) :**

لم تكن عكا بموقعها وثقلها السياسي والعسكري كغيرها من مناطق الصراع بين المماليك والفرنج، ولهذا فإن الدور الذي لعبته كان كبيراً في رسم معالم المنطقة لاحقاً ، فبعد فشل الحملة الإنجليزية بقيادة الأمير إدوارد الأول(Edward I) التي لم تحقق نجاحات للفرنجة في بلاد الشام، رغم استعانة الأمير بمغول فارس في المواجهة، إلا أنه وفي منتصف عام (670 هـ/ 1272 م) أدرك هذا الأمير أنه أضاع وقته هباءً، طالما أنه لا يملك القوة الكبيرة التي تساعده على محاربة المسلمين. [1] وإن عقد هدنة مع السلطان المملوكي تكفل البقاء للفرنجة وقتاً إضافيا، وهذا بحد ذاته أفضل الخيارات الممكنة وكان بيبرس من جانبه مستعداً لعقد هدنة، إذ أن ما تبقى من ممالك الفرنجة، وما بلغته أوضاعهم من الأسى والبؤس، لا يشكل أية عقبة في طريقه، وذلك لأنه أراد الالتفات إلى الخطر المغولي المتجدد، لهذا قبل عقد هدنة مع الأمير إدوارد الأول(Edward I)، وبعد توسط شارل كونت أنجو(Charles Count Anou) تم إبرام الصلح في قيسارية في شهر شوال/ أيار عام (670 هـ/ 1272 م) وتضمن:

- احتفاظ مملكة عكا بممتلكاتها الحالية التي تألفت من السهل الساحلي الضيق الممتد من عكا إلى صيدا.
- منح حكومة عكا حق استخدام طريق الحجاج إلى الناصرة.
- تستمر الهدنة عشرة أعوام، وعشرة أشهر، وعشرة أيام، وعشر ساعات. [2]وكانت الهدنة في 21 من رمضان/ 22 نيسان من عام (670 هـ / 1272 م) . [3]

كفل هذا الصلح الأمان لكونتية طرابلس، خاصة وأنها ضعفت بعد وفاة أميرها بوهيمند السادس(BohemondVI)، في عام (673هـ/1275م) تاركاً ابناً قاصراً بوهيمند السابع (Bohemond VII) ، هذا إلى جانب أن الإمارة شهدت حرباً أهلية مما أوجب عقد هذه الهدنة بالنسبة للفرنجة.

---

[1] . ابن عبد الظاهر :محيي ، **الروض الزاهر**، 383 –384؛ عادل: هلال، **العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي**، 113–114.

[2] . البرزالي: القاسم بن محمد، **تاريخ البرزالي**، 1/ 253 ؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 128–129؛ ابن شداد: عز الدين، **تاريخ الملك الظاهر**، 32؛ ابن عبد الظاهر :محيي، **الروض الزاهر**، 398 ؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 601 ؛ الصوافي: طالب، **القلاع والحصون في شمال فلسطين**، 278 ؛ الذهبي: محمد، **تاريخ الإسلام**، 2/ 64؛ ابن تغري بردى: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 142.

[3] . ابن شداد: عز الدين، **تاريخ الملك الظاهر**، 33؛ ابن عبد الظاهر :محيي ، **الروض الزاهر**، 398؛ بيبرس المنصوري: الداودار، **زبدة الفكرة**، 134 ؛ النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 30 / 191.

وبعد توقيع هذه المعاهدة تفرغ السلطان بيبرس لمواجهة الخطر المغولي[1] في الشرق الأدنى، فأغار على مملكة أرمينا الصغرى والمصيصة[2]، ثم فتح قيسارية الروم[3]، وذلك في عام (675 هـ/ 1276م) . [4]

- **الاتفاق والصلح بين رسل بيبرس وملك الفرنج بطرابلس: (673 هـ / 1274 م):**

في الواقع أن الفرنجة (الصليبيين) ما لبثوا أن أخلوا بشروط عقد الصلح المعقود مع بيبرس قبل وفاة بوهيمند السادس(BohemondⅥ) في9 رمضان/ 10آذار من عام (673 هـ/ 1274م)، مما تطلب تجديده مع ابنه بوهيمند السابع(BohemondⅦ) في أوائل عام(674 هـ/ 1275 م). [5]

فعندما آل حكم طرابلس إليه، واجه تهديداً من الظاهر بيبرس من جراء إساءة تطبيق عقد الصلح الذي وقعه أبوه، خاصة فيما يتعلق باللاذقية، إذ كانت تابعة لصاحب حلب، فلما رحل عنها تغلب عليها بوهيمند السابع (BohemondⅦ) وعدّها تابعة لممتلكاته مجدداً، وإذا كان عقد الصلح لا ينص على ذكرها، فقد عدّها بوهيمند السادس (BohemondⅥ) خارج بنود العقد على ما يبدو، ولذا أخذ غلاتها كلها، بينما عدّ السلطان بيبرس أن اللاذقية كانت بيد المسلمين حين توقيع العقد، وعلى هذا الأساس فإن من حقه أن يطالب بحصته من غلاتها[6] ، فكتب إلى

---

[1] . **بوهيمند السابع (Bohemond Ⅶ):** هو أمير طرابلس، توفي في العام(1287م) دون وريث حيث أعلن فرسان طرابلس وتجارها قيام قومون، أي حكم بلدي مستقل في طرابلس، في الوقت الذي وصلت فيه لوسيا(Lucia) أخت بوهيمند السابع إلى طرابلس، فاستنجدت بالاسبتارية حلفاء أخيها لاستعادة حقها الشرعي في حكم طرابلس،عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية** ، 2/ 1115؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 129.

[2] . **المصيصة:** وهي مدينة شمال الشام تقع بين إنطاكية وبلاد الروم قرب انطرطوس كانت من ثغور الإسلام زمن العباسيين، كانت تشتهر بصناعة الفراء، وتنتشر حولها البساتين الكثيرة، الحموي:ياقوت، **معجم البلدان**، 5/ 169.

[3] . **قيسارية:** مدينة كبيرة تقع في بلاد الروم الأناضول: كانت مركز حكم سلاجقة الروم، الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 4/ 478 .

[4] . ابن دقماق: ابراهيم، **الجوهر الثمين**، 2/ 79.

[5] .عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية**، 2/ 1115–1116؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 116.

[6] . تدمري:محمد عبد السلام ، **تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور**، 407.

بوهيمند : " إن اللاذقية ما برحت للمسلمين، ولما راح صاحب حلب تغلب أبوك وأخذها ظلماً وعتواً، ونحن لنا في اللاذقية النصف، فتنزل عن النصف الآخر فإنه من حقوق المسلمين".[1]

وقد ردّ بوهيمند (Bohemond) بتحصين أبراج اللاذقية والاستعداد للدفاع عنها، وأصبح الجو داخل المدينة ينذر بالحرب، وخشي المسلمون من أهلها الفرنجة فنقلوا منها، مما زاد من تخوف الفرنج إذ أصبحوا يواجهون عساكر بيبرس وحدهم، إذا شنت عليهم الحرب، وبذلك أرسلوا إليه " أنهم ما برحوا في الطاعة وقد عز عليهم خروج من عندهم"، وحدث أن ترددت الرسل على بيبرس في هذا الوقت قادمة من عكا لتجديد عقد الصلح، فطرح قضية اللاذقية جانباً، وصادف أن توفي فيما بعد صارم الدين الكافري[2] ، النائب بحصن الأكراد، مما أوجد للفرنج الفرصة لإنكار الادعاء، غير أن ما كان يجري من خلافات خطيرة بين الفرنجة أنفسهم في طرابلس حول الوصاية على بوهيمند السابع (BohemondⅦ)الأمير الصغير[3]، وأمام هذه التطورات، أرسل بيبرس الأمير سيف الدين بلبان الدوادار إلى طرابلس، ليوقع الاتفاق بالصلح في عام(674هـ / 1275م)، حيث تلقاه أبناء الملوك والبارونات، واجتمع بالملك هيو الذي كان يطمع في الوصاية على حكم طرابلس، وتقرر أن يدفع هيو (30) ألف دينار صوري للسلطان بيبرس، ويطلق سراح عشرين اسيراً من المسلمين وهذا جملة ما سمع من أن الفرنج قد سمحوا به. [4]

ورغم قلة المنجز في هذا الاتفاق، إلا أنه يشكل بالحد الأدنى إنجازاً كبيراً بالنسبة للسلطان بيبرس كون الطلب بعقد هذا الاتفاق جاء من ملك الفرنج، الذي كان يعيش ظروفاً داخلية صعبة ولذلك دلالات سلوكية هامة،وتحديداً قبول حوار من ينوب عن السلطان.

كتب لهذا الصلح أن يستمر قائماً حتى وفاة السلطان بيبرس في 27 محرم/2 تموز (676 هـ/ 1277م)، إذ شهدت طرابلس صراعاً دموياً عنيفاً على الحكم نشب بين أميرها

---

[1] . النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 28/ 107-108.

[2] . صارم الدين الكافري هو: أحد قادة السلطان بيبرس الذي تولى حكم قلعة شقيف أرنون وأعاد تجديدها، وعرف بـ صارم الدين قايماز الكافري، ينظر: فولفغانغ : مولر، **القلاع أيام الحروب الصليبية**، 81.

[3] . عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية**، 2/ 34؛ النويري: أحمد،**نهاية الأرب**، 8/ 108.

[4] . ابن الفرات:ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 7/ 40-44؛ النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 28/ 108؛ العيني: محمود،**عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 20/ ق4/ 597 .

بوهيمند السابع (BohemondⅦ) وصاحب جبيل [1] المعروف في المصادر العربية بـ سيرجي أو" شيزكي"، والداويه، ومن ذلك ما ذكره اليونيني في حوادث سنة (678 هـ / 1279م) ما جرى بين صاحب طرابلس، وصاحب جبيل، والداوية اختلاف، وأغار بعضهم على بعض وقتل بينهم جماعة كبيرة. [2]

وبذلك نلاحظ أن سياسة السلطان بيبرس اعتمدت منهجية واضحة في التعامل مع أية إشارات فرنجية، بخصوص رغبتهم في عقد الهدن والمعاهدات دون تشنج، أو تشدد استنادا لقناعاته أن الوجود الفرنجي في المنطقة إلى زوال، ومما يدلل على ذلك أنه في عام (674 هـ / 1275 م) عقد هدنة بينه وبين مدينتي صور، وعكا، لمدة عشر سنوات، ولم يبق للفرنج بعد ذلك من البقاع إلا الشيء القليل. [3]

ثالثاً:- المعاهدات والهدن في عهد السلطان المنصور قلاوون[4] (678-689هـ/1279-1290م)

بعد وفاة السلطان الطاهر بيبرس، برز سيف الدين قلاوون، كأحد السلاطين الأكثر تصميماً على مقارعة الفرنجة، وارتفعت مكانته، واعتمد عليه في كثير من الأعمال الحربية والسلمية. [5]وكان المنصور ذا نزعة قيادية سلطوية، وظهر ذلك في الهدن والمعاهدات التالية:

---

[1] . **جبيل:** تذكرها المصادر العربية بـ سيرجي أو شيزكي، وجبيل مدينة وقلعة على الساحل اللبناني مع مرفأ صغير جيد للحماية، بني في موقع مرفأ بيبلوس الفنيقي القديم، ينظر فولفغانغ، مولر، **القلاع أيام الحروب الصليبية**، 82/ **الموسوعة الإسلامية**، مج2/ 582 -583.

[2] . اليونيني: موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 4/ 4؛ تدمري:محمد، **تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور**، 2/ 408.

[3] . زقلمه: أنور، **المماليك في مصر**، 38.

[4]. المنصور سيف الدين قلاوون:هو سيف الدولة قلاوون الألفي العلائي الصالح النجمي، ولقب بالمنصور، ولي الملك سنة(678 هـ/1279م) وكان من قبل مملوكاً، بيع للأمير علاء الدين آق سنقر، ثم ملكه الصالح نجم الدين الأيوبي، فضمه إلى مماليكه البحرية، ثم اعتق، ثم ترقي وصار أتابكاً، يعدّ من أعظم سلاطين الدولة المملوكية. ينظر: سليم : محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك**، 29.

[5]. النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 7-8 ؛ المقريزي: أحمد، **الخطط**، 2/ 238.

- **الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون والفرنج في عكا (680هـ/1281م).**

كان السلطان قلاوون قد عقد اتفاقية مع عكا في عام (680هـ/ 1281م) تقررت بمقتضاها الهدنة بين الفريقين [1]، حيث وافقت الطوائف الدينية في المدينة عليها، وقد تضمنت البنود التالية:

اولاً: تعقد هدنة بين بلاد السلطان المنصور قلاوون، وولده السلطان علاء الدين علي، وبين حكام مملكة عكا، وصيدا، وعتليث وبلادها[2] لمدة عشر سنوات، وعشرة أشهر، وعشرة أيام[3]

ثانياً: يكون جميع رعايا السلطان، وتجار بلاده آمنين على أنفسهم، وأموالهم، وأولادهم أثناء ترددهم على عكا، والأماكن الساحلية التي تشملها الهدنة.

ثالثاً: لا يتعرض الفرنج (الصليبيون) في عكا، والأماكن التي تشملها الهدنة بأي سوء لأراضي السلطان وولده، ولا لرعاياهما، على اختلاف أجناسهم، وكذلك تكون جميع بلاد عكا، وما عين في هذه الهدنة من البلاد الساحلية آمنة من السلطان، وولده، ومن عساكره، ورعاياه.

رابعاً: لا يجدد الفرنجة (الصليبيون) في عكا، وعتليت، وصيدا [4] حصناً أو سوراً.

خامساً: إذا أقدم أحد ملوك الفرنج (الصليبيين)، أو المغول، على المسير لمهاجمة بلاد السلطان، يلزم نائب المملكة بعكا أن يخبر السلطان بحركته قبل وصوله إلى البلاد الإسلامية الداخلة في الهدنة بمدة شهرين.

سادساً: يكون الحجاج المسيحيون، الذين يغدون من عكا والبلاد الساحلية لزيارة كنيسة النصارى آمنين في ذهابهم وإيابهم إلى حدود البلاد الداخلة في هذه الهدنة، ولا يتعرض للقسيس والرهبان بسوء .

---

1. اليونيني: موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 4/ 86.
2. المقريزي: أحمد، **السلوك**، ق3/ 685 ؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات**7/ 205.
3. بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، 9/ 124 ؛ سرور: محمد جمال ، **دولة بني قلاوون في مصر**، 222– 223/ 224.
4. **صيدا:** مدينة من جبال عامله المطلة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان، الحموي، الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 3/ 412.

سابعاً: يتعهد السلطان بحماية البلاد التي عقد معها هذه الهدنة، من اعتداء جنوده والمتلصصين والمعتدين، كما يلزم حاكم عكا بدرء أخطار المفسدين الداخلين تحت حكمه، عن بلاد المسلمين[1].

- **الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون – وبوهميند السابع أمير طرابلس(680هـ/1281م)**

أحيانا قد تعقد الهدن تحت الضغط الذي يعيشه طرفا الهدنة، وهذا ما حصل مع السلطان المنصور الذي اتجه لعقد الهدنة تلافياً لما كان يعاني من مخاطر داخلية جدية، تمثلت في تمرد نائب السلطنة في الشام سنقر الأشقر[2]، واستعداداً لمواجهة قدوم الأمير إدوارد الأول(Edward I) إلى عكا، وكان الأمر يتعلق بحملة فرنجية (صليبية) كبرى. [3]

وأمام هذا الاضطراب الداخلي، وظهور خطر المغول الذي يلوح في الأفق، عقد السلطان المنصور صلحا مع الفرنج (الصليبيين) من داوية واسبتارية والأمير بوهيمند السابع(Bohemond Ⅶ) أمير طرابلس مدته 10 سنوات، وذلك في عام (680هـ/1281م)، وكان من أهم بنودها :-

- تعقد الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون، وولده الملك الصالح علي، وبين بلاد صاحب طرابلس بمدة محددة وهي 10 سنوات كما ذكرنا .
- يقيم نواب السلطان، وصاحب طرابلس بمدينة اللاذقية للإشراف على استخراج الجبايات، وتقسيمها مناصفة.
- على صاحب طرابلس بوهيمند السابع (Bohemond Ⅶ) أن لا يبني خارج مدينته، ولا في البلاد التي وقعت في هذه الهدنة حصناً أوقلعةً ، وكذلك يتعهد السلطان بأن لا ينشئ قلعه تجاور البلاد التي وقعت هذه الهدنة.

---

1. ابن الفرات:ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 7/ 262- 263 ؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، ق3/ 976 .
2. **سنقر الأشقر:** الصالحي النجمي نائب دمشق، ولما تسلطن المنصور قلاوون خرج المذكور عن طاعته وتسلطن بدمشق، ولقب بالملك الكامل، وقع منه حوادث كثير طال أمره إلى أن فضل عليه الأشرف خليل بن قلاوون وقتله سنة اثنتين وتسعين وستمائة. ينظر: المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3 / 670، ابن تغرى بردى: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 8/ 37 ؛ **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، 327.
3. شفيق:محمود، المماليك البحرية وقضاؤهم على الصليبيين، 109/ 110. زكار: سهيل، **فلسطين في عهد المماليك**، 553 ؛ عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية**، 2/ 1110.

●لا تنقضي هذه الهدنة بوفاة أحد الطرفين المتعاقدين، أو بانتقال الحكم إلى غيره. [1]

يلاحظ أن نصوص هذه الهدنة لها دلالات هامة، من حيث التأكد على عمر الهدنة، ومحاولة إيجاد تعاون مشترك، وتحديداً فيما يتعلق بالجباية، والتقسيم وكأن الجانب الاقتصادي كان يلعب دوراً في التقارب بين الطرفين، ولوحظ أيضاً تشدد الطرفين في مسألة البناء، وكأنهما لا يريدان إحداث تغيير على الأرض، لان البناء يعني استيطاناً ومحاولة اعتداء تؤدي إلى عدم استمرار الهدنة في حالة حدوث عارض أو إشكالات بسيطة، وبذلك حاول الطرفان إعطاء الهدنة روح البقاء حتى في حالة زوال أحد الأطراف أو الطرفين كمبرر للنقض، وبهذا يكون السلطان قلاوون قد رسم ملامح مرحلة كاملة وجديدة في العلاقة مع بقايا الوجود الفرنجي (الصليبي). [2]

●الصلح والأمان بين السلطان المنصور قلاوون وحصن المرقب (680هـ/1281م) .

كان هذا الصلح استكمالاُ لمحطات صلح سابقة ربما خرقت، أو نقضت من هذا الطرف أو ذاك، فها هو السلطان المنصور قلاوون يخرج من دمشق بالعساكر المصرية والشامية، ويأتي المرقب وينازله في أوائل السنة المذكورة، وهو حصن الإسبتار، وكان غايةً في العلو والحصانة لم يطمع أحد من الملوك السابقين في فتحه، ولما زحف العسكر عليه وأخذ الحجارون في النقوب[3]، ونصبت عليه عدة مجانيق كباراً وصغاراً، طلب أهله الأمان فأجابهم السلطان إلى ذلك، رغبةً في بقاء عمارته، لأنه لو هدمه وأخذه بالسيف لحصل التعب في إعادة إعماره وأعطى

---

1. حمادة: محمد ماهر ، **وثائق الحروب الصليبية**، 302.

2. اليونيني: موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 4/ 54؛ الفيومي: أحمد، **نثر الجمان في تاريخ الأعيان**، 3/ 140؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 605؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، 2/ 257؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **التحفة الملوكيه**، 96؛ الذهبي: محمد ، **دول الإسلام**، 2/ 181؛ ابن كثير:اسماعيل، **البداية والنهاية**، 13/ 181؛ الكتبي: محمد، **عيون التواريخ**، 21/ 250 – 251؛ ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام والعصور**، 81 –82؛ ابن تغرى بردى: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 300.
النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 73–74؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 986 ؛ القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 14 ، 52؛ ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، 34.

3. ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 8/ 17–18؛ أبو الفداء:اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 4/ 21؛ ابن دقماق: ابراهيم، الجوهر الثمين، 2/ 96؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، 2/ 338.

أهله الأمان على أن ينتقلوا إلى طرابلس، ويأخذوا معهم ما يقدرون عليه من غير السلاح [1]، ونوه ابن كثير في إشارة إلى قوة المماليك إلى صعود السناجق السلطانية، والألوية المنشورة على حصن المرقب، وتسلمه في الساعة الثامنة من يوم الجمعة 19 ربيع الأول/أب [2]، وأورد أبو الفداء في تاريخه كشاهد عيان: ""إني حضرت حصار الحصن المذكور وعمري آنذاك نحو اثنتي عشرة سنة، وهو أول قتال رأيته وكنت مع والدي" [3]، في إشارة لشراسة القتال الذي سبق الصلح والأمان، وبلغ الخبر للسلطان المنصور قلاوون الذي خرج من مصر لغزوهم أواخر سنة (699هـ/1300م)، واستخلف ابنه وانتهى إلى الروحاء [4] فوصله هناك رسل الفرنج من أجل تقرير الهدنة مع أهل المرقب، على أن يطلقوا من أسروه من المسلمين في واقعة بلبان، فعقد لهم في المحرم سنة (680هـ/1281)، وعقد لصاحب بيت الإسبتار وابنه، ولصاحب طرابلس بوهيمند السابع (Bohemone VII)، ولصاحب عكا من بلادهم وعلى قلاع الإسماعيلية، وعلى جميع البلاد المستجدة الفتح، وما سيفتحه، على أن يسكن عمال المسلمين باللاذقية، وأن لا يستنجدوا أسير قلعة ولا غيرها، ولا يداخلوا التتر في فتنة، ولا يمروا عليهم إلى بلاد المسلمين أن أطاقو ذلك، وعقد معهم ذلك لإحدى عشرة سنة، وبعث السلطان من أمرائه من يستحلف الفرنج على ذلك، فحلف الفرنج، ومقدم الإستبارية فراير اولد كال (Friar old kal) فحلف على ما انعقد عليه الصلح[5].

---

1. العيني: محمود ،**عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 2/ 338–339. ؛ النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 29؛ ابن عبد الظاهر:محيي ، **الروض الزاهر** ،7–81 ؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 728. ؛ رانسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 668–669؛ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، 1/ 96

2. ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 13. 305.

3. أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 4/ 21

4. **الروحاء:** قرية صغيرة مساحتها 22 دونم، في الجنوب من حيفا، ترتفع 200متراً عن سطح البحر، وأقرب قرية لها (الريحانية) في شمالها. للمزيد ينظر : الدباغ:مصطفى، **بلادنا فلسطين**، جزء 7/ ق2/ 652؛ حجة :شوكت، **العلاقات بين المماليك وإيلخانية فارس**،234.

5. ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 397/5؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة** ،9/ 109؛ اليونيني: موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 2/ 26 –38؛ النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 73 –74؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 7 ، 204؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ 139.

وأمام كثافة المفاوضات بين السلطان المنصور قلاوون والفرنج في هذه السنة، يمكن القول إنها سنة السباق التفاوضي، ففي يوم الخميس 10 محرم/21 نيسان، وكما ذكر اليونيني رحل السلطان من الروحاء ونزل اللجون، وعاد رسوله من عكا صحبة من صحبه من رسل الفرنج من عكا والمرقب [1]، فاستحضرهم يوم الجمعة حادي عشرة بمنزلة اللجون[2] بحضور الأمراء، وسمع رسالتهم، وحصل الاتفاق وحلف المنصور على الصورة التي وقع الاختيار عليها، واقتضتها المصلحة، وانبرم الصلح، وانعقدت الهدنة. [3]

•الهدنة والصلح بين السلطان المنصور قلاوون والداوية والإستبارية وأمير طرابلس 680هـ/1281 م

يبدو واضحاً أن الاضطراب، وعدم الوضوح، كان بادياً على جو هذه الهدنة، التي لم تتناول قضايا جوهرية فنحن نعرف ما حصل بين الإستبارية ، وبلبان الطباخي، وكذلك الداوية، وبوهيمند السابع (Bohemone VII) أمير طرابلس وعقده صلحاً معهم لمدة عشر سنوات، وقد عدّ هذا الصلح نصراً دبلوماسياَ للسلطان قلاوون قبيل التحركات المغولية في العام(680هـ/ 1281م) [4]

وأمام خطر المغول المتصاعد، فقد حرص الفرنجة (الصليبيون) في الشام على مهادنة السلطان قلاوون والمحافظة على الصلح المعقود بين الطرفين حتى أن سان سفرينو (San Severino)[5] نائب شارل أنجو(Charles Anjou)، على عكا، خرج بنفسه لاستقبال قلاوون أثناء عودته من حمص إلى مصر، في عام (680/هـ1281م)، وقدم له الهدايا

---

1. العيني: محمود، **عقد الجمان**، 2/ 338؛ اليونيني: موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 4/ 52-53.
2. **اللجون:** يقع في سهل مرج ابن عامر على مسافة 180 كم تقريباً إلى الشمال الغربي من جينين، ذكرها المقدسي مدينة على حد فلسطين في الجبال. للمزيد ينظر: الدباغ:مصطفى، **بلادنا فلسطين**، 1/ ق1/ 272؛ المقدسي: محمد، **أحسن التقاسيم**، 162؛ الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 4/ 351.
3. اليونيني: موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 4/ 86.
4. الهمذاني: رشيد الدين، **جامع التواريخ**، 2/ م2/ 83؛ عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية**،2/ 1110
5. **سان سفرينيو:** نائب شارل الأنجوى في عكا، وقد خرج بنفسه لاستقبال قلاوون أثناء عودة الأخير من حمص إلى مصر في نوفمبر عام (1281م) وقدم له الهدايا الثمينة؛ عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية**، 2/ 1111.

الثمينة[1]. أما حول هدنة المنصور قلاوون مع أمير طرابلس في العام(680هـ/1281م) يقال إن هذه الهدنة ما هي إلا تجديداً لما كان بين السلطان بيبرس، وأمير طرابلس بوهيمند السادس(Bohemond VI)[2] .

فقد كانت مدتها عشر سنوات [3]، ثم انضم إليها كل من عكا، وصيدا، وبيروت، وعثليث عام (682هـ/1283) [4] وقد تضمنت هذه المعاهدة، السماح للسفن المصرية بالقدوم إلى موانئهم، وأن يتعهد أمراء الفرنج بعدم إقامة تحصينات جديدة، وإعطاء الأمان لرعايا السلطان جميعهم، وفي المقابل دخول هؤلاء الفرنج إلى الموانئ الإسلامية والاتجار بها [5].

استطاع السلطان المنصور قلاوون أن يضمن الفرنج إلى جانبه أثناء تمرد نائب الشام سنقر الأشقر، وخروجه عليه، خاصة وأن السلطان المنصور قد خاف من استقطاب الفرنج في الساحل الشامي لهذا النائب، فأسرع بعقد المعاهدات معهم، حتى لا تستغل هذه الإمارات حدث تمرد سنقر الأشقر لصالحها، فيزيد الوضع سوءاً على السلطان المنصور قلاوون. [6] إن ما حصل في زمن السلطان المنصور قلاوون في عام (680هـ/1281م)، هو فقط تأكيد على ما جاء في هدنة عام (674هـ/1275م)، في إشارة واضحة لمحاولات الفرنج التملص من التزاماتهم، متى سمحت لهم الفرصة، إلا أن حزم السلاطين المماليك كان يستند لتلك القوة التي تمتعوا بها في المواجهة، فضلاً عن شعورهم الواضح أن المستقبل لهم، وأن ما تمر به الإمارات الفرنجية هو مخاض النهاية.

---

1. عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية**، 2/ 1111.
2. العسقلاني المصري: شافع، **الفضل المأثور في سيرة الملك المنصور** ،144
3. ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام والعصور**، 34-42 ، العسقلاني: شافع، **الفضل المأثور** ، 161؛ توفيق : عمر كمال، **الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين**، 257.
4. ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام والعصور**، 34- 42 ، بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 221 – 225 ، 249/ اليونيني: موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 2/ 26- 38؛ العسقلاني: شافع، **الفضل المأثور**، 161 – 162؛ النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31 ، 73- 74؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 7 / 262 – 270؛ القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 14 / 57 – 74؛ Rechard Jean,the latin kingdom of jarusalem ,428
5. ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام والعصور**، 34-42؛ العسقلاني: شافع **الفضل المأثور**، 161 . توفيق، عمر كمال، **الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات مع الصليبيين** ، 257.
6. حسين: حسن عبد الوهاب، **تاريخ حماية التيوتون**، 320.

• **الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون والفرنج بعكا والساحل (681هـ/1282م).**

في هذه السنة استقرت الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون، وولده السلطان علاء الدين، وبين المقدم افريز كليام بيدجوك (Friar Kiliam Bedjouk) مقدم بيت الداوية بعكا والساحل[1]، وبين جميع الإخوة الديوية بانطرطوس لمدة عشر سنين متتابعات، وعشرة شهور، أول ذلك يوم الأربعاء5 محرم16 نيسان عام(681هـ/1282م)[2]، يكون فيها المواطنون المسلمون والفرنجة آمنين في بلاد السلطان، والبلاد الخاضعة للفرنجة (الصليبيين)،، الداخلة في الهدنة، وأن الممنوعات تبقى على قاعدة المنع، وإذا ما انكسرت سفينة في الموانئ والسواحل الداخلة في الهدنة يكون من فيها آمنين على النفوس والأموال والبضائع، وأن لا يجدد الفرنجة (الصليبيون) في هذه البلاد قلعة، ولا برجاً ، ولا خندقاً[3]، ومن خلال القراءة الدقيقة لنصوص الهدنة، يتضح أن كلا الطرفين كان حريصاً على وضوح بنود هذه الهدنة، وتحديداً فيما يتعلق بالمساحات الجغرافية وتوابعها حتى لا يدخل الطرفان في الخلاف حول التفاصيل والتأويلات التي قد تكون مدخلاً للتهرب والتراجع من الالتزام، كما أن الهدنة حددت مسائل سلوكية ببعد إداري كالأمن على النفوس، والأموال، والمتاجر، والبضائع، والرجال، وكذلك تحديد مصير من يموت، ومن يغرق، وتسليم ذلك للسلطان، أو من ينوب عنه، وكذلك منع البناء أو تجديده في بلاد أنطرطوس خاصة القلاع، والأبراج، والحصون، أو القيام بحفر خندق[4] ، وبذلك نجد أنه رغم قلة حيوية ما عقده السلطان المنصور قلاوون من هدن ومعاهدات، إلا أن ردود فعل الطرف الفرنجي عليها لم تكن لافتة للنظر بمعنى لا صدى لها على المستوى الرسمي والشعبي، وفي ذلك دلالة مهمة، وهي أن المطبخ السياسي الفرنجي كان يقتصر على الملك، أو الأمير، وهذا مع الزمن أضعف الهدن وجعلها عرضة للفسخ والتجاوز، وفي غالب الأحيان من الطرف

---

1. ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، 2؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 26/7 ؛عبد العزيز : سالم، **تاريخ الأيوبيين والمماليك**، 266.
2. النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 91 ؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 7/ 252؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 966؛ أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **كنز الدرر وجامع الغرر**، 8/ 260.
3. العسقلاني: شافع، **الفضل المأثور**، 141؛ النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 92؛ ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الأيام والعصور**، 20–22.
4. ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، 20–21.

الفرنجي الضعيف والمضطرب ، وانعكس ذلك على السلطان المنصور قلاوون الذي لم تكن عنده حوافز السعي لهدن لافتة وجديدة، بعد أن غدت معظم الأراضي المتنازع عليها تحت السيطرة[1].

- **الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون وصور وبيروت (682هـ/1283م).**

شكلت هدنة عام (682هـ/1283 م) بين السلطان المنصور قلاوون وحكام صور وبيروت، إشارة واضحة من جانب السلطان، مفادها أن المماليك ليسوا هواة حرب وصدام، وإن مكان السلام والدبلوماسية حاضر في سياستهم تجاه الأطراف كافة ، سواء من كان الصدام معهم مباشراً، أو ثانوياً . وقد جاءت الهدنة على شكل تجديد لهدنة عام (667 هـ/ 1268 م) مع السلطان بيبرس، والتي تضمنت توضيحاً لمناطق المناصفة الجغرافية، وقضايا التنقل براً، وبحراً، والرسوم، والضرائب، والمسروقات، وقضايا التهريب، والكثير من المعالجات الأمنية والإدارية، إلى جانب التحديد الزمني للهدنة، وهو عشر سنوات بالتمام [2]. ولعل من المهم في هذا السياق الإشارة إلى أن مفاوضات صور وبيروت مع المماليك، تعود لعهد حاكم بيروت الأول، يوحنا الثاني ابلين(John II Ibelin) الذي أجرى في عام (660هـ/1261 م) مفاوضات مع الظاهر بيبرس، إلا أن تلك المفاوضات تعثرت[3] .ولم يكن الفرنجة غافلين عن صور، وبيروت، وأهميتها في الصراع، فقد حاول هيو الثالث(Heo III)، أن يقوي الجبهة الفرنجية لمواجهة المماليك، حيث استمال فيليب دي مونتفورت (Philip De Montefote) صاحب صور عن طريق المصاهرة، حيث زوج هيو أخته مارجريت لوزنبيان (Margaret Lozentian) من يوحنا دي مونتفورت (John De Monteforte)، وحاول إيجاد تقاطع بين فيليب(Philip)، والبنادقة، لأهداف اقتصادية وسياسية، إلا أن فيليب قتل في شهر صفر/ أيلول عام (669 هـ/ 1270م) على يد الحشيشة، مما أفقد الفرنجة الصليبيين أحد ألمع قادتهم الذي اتصف بالقوة، واعتمدوا

---

1. حروب: محمد، **دور المماليك في تصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام**، 327.
2. القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 13/ 312؛ ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الأيام والعصور**، 213 –215؛ حمادة: محمد ماهر ، **وثائق الحروب الصليبية**، 316 – 318.
3. المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 485 –486 ؛ رانسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 544–545؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 120–121.

عليه في وقت الشدة[1] وأما واقع الشد والرخي في سياسية كل الأطراف، كانت المفاجئة بان مات في صور حنا دي مونتفرت (John De Monteforte) وذلك في شهر رمضان /تشرين الثاني عام (682 هـ/ 1283م) ثم لحق به أخوه همفري (Humphery) حاكم بيروت في شهر ذي الحجة/ شباط عام(682 هـ/1283م) وأمام هذا الفراغ السياسي قامت الأرملتان ايشيفيا(Eshivia) ومارجريت(Margaret) بتدبير شؤون المدنيين وأسرعتا إلى تجديد الهدنة المعقودة مع المماليك وقد استجاب السلطان المنصور قلاوون لطلبهما، على الرغم من عدم الإيراد الكامل لنصوص الهدنة المعقودة بين الأطراف[2].

•الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون والفرنج في عكا وبلدان الساحل الشامية (682هـ/1283م).

في 5 ربيع الأول /حزيران عام (682هـ/ 1283م) استقرت الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون وولده الصالح علي، وبين الحكام بمملكة عكا، وصيدا، وعثليث، وبلادها[3] وهم اودو بواليشيان (Audo Pu Alishian)، كفيل المملكة بعكا، وحضرة المقدم الجليل فرير كليام ديباجوك (afrer kiliam DeBagok) مقدم بيت الداوية، والمقدم فريرنيكول لورن (Friar Nicole Lauren) مقدم بيت الإسبيتار، والمارشال الاجل افريز كورات (Ffrer korat) نائب مقدم بيت الاسبيتار الأرمن[4]، وذلك لمدة عشر سنين، وعشرة أشهر، وعشرة أيام، وعشر ساعات، من عام (682هـ/ 1283م)[5].

---

1. رانسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**،3/ 565-566 ؛ رينيه: جروست، **الحروب الصليبية**، 113؛ عاشور :سعيد، **الحركة الصليبية**، 2/ 1096؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 127.

2 رانسيمان: ستيفن ، **تاريخ الحروب الصليبية**،3/ 668؛ عاشور، سعيد، **الحركة الصليبية**، 2/1095-1098.

3. Rachard, Jean, The Latin Kingdom of Jerusalem, 428

4. **إسبيتار الأرمن، هم أنفسهم جماعة التيوتون، ويبدو من كلمتي الأرمن والأمن اللتين ظهرتا في بعض المصادر العربية** والإسلامية تعنيان كلمة الالمن، أي الألمان أو الجماعة الألمانية والبرجان اللذان دافعت عنهما الجماعة كانا برج القديس نيقولا، والبرج الملعون، للمزيد ينظر : حسين: حسن عبد الوهاب، **تاريخ جماعة التيوتون**،326-333.

5. المقريزي: أحمد، **السلوك**،1/ ق3/ 986؛ القلقشندي: عبد الله ، **صبح الأعشى** 14/ 52 ؛ ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**،34-35 .

وكان من أهم بنودها[1]:

إن معظم ما عقد من هدن في عهد السلطان المنصور قلاوون، جاء موجزاً وعاماً دون تفاصيل إضافية و تأكيد لما سبق من تعاهد بين السلطان بيبرس في فترة حكمه وأمراء الفرنج، إلا أن هدنة عكا تميزت بمضامين هامة كونها عقدت مع المعقل الأخير للفرنج في بلادنا، كما أنها رسمت الشكل النهائي للمنطقة وعلى أكثر من مستوى [2] وكان من اهم ما جاء فيها :

1. يكون جميع رعايا السلطان، وتجار بلاده امنين على أنفسهم، وأموالهم، وأولادهم، أثناء ترددهم على مدينة عكا والبلاد الساحلية الداخلة في الهدنة.
2. لا يتعرض الفرنج الذين يستوطنون عكا والبلاد الساحلية الداخلة في الهدنة
3. لا يجدد الفرنج في عكا، وعثليث، وصيدا، حصناً أو سوراً.
4. إذا هرب أحد من بلاد السلطان، وولده إلى عكا والبلاد لساحلية المعينة في هذه الهدنة، ورغب في اعتناق النصرانية يرد جميع ما معه من الأموال، وإن كان لا يرغب في اعتناق النصرانية يعاد إلى السلطان بجميع ما معه بعد أن يعطى الأمان، وكذلك إذا حضر أحد من عكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة يقصد الدخول في الإسلام وأسلم بإرادته يرد جميع ما معه من الأموال وإن كان يميل إلى اعتناق الإسلام يرد إلى حكام عكا بعد أن يعطى الأمان. [3]
5. إذا وجد بعكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة – مع احد تجار المسلمين شيء من الممنوعات مثل الأسلحة، ترد إلى الشخص الذي باعها له ويعاد إليه ثمنها، وكذلك إذا سافر أحد تجار الفرنجة من عكا، والبلاد الساحلية الداخلة في الهدنة إلى البلاد الإسلامية ووجد معه شيء من الممنوعات ترد إلى صاحبها، الذي باعها له، ويعاد إليه ثمنها .

---

1 ابن الفرات: ناصر، **تاريخ الدول والملوك**، 188/14؛ ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الايام والعصور**، 34–43؛ توفيق: عمر كمال، **الدبلوماسية الاسلامية والعلاقات السلمية**، 273؛ حطيط: أحمد، **قضايا من تاريخ المماليك**، 79.

2. حطيط: أحمد، **تاريخ لبنان الوسيط، دراسة رحلة الصراع المملوكي الصليبي** ،82–84.

3. ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الأيام والعصور**، 34–42؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 221–225؛ اليونيني: موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 2/ 26 ؛ العسقلاني: شافع، **الفضل المأثور**،161–162 ؛ النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 73/31–74؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 7/ 262 –270؛ القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 57/14–74.

6. إذا أصيبت إحدى مراكب تجار بلاد السلطان وولده بعطب في موانئ عكا، والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة، يكون كل من فيها آمناً على نفسه وأمواله، وإذا عثر على أصحاب هذه المراكب، تسلم إليهم مراكبهم وأموالهم، أما إذا تعذر العثور عليهم فيحتفظ بأموالهم، وتسلم لنواب السلطان؛ وكذلك الحال فيما يتعلق بمراكب الفرنج الذاهبة إلى بلاد السلطان، يحتفظ بما يجدونه بها ويسلم لحاكم مملكة عكا إذا عَدَّ صاحبها من المفقودين.
7. إذا توفي أحد تجار بلاد السلطان بعكا، وصيدا، وعثليث، والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة، يسلم ماله لنواب السلطان؛ وكذلك الحال إذا توفي احد تجار عكا، وصيدا، وعثليث ، ببلاد السلطان، يرسل ماله لحاكم عكا .
8. إذا أقدم أحد ملوك الفرنج أو التتار على المسير لمهاجمة بلاد السلطان، يلزم نائب المملكة بعكا أن يخبر السلطان بحركته قبل وصوله إلى البلاد الإسلامية الداخلة في الهدنة بمدة شهرين.[1]
9. يبادر فلاحو البلاد الإسلامية المقيمون ببلاد الفرنج التي اشتركت في هذه الهدنة، بالعودة إلى بلادهم، وكذلك الحال فيما يتعلق بفلاحي بلاد الفرنجة، لا يسمح لهم بالإقامة في بلاد المسلمين.

10. يكون الحجاج المسيحيون الذين يفدون من عكا والبلاد الساحلية لزيارة كنيسة الناصرة آمنين في ذهابهم، وقدومهم إلى حدود البلاد الداخلة في هذه الهدنة، ولا يتعرض للقساوسة والرهبان بسوء. [2]
11. يتعهد السلطان بحماية البلاد التي عقد معها هذه الهدنة، من اعتداء جنوده، والمتلصصين، والمفسدين، كما يلزم حاكم عكا بدرء أخطار المفسدين الداخلين تحت حكمه عن بلاد المسلمين[3] وقد تعهد السلطان المنصور قلاوون بأن يعمل على تنفيذ

---

1. محمد: كرد علي، **خطط الشام**، 2 / 121 – 122.
2. النويري:أحمد، **نهاية الأرب**،31/ 73–74؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 7/ 269 – 270؛ البيشاوي، سعيد، **دراسات في تاريخ الحروب الصليبية**، 170.
3. ابن الفرات: ناصر، **تاريخ الدول والملوك**، مج 14/ 93 ؛ ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، 34 –43؛ سرور: محمد جمال، **دولة بني قلاوون في مصر** ،233–235، **للاطلاع على النص الكامل والمفصل** للهدنة ينظر: القلقشندي: عبد الله ، **صبح الأعشى**، 14/ 51 –78

نصوص هذه الهدنة وحلف، وكذلك تعهد أودوبو اليشيان [1] (Odo pualishian) نائب الملك شارل انجو (Charles Angou) في بلاد الشام[2].

إن شمولية وقوة البنود التي شملتها هدنة عكا تظهر بوضوح جدية وحساسية الموقف ومحاولة كل طرف ضمان دوره ومكانته في خارطة المنطقة بكل الأبعاد السياسية، والاقتصادية والأمنية ، والخدمية والجغرافية، فكان الحرص من كل الأطراف لتضمين هذه الهدنة كل البنود التي يمكن أن تشكل صمام أمان لاستمراريتها .

أما المنصور قلاوون فقد سعى حثيثاً لمنع التقارب بين الفرنج والتتار[3]، وهذا ما يعلل تعهده لضمان سلامة أملاك أسياد عكا من أي اعتداء، كي يتفرغ لغزو المغول، فأعاد للفرنج بعض الأراضي التي سبق أن استولى عليها، وكذلك ضمن للحجاج المسيحيين القاصدين من بلاد عكا زيارة مدينة الناصرة، كما وتشير بعض نصوص هدنة عكا إلى حالة القلق التي كانت تراود السلطان المنصور قلاوون من شيوع أخبار مشاريع التحالف بين الفرنج والمغول، وهي مشاريع عمل اللاتين على تحقيقها جدّياً ، لضمان سلامة ممتلكاتهم في فلسطين، لذا حرص السلطان على تضمين الهدنة نصاً يلزم أسياد عكا بإنذارهم في حالة عزمهم فسخ الهدنة قبل شهرين على الأقل من قدوم حملة فرنجية (صليبية) جديدة إلى الشرق، أما إذا علم احد الطرفين بحركة المغول، أو أية شعوب أخرى آتية من جهة آسيا باتجاه الشام، فيتوجب على كل طرف أن

---

1. اودو بولشيان و ينظر: رانسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 664؛ البرجاوي: سعيد، **الحروب الصليبية في المشرق**، 630.

2. راجع نسخة اليمين التي حلف السلطان المنصور عليها، وكذلك نسخة يمين الفرنج التي حلفوا بها في تاريخ ابن الفرات 7/ 270-271.

3. **التتار:** اختلفت آراء المؤرخين فيما يتعلق بأصل كل من المغول والتتار، فقيل أن التتار اسم أطلق على أسلاف جنكيز خان، ويقال أن التتار كانوا قبيلة مستقلة عن المغول بينما صار اسم مغول يطلق على الشعوب التي خضعت لجنكيز خان بعد قهرها، ولم تلبث لفظة تتار أن تغلبت عليها لاسيما في الجهات الغربية من الإمبراطورية المغولية، ومن هنا كان لفظا المغول والتتار اسمين لقبيلتين كانتا تعيشان في الشطر الشرقي من أسيا الوسطى، وفي الشمال الشرقي من الصين، خضع لحكمهم كثير من الأمم، ينظر: الباز العريني، **المغول**، 33-34/ الأمين: حسن، **جنكيز خان وهولاكو**، 40؛ نسيم، جوزيف: **دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى**، 139؛ كريم الله : أبرار، **من هم التتار**، 25؛ دائرة المعارف الإسلامية، (مادة تتر)، مج4/ 576؛ حجة : شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك ودولة فارس**، 43؛ الخطيب: إبراهيم ياسين، تاريخ المغول والمماليك، 28.

يخبر الطرف الآخر بذلك، ولأن خطر المغول يستهدف المسلمين أساسا، فقد تعهد أسياد عكا بتوفير الحماية لهؤلاء إذا ما أرغموا على الانهزام إلى بلاد مملكتهم[1]، وتوفر هدنة عكا معلومات مفيدة عن العلاقات السلمية بين المماليك والفرنج، والتي لم تعكرها ضراوة العداوة بينهم فاستمرت حركة التجارة نشطة بين الموانئ الشامية والفرنجية من جهة، والموانئ الأوروبية المتوسطية من جهة أخرى رغم فترات الانقطاع التي عرفتها[2].

- **الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون وحكام صور (684 هـ /1285م)**

بعد سلسلة الانتصارات العسكرية والسياسية التي حققها المماليك، وتحديداً بعد استعادة حصن المرقب، وعدد من الأماكن والقلاع الهامة، فضلاً عن جملة التطورات المتلاحقة التي دفعت باتجاه عقد مزيد من الهدن والمعاهدات، وتجديد البعض الآخر، تحت وطأة ضربات المماليك الأمر الذي أدى إلى اهتزاز أركان المعاقل الفرنجية والمنطقة، وبدأ الخلاص والمواجهة، حيث شكلت المرحلة التالية لموت حكام بيروت، وصور، تحدياً واضحاً للحكام الجدد ايشيفيا(Eshivia) ومرجريت(Margaret) اللتين حرصتا على دوام العلاقات الحسنة والودية مع المماليك عبر تجديد العهود المعقودة سابقاً، واستجابة السلطان المنصور قلاوون لهذا التوجه[3].

ففي عام (684هـ / 1285 م) انتظم الصلح بين السلطان المنصور قلاوون وصاحبة بيروت مقابل مبلغ من المال قدر بتسعين ألف درهم، دفع منها مقدماً ثلاثون ألفاً على أن يقسط الباقي على ثلاثة شهور واستقرت –أيضاً– في العام نفسه الهدنة بين السلطان المنصور قلاوون وولده، وبين الملكة مرجريت بنت هنري بن البرنس بوهيمند (Margaret Daughter of Henry)، صاحبة صور لمدة عشر سنين متتاليات، يضمن خلالها حرية التجارة والتنقل بأمان وطمأنينة على النفوس، والأموال، ويكون متحصل هذه البلاد مناصفة وتم الاتفاق على آلية تبادل الأموال في حال انكسار المراكب عند الطرفين، وأن يمنع السلطان قلاوون عساكره وجنوده وأهل بلاده من تناول صور بأذية ، أو سرقة، أو عدوان

---

1. القلقشندي: عبد الله ، **صبح الأعشى**، 14/ 51.
2. حطيط: أحمد، **المدلول التاريخي للهدن والمعاهدات بين المماليك والفرنج**، 9.
3. رنسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**،1/ 668 ؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 182.

وبالمقابل تفعل صاحبة صور ذلك[1]، بمعنى وقوفها على الحياد، في حالة الصراع مع طرف آخر، والتأكيد على التنازل عن نصف دخل صور السنوي[2].ويبدو أن موقع صور على الساحل الشامي ودورها الاقتصادي في خدمة فرنجة الساحل دفع ملكة صور إلى طلب الهدوء، والاستقرار، والأمان، فعمدت إلى عقد هذه الهدنة[3]. وفي الوقت نفسه فإن قضية الحياد كانت ضرورية للسلطان المنصور قلاوون الذي كان يرى في الخطر المغولي التهديد الحقيقي القادم، فضلاً عن الحاجة للدعم المادي عبر أخذ نصف الدخل السنوي لتلك المناطق الغنية. [4]

- **هدن السلطان المنصور قلاوون وحصن المرقب في عام (684هـ/1285م) .**

كما أوضحنا سابقاً فإن هذا الحصن كان يتمتع بأهمية إستراتيجية في معادلة الصراع الفرنجي المملوكي [5]، وعلى الرغم من الصلح والأمان الذي حصل عليه هذا الحصن في عام (680هـ/1281م .) إلا أن السلطان المنصور عاد ونازله مرة أخرى ، ذلك لان أهله فعلوا ما يوجب نقض الهدنة السابقة، وفي الوقت الذي لم يتفقوا على الشروط الجديدة حاصر السلطان الحصن، وعملت النقوب[6]، وشعر الفرنج أنه سيفتح عنوة، فطلبوا الأمان، وسلموا الحصن فتسلمه السلطان، وكان هذا الحصن لبيت الإسبتار [7].

---

1. ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام والعصور**، 103-110.
2. Stanly lane – Poole: **history of Egyptian the middle** pages.p.281. ؛ سرور: محمد جمال **دولة بني قلاوون**، 238.
3. ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام والعصور**، 106-110.
4. حمادة: محمد ماهر، **وثائق الحروب الصليبية**،316-324 ؛ علي: محمد كرد، **خطط الشام**، 2/ 119.
5. النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 39؛ ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام**، 77-85 ؛ العسقلاني: شافع، **الفضل المأثور**، 143.
6. ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام**، 76-77؛ ابن المغيزل: نور الدين، **ذيل مفرج الكروب**، 111؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 9/ 270 -271؛ ابن أيبك: أبو بكر عبد الله، **كنز الدرر**، 8/ 268-270.
7. النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 39-40؛ ابن عبد الظاهر:محيي ، **الروض الزاهر** ؛77 المقريزي: أحمد، **السلوك** ،1/ 728؛ رانسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 668.

ونظراً لاضطراب المنطقة وحصول بعض الارتدادات فقد قرر السلطان البقاء في الساحل لضبط أمور بعض المواقع، والقلاع، والحصون، وسار في عام (686هـ/1287م) إلى قلعة صهيون[1]، حيث نصب عليها المنجنيق وضايقها بالحصار، فأجابه صاحبها إلى تسليمها بالأمان، فتسلمها ثم سار إلى اللاذقية، وكان بها برج للفرنج يحيط به البحر من جميع الجهات

فركب طريقاً إليه في البحر بالحجارة، وحاصر البرج المذكور، ثم تسلمه بالأمان وهدمه [2]، ولم ينتبه الفرنجة (الصليبيون) بعد كل هذه الانهيارات إلى قوة المماليك الصاعدة، واستمرت نزاعاتهم الداخلية وحالتهم الفوضوية. وبعد مغادرة روجر دي سان سفرينو(Rojer De Sanseverino) إلى ايطاليا، ووفاة شارل انجو (charleenJo) ملك نأبولي المهيمن على المدينة، وانغماس خليفته شارل الثاني (Charles II) في الحرب في صقلية، ولم يكن نائبه في عكا اودو بوالشيان(Audo Polishing) على مستوى الأحداث[3]، وتضعضع وضعه كل هذا شكل فرصة للسلطان المنصور قلاوون لمهاجمة أملاكه ففي العام (686هـ/1278م) انتهى أجل الهدنة التي انعقدت في قيسارية عام (684هـ /1285م)، فعرض السلطان المملوكي على اودو(Audo) تجديدها لمدة عشر سنوات أخرى فقبل العرض لإنقاذ الحالة التي يعيشها [4].

ومع ذلك بقي حاضراً في ذهن السلطان المنصور قلاوون أهمية فتح برج اللاذقية حيث شكلت هذه الأحداث فرصة طيبة له، استغلها بذكاء، فأرسل حملة عسكرية في أوائل عام (686هـ/ 1287م)، مستغلاً شكاوي التجار الذين لا يأمنون على إرسال بضائعهم إلى هذا الميناء الذي يعتبر آخر ما تبقى من إمارة أنطاكية، وقد اعتبر قلاوون أن اللاذقية جزء من إمارة

---

1. **قلعة صهيون:** قلعة حصينة في طرف جبل من أعمال حمص وقيل حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص وليس بمشرف على البحر. ينظر الحموي: ياقوت ،**معجم البلدان**، 3/ 336؛ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه**، 1 / 58.

2. دحلان: السيد أحمد زيني، **الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية**، 2/ 77- 78؛ ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام**، 148-150؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **مختار الأخبار** ، 86؛ أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر**، 2/ 356-357؛ ابن المغيزل: نور الدين، **ذيل مفرج الكروب**، 118؛ الذهبي: محمد ، **تاريخ الإسلام**، حوادث 681 -690 ، 20 ؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 8/ 49 -50 ؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ 197 -198.

3. رانسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 669.

4. رانسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 664؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 184.

انطاكية القديمة دخل في الهدنة المعقودة مع إمارة طرابلس، وقد سلم الأمير حسام الدين طرنطاي [1] المدينة بسهولة، ولم تحاول أي إمارة فرنجية (صليبية) للنهوض لمساعدتها [2]

ورغم أن الهدنة التي عقدها السلطان قلاوون مع حصن المرقب في عام (680هـ/1281م) والتي كانت مدتها عشر سنوات، إلا أنه اضطر فجأة إلى نقضها بسبب مهاجمتهم حصن الإستبارية بالمرقب في عام (684هـ/ 1285م)، وذلك بسبب اعتراضهم قافلة من التجار المسلمين، حيث ظل هذا الحصن محاصراً ثمانية وثلاثين يوماً، حتى رحب الفريقان بعقد معاهدة صلح وتسليم، فالإستبارية رأت أن موقفها أصبح من المتعذر الدفاع عنه، أما السلطان فرغب في المحافظة على أسوار الحصن من الخراب، وانتهى الأمر بإجلاء الحامية إلى طرابلس تحت حراسة جند السلطان[3]، وسمح لهم بنقل ما يستطيعون حمله [4].وكان استيلاء السلطان المنصور على الحصن له تداعيات كثيرة في المدن الفرنجية (الصليبية) الأخرى، فاضطر أمير طرابلس أن يسلم له مرقية [5] ، ولم تمضي ثلاث سنوات على استيلاء السلطان المنصور قلاوون على حصن المرقب، حتى ورد إليه كتاب من نائبه ببلاد الشام ينبئه فيه بأن الفرنج بطرابلس قد نقضوا الهدنة، واعتدوا على التجار المسلمين رغم تعهدهم بألا يتعرضوا لتاجر، ولا يقطعوا الطريق على مسافر، كما اعتدوا على بلاد المناصفات المتفق عليها،

---

1. حسام الدين طرنطاي، هو نائب المملكة حسام الدين المنصوري السيفي عرف بحزمه، ودهائه، اشتراه السلطان المنصور، أيام أمرته من أولاد ابن الموصلي، للمزيد ينظر البزرالي: القسم بن محمد، **المقتفى**، 1/ 213؛ الذهبي: محمد ، **العبر في خبر من عبر**، 3/ 268؛ ابن أيبك: أبو بكر عبد الله الصفدي، **الوافي بالوفيات**، 16/ 424

2. ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الأيام**، 151؛ ابن المغيزل: نور الدين، **ذيل مفرج الكروب**، 118؛ ابن عبد الظاهر :محيي ، **الروض الزاهر**، 152؛ أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 2/ 357؛ ابن الوردي: عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 2/ 227؛ العيني: محمود، **عقد الجمان، حوادث 665 – 698**/ 361 ؛ ابن سباط: حمزة، **تاريخ ابن سباط: حمزة**، 489.

3. بيبرس المنصوري: الدوادار، **مختار الأخبار** ، 80–81 ؛ **زبدة الفكرة**، 9/ 271 ؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ 189.

4. النويري:أحمد، **نهاية الأرب** ،31/ 39 العيني: محمود؛ **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، 2 ،338؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**،1/ 728؛ رنسيمان: ستيفن،3/ 668–669 ؛ السيد أحمد بن زيني دخلان، **الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية**، 2/ 78؛Stevenson, the Crusaders in the east P.349

5. مرقية: قلعة حصينة في سواحل حمص، الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 5/ 109؛ ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الأيام**، 103 – 110.

إلى جانب اعتدائهم على حصن الأكراد [1]، حيث ذكر بيبرس المنصوري، أن أهلها نقضوا قواعد الصلح، وكدروا موارد الهدنة بما ارتكبوا من الفساد وسوء الاعتماد، والتطرق إلى الطرقات، والتعرض إلى المسلمين في معظم الأوقات، فعزم السلطان على حصارها وصمم على دمارها[2]. وذكر المقريزي: " أن الفرنج بطرابلس نقضوا الهدنة وأخذوا جماعة من التجار وغيرهم وصار بأيديهم عدة أسرى، وكانوا لما ملك السلطان قلعة المرقب، قد بعثوا إليه هدية وصالحوه على ألا يتركوا عندهم اسيراً ولا يتعرضوا لتاجر، ولا يقطعوا الطريق على مسافر"[3]، وكان بوهيمند السابع (Bohemound VII) أمير طرابلس قد توفي في عام (686هـ /1287 م) دون أن يترك وريثاً شرعياً مما أدى إلى الصراع بين الفرنجة على حكم طرابلس، وهذا ما دفع السلطان لفتحها[4]. فأعد قلاوون العدة عام (688هـ/1289م) للاستيلاء عليها [5] ،وقد حفزه على هذا الإجراء، وتحقيق تلك الغاية ما حدث بينه وبين بارثليمو (Bartholomew the Apostle)[6] صاحب جبيل[7] من خلاف، ذلك أن الأخير كان قد عرض عليه أن يعاونه في امتلاك طرابلس، على أن تكون مناصفة بينهما، فلما استقر الأمر له فيها، شرع في التسويف

---

1. بيبرس المنصوري: الدوادار، **مختار الأخبار**، 87؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 8/ 80؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **تاريخ ابن خلدون** 5/ 392.
2. بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 9/ 284-285.
3. المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2 / 208.
4. ابن المغيزل: نور الدين، **ذيل مفرج الكروب**، 120؛ العسقلاني: شافع، **الفضل المأثور**، 149؛ الذهبي: محمد ، **تاريخ الإسلام، حوادث**، 681-690 ، 26؛ رانسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 681-685؛ ماير، **تاريخ الحروب الصليبية**، 407-408.
5. المقريزي: أحمد: السلوك، 3 / ق3 / 746 ؛ العيني: محمود: **عقد الجمان**، 2/ 279.
6. **بارثليمو:** صاحب جبيل ورئيس القومون الجديد، استنجد بالسلطان المنصور قلاوون ووعده إن تمكن من تحقيق أطماعه فإنه يقتسم معه طرابلس، وقد سأل بارثليميو السلطان قلاوون المساعدة على ملك طرابلس على أن تكون مناصفة وبذل بذولاً كثيرة.." ينظر: ابن تغرى بردى: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 320 -321؛ عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية**، 2/ 1115.
7. **جبيل** : هي على ثغر عالٍ وتسمى الجبل الأحمر، من تقاطيع جبل المقطم، بناها قراقوش للملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر، ينظر: المقريزي: أحمد، الخطط، 2 / 304 ؛كازانوفا: بول ، **تاريخ ووصف قلعة القاهرة**، 149.

والمماطلة، لاعتقاده أن الفرنج لا توافق على تنفيذ ما تعهد به للسلطان. لذلك لم ير قلاوون بداً من محاربته قبل استفحال نفوذه[1] .

سار السلطان على رأس قوة من الفرسان والمشاة، وبعد أن دار القتال العنيف بين الطرفين، تمكن المسلمون من إحداث ثغرة في الأسوار، واحتشدت جنودهم داخل المدينة، وما لبثت طرابلس [2] أن سقطت في عام (688هـ/1289م) [3] بعد حصار دام تسعة وثلاثين يوماً [4] ، وأقلع قسم كبير من أهلها إلى قبرص، ولجأ الفريق السيء الحظ من سكان هذه المدينة إلى جزيرة القديس نيكولاس[5] (St.Nicholas) حيث ماتوا جوعا [6]، ولما تم الاستيلاء على طرابلس أبقى للأميرة (Lucia) أخت الأمير المتوفي بوهيمند السابع(Bohemond Ⅶ)

---

1. ابن تغري بردى:يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7 / 320 –321 ؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 9/ 285 ؛ النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 48 –49 ؛ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 8/ 5–6 ، المقريزي: أحمد؛ **السلوك**، 2/ 211؛ رانسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3 / 687.

2. طرابلس: مدينة ومرفأ على القسم الشمالي من الساحل اللبناني، ظلت مرفأ هام لدمشق عدة قرون وهي مدينة رومية على طرف داخل في البحر، فتحها المسلمون سنة 688 هـ وخربوها وبين طرابلس وبعلبك 54 ميلاً، ينظر: فولفغانغ: مولر، **القلاع أيام الحروب الصليبية**، 48.

3. أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر**، 2/ 357–358 ؛ النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31 / 46 ؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 8/ 98 ؛ ابن خلدون: عبد الرحمن ، **تاريخ ابن خلدون** 5/ 392.

4. بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 9/ 285؛ النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 46–47؛ ابن الجزري: محمد ، **تاريخ ابن ابن الجزري:محمد**، 328 ، ابن أيبك: أبو بكر عبد الله ، **كنز الدرر**، 8/ 383؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 8 ، 80؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **تاريخ ابن خلدون** 5/ 392.

5. ذكر أبو الفداء: اسماعيل، أن جنود المسلمين عبروا البحر وراء الفارين الى تلك الجزيرة التي تقع بالقرب من طرابلس، وقتلوا جميع من فيها من الرجال وسبوا النساء والأطفال كما عاثوا في الأرض فسادا، وقد شاهد بنفسه مبلغ ما حدث بها من التخريب والقتل، فوصفها بقوله :"وهذه الجزيرة بعد فراغ الناس من النهب عبرت إليها في مراكب فوجدتها ملأ من القتل بحيث لا يستطيع الإنسان الوقوف فيها من نتن القتلى". ينظر أبو الفداء: اسماعيل، (**المختصر في أخبار البشر**، 4/ 23).

6. **جزيرة النخله** حيال طرابلس في البحر، لا يمكن الوصول إليها إلا في مراكب وعرف في المراجع الأوروبية ب سنت نقولا St.NicholsK، وأشار أبو الفداء إلى أنه كان بهذه الجزيرة تبنه تسمى كنيه سنطماس ، النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ ص47/ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 8/ 80؛ أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 5/ 90؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 747..

وصاحبة طرابلس من بعده [1] قريتين من قراها، كما أقر بارثليموا على بلدة جبيل على سبيل الإقطاع، واخذ منه معظم أموالها [2]

وذلك لمدة عشر سنوات في ظل مراقبة صارمة. [3]

ولم يكن هذا الخرق للهدن والمعاهدات هو الوحيد من جانب الفرنج (الصليبيين)، فأمام محاولات الفرنجة تقديم الدعم والنصرة لمن تبقى من اللاتين وغيرهم، قام بعض الحاقدين من الفرنج بانتهاك حرمة المسلمين الذين كانوا يعيشون بأمان بالقرب من عكا، بمقتضى المعاهدة المبرمة بين السلطان واللاتين[4]، وقتلوا جماعة من تجارهم[5] ،وذلك في عام (689 هـ / 1290 م) فاتخذ السلطان قلاوون من ذلك ذريعة لإعلان الحرب على عكا، التي غدت في عهده ملجأ للفرنج الذين وقعت مدنهم في أيدي المسلمين، فاستفتى القضاة، وأخبرهم بالاعتداء الفرنجي على التجار المسلمين وما لحق بهم من إهانة،[6] والتي كانت كافية لإعلان الحرب على الفرنج، ثم

---

1. بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 9/ 285؛النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 48-49؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 8 / 5-6 ؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ 211؛ Stevenson, the crusaders in the east,p.349.

2. ابن الفرات، **تاريخ الدول والملوك**، 15/ 261؛ هذا وقد ذكر(Stevenson, the crusaders in the east,p350.)إن بارثيلمو حاكم جبيل قد تعهد للسلطان قلاوون بدفع جزية سنوية، رنسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3 / 687.

3. ابن أيبك: أبو بكر عبد الله، **كنز الدرر**، 8/ 301؛ صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، 12؛ Stevenson, the crusaders in the east,pp.351-352؛ رانسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 691-692.

4. ابن أبي الفضائل: مفضل، **النهج السديد فيما بعد تاريخ ابن العميد**، 2/ 386؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **التحفة الملوكية**، 122؛ العسقلاني المصري: شافع، **الفضل المأثور** ،173؛ الدويهي: اسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 266.ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام** ، 177.

5 / 177 ، ابن أيبك: أبو بكر عبد الله **كنز الدرر**، 8 ، 300- 301؛ ينظر : ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد (ت 779 / 1377 م) **رحلة ابن بطوطة**، 45.

6. ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام**، 177/ بيبرس المنصوري: الدوادار، **مختار الأخبار**، 87/ النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 171/ ابن أيبك: أبو بكر عبد الله، **كنز الدرر**، 8 / 301 ، الكتبي: محمد، **عيون التواريخ**، 23/ 47 ؛ ابن الجزري: محمد، **المختار من تاريخ ابن ابن الجزري:محمد**، 336 ، ابن سباط: حمزة، **تاريخ ابن سباط** 493/ ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 13 ، 295 ، المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ 217/ برجاوي، سعيد، **الحروب الصليبية في المشرق**، 635.

شرع في الإعداد لحصار عكا لكنه توفي في ذي القعدة/ تشرين ثاني عام (689هـ/ 1290م) [1].

ولقد لوحظ في حادثتي النقض للهدنة في حصن المرقب وطرابلس، تشدد السلطان المنصور قلاوون في الرد، كدليل حازم على أن لا تهاون من جانبه فيما يتعلق بالعهود، والمواثيق؛ لأنه أراد بدوام هذا الالتزام إشاعة أجواء الهدوء والطمأنينة للجميع، على الرغم مما وصل إليه حال الفرنج في المنطقة من تدهور وتراجع، وقد شكل هذا الاستنفار من جانب السلطان رسالة واضحة لحاكم جبيل الذي قيل انه قبل لاحقاً وبعد كل الذي حصل أن يدفع الجزية السنوية، رغم محاولاته التنكر لهذا الالتزام، محتجاً بعدم قبول الفرنج لسلوكه هذا، وكأنه يعمل بعيداً عن رغبات الفرنج[2]. في ظل هذه الفوضى والتناقضات التي كانت تعيشها المنطقة، ويبدو أن السلطان المنصور قلاوون لم يكن ينوي مهاجمة عكا عقب فتحه طرابلس مباشرة، وإن كان الهدف موجوداً فاتجه إلى دمشق، حيث استقبل فيها رسل الملك هنري الثامن(Henry VIII) [3] بشأن تجديد الهدنة بين الطرفين، فاستجاب السلطان لهذا الطلب، وجدد الهدنة المعقودة مع عكا لمدة عشر سنوات، وعشرة أشهر، وعشرة أيام [4] .وهذا التداخل والإرباك في نقض الهدن والحوارات، دفع بعض الممالك الأوربية للتدخل حفاظاً على المصالح، حيث أن ملكي أرغونه وصقلية وقعا معاهدة مع قلاوون في عام (689هـ/1290م) كان مضمونها استقرار العلاقة وعودتها، وأن يمنعا كل من يفكر من الفرنجة في أذية السلطان وبلاده، وأن يكون التجار والبحارة آمنين على الأنفس، والأموال، والبضائع، وأن يمنع الحرامية من الاقتراب من بلاد السلطان [5]

---

1. رانسيمان: ستيفين، **تاريخ الحرب الصليبية**، 3/ 693.؛ العسقلاني المصري:شافع، **الفضل المأثور** ،175.؛ البرزالي:القاسم بن محمد، **المقتفي**، 1/ 207-208.؛ ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 14/ 37.؛ الدويهي: اسطفان، **تاريخ الأزمنة**، 266.؛ سرور: محمد جمال، **دول بني قلاوون في مصر**، 240.؛ سليم: محمود رزق **عصر سلاطين المماليك**،1/ 30.
2. بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 9/ 285 ، رانسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 687- 688.
3. هنري الثامن هو: هو ابن الملك هيو الثالث (ت683هـ/1284م)، ملك قبرص وهو من بقايا أسرة لوز جينان، الذين سموا أنفسهم ملوك بيت مملكة المقدس اللاتينية، للمزيد ينظر : Stevenson, the crusaders in the east,p.287
4. النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 30/ 49
5. ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الأيام**، 156-162.

وقد حرصت جنوه على عقد الصلح مع السلطان، لحماية تجارتها، وتم لها ذلك في شهر جمادى الأولى/ آب عام (689هـ/1290م)، حيث حصلت على عدة امتيازات تجارية في الإسكندرية [1] وبفضل هاتين الاتفاقيتين يبدو انه حصل ترطيب للعلاقات في المنطقة، حيث عادت الثقة بين عكا، وصور، وبيروت من جهة، والسلطان المنصور قلاوون من جهة أخرى، واستؤنفت العلاقات التجارية بين المسلمين والفرنج (الصليبيين) وأخذ تجار دمشق يعيدون إرسال قوافلهم إلى الساحل، فانتظمت القوافل بين دمشق وبيروت، وتوافر من المحصول في تلك السنة ما دفع الفلاحين المسلمين إلى عرض منتجهم في أسواق عكا [2]، وهذا يدفع للقول إن سياسة السلطان المنصور قلاوون تجاه أعدائه كانت واحدة من السياسات العقلانية لخدمة هدفٍ واحد ووحيد، وهو القضاء على هذا النفوذ والتواجد الفرنجي في المنطقة، وهذا ما أكدته الأحداث التالية لوفاته، حيث لم يتبدل الموقف السياسي، والعسكري بين المماليك في مصر، وبين ما تبقى من الإمارات الصليبية في فلسطين وبلاد الشام، حيث أصر ابنه وخليفته الأشرف خليل على إتمام مشروع التحرر والتحرير الناجز وفتح عكا، وإخراج الصليبيين من أنحاء بلاد الشام كافة [3].

رابعاً: الهدن والمعاهدات في عهد السلطان الاشرف خليل بن قلاوون (689-693هـ/1290-1293م).

بعد تحرير السلطان المنصور قلاوون لآخر الإمارات الفرنجية -إمارة طرابلس- عام (688هـ/1289م) [4] اتجهت همته إلى تحرير عكا، وذلك عندما بلغه قدوم جماعات من الفرنج

---

1. ف:هايد، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى**، 2/ 68-69؛ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام**، 165-167.
2. العسقلاني: شافع، **الفضل المأثور**، 161 -162؛ النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 171؛ ابن أيبك: أبو بكر عبد الله ، **كنز الدرر**، 8/ 301-302؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 188.
3. حروب: محمد، **دور المماليك في تصفية الوجود الصليبي في فلسطين وبلاد الشام**، 340.
4. ابن الجزري:محمد، **تاريخ ابن الجزري** ،1/ 29. الذهبي: محمد ، **تاريخ الإسلام**، حوادث (681-690هـ)، 383 -384.؛ الذهبي: محمد ، **دول الإسلام** ،2/ 188. ؛ الكتبي: محمد، **فوات الوفيات** ،3/ 204.؛ ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية** ،13/ 317. ؛ ابن الشحنة: محمد، روض المناظر، 270.؛ العصامي: عبد الملك، **سمط النجوم العوالي**،4/ 25.؛ حجة:شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**،264.

إلى عكا، وقتلهم من كان بها من التجار المسلمين [1] فخرج من الديار المصرية متوجهاً إلى عكا، عبر الساحل الشامي، لكنه قبل أن يتمكن من إنجاز مهمته، اشتد عليه المرض عند مسجد التبر [2] - تسميه العامة التبن – خارج القاهرة، وبقي على هذا الحال حتى وافته المنية 6 ذي القعدة /تشرين ثاني عام (689هـ/ 1290م) [3] وحمل في محفة إلى القاهرة، فلما كانت ليلة الأحد حمل من قلعة الجبل في تأبوته، وبين يديه الأمراء والجند مشاة، إلى أن دفن بتربته التي أنشأها بين القصرين، بعد أن حكم إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر [4]. ولما توفي السلطان قلاوون، استقر رأي الأمراء على جلوس ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل، على عرش السلطنة المملوكية، وتم جلوسه في ذي القعدة/ تشرين ثاني عام (689هـ /1290م)، [5] ثم اخذ بترتيب أمور السلطنة، فقبض على الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة في عهد والده،

---

1. الذهبي: محمد، **دول الإسلام**، 2/ 88. ؛ العسقلاني المصري: شافع، **الفضل المأثور**، 173.
2. مسجد التبر : ذكر في بعض المصادر بمسجد التبن وهذا خطأ وموضعه خارج القاهرة قريب من المطرية، المقريزي: أحمد، **الخطط**، 3/ 399.
3. أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 4/ 23 –24. ؛ ابن الجزري: محمد، **تاريخ حوادث الزمان**، 1/ 29.؛ الذهبي: محمد **دول الإسلام** ،2/ 188–189.؛ الذهبي: محمد ، **العبر**،2/ 329.؛ ابن رسول الغساني، **نزهة العيون**، 2/ 220.؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس** ،265؛ ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الأيام والعصور**، 177 –178 ، بيبرس المنصوري: الدوادار، **مختار الأخبار**، 87–88 ، ابن المغيزل: نور الدين،**ذيل مفرج الكروب**، 125؛ النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 195؛ ابن أيبك: أبو بكر عبد الله، **كنز الدرر**، 8/ 307/ – 308؛ العسقلاني: شافع ، **الفضل المأثور**، 174–177. العمري، **مسالك الإبصار**، 24/ 451؛ ابن دقماق: ابراهيم، **الجوهر الثمين**، 2/ 99–100 ؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 8/ 110.
4. أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 4/ 24.؛ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية** ،13/ 317. ؛ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه**، 1/ 135.
5. هو بدر الدين بيدرا المنصوري، أصله من المغل، الذين اسروا بعد وقعة عين جالوت، فكانت منهم أم بيدرة، وهو طفل تحمله على ظهرها في لباد، وحُملت معه الى مصر مع الأسرى، وفرقوا على الأمراء، وكان بيدرا من نصيب المنصور جعله نائب للسلطنة في عام 689 هـ. للمزيد ينظر: المقريزي: أحمد، **المقفى الكبير**، 2/ 562 –563. ؛ ابن تغري بردي:يوسف، **الدليل الشافي**، 1/ 208. سليم: محمود، **عصر سلاطين المماليك**، 1/ 98.

وفوض هذا المنصب للأمير بدر الدين بيدرا وعين شمس الدين محمد بن السلعوس [1] وزيراً، ومديراً للمملكة [2]، وقد ابتدأ حكمه بتحرير عكا آخر معقل من معاقل الفرنج في بلاد الشام، وذلك في جمادى الأولى/أيار عام (690هـ 1291م) [3] .

ومن الجدير ذكره عند الحديث عن زعماء وقادة بحجم السلاطين المماليك أن نستعرض آليات استلام السلطة، والتعرف إلى حجم التناقض الداخلي، الذي لم يثنيهم عن القيام بدورهم، ومسؤولياتهم التاريخية في إنهاء التواجد الفرنجي بالمنطقة من خلال صراع طويل امتد عقود إلى جانب دورهم البارز في صد خطر المغول ومواجهته والذي شكل تهديداً حقيقياً للمشرق الإسلامي، فأمام عظمة الدور في المواجهة مع الأعداء لا يجوز إغفال حجم المشكلات والتحديات الداخلية وخاصة الصراع على السلطة داخل البيت المملوكي، وان استطاع الاشرف خليل انتزاع السلطة لتحقيق هدف مركزي ، وهو إتمام ما قام به والده وهو السعي لإنهاء الوجود الفرنجي، ورغم ما قيل عن عدم رضا السلطان المنصور عن السلطان الأشرف خليل، إلا أن بعض المصادر تذكر أن السلطان المنصور كان يعمل على تحضير ولديه للسلطنة، من خلال تنشئتهما تنشئة سياسية وعسكرية، فكان عند خروجه للحرب يستخلف ولديه في قلعة الجبل [4] ويترك السلطنة تحت تصرفهما [5] .

---

1. هو شمس الدين محمد، بن عثمان التنوخي الدمشقي كان تاجراً له خط جيد، فحظي عند الاشرف وهو أمير فجعله ناظر الديوان عنده ثم ولي حسبة دمشق. للمزيد ينظر: الذهبي: محمد ، **العبر في خبر من عبر**، 3/ 381.؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/، 208.؛ ابن إياس: محمد ، **بدائع الزهور**،1/ 327.

2. أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في أفكار البشر**، 4/ 24.؛ ابن سباط: حمزة، **صدق الأخبار**، 1/ 494-495.

3. ابن أيبك الصفدي:خليل، **الوافي بالوفيات**، 13/ 399.؛ الكتبي: محمد، **فوات الوفيات**، 1/ 406.؛المقريزي: أحمد، **المقفى الكبير** ،3 /795.؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 265.؛ مهدي: شفيق، **مماليك مصر والشام** ،**170**.

4. قلعة الجبل: وهي مقر السلطان، ودار مملكته، بناها الطواشي بهاء الدين قراقوش، أيام الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وموقعها بين ظاهر القاهرة، وجبل المقطم، وما يليه من القرافة المتصلة بعمارة القاهرة.للمزيد ينظر: القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**،3/ 368.؛ المقريزي: أحمد، **الخطط**، 3/ 26. ؛ كازانوفا: بول، **تاريخ ووصف قلعة القاهرة**، 70.

5. بيبرس المنصوري: الدوادار، **التحفة الملوكية**، 122 ؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **تاريخ العبر**، مج 10/ 868.

وبعيداً عن الخوض في تفاصيل الاستعدادات التي بلغت ذروتها عند الطرفين المملوكي والفرنجي، إلا أنه من المهم جداً الإشارة إلى أن الفرنجة قد استفادوا إلى حدٍ ما من فترة الهدوء التي أعقبت وفاة السلطان المنصور قلاوون، وما نشب من نزاع داخلي عند اعتلاء الأشرف خليل السلطنة، وحاولوا استغلال ذلك بإرسال سفارة إلى القاهرة، برئاسة أحد أعيان عكا، وعضوية فارسين احدهما من الداوية والآخر من الإستبارية ، وكان الهدف طلب العفو من السلطان وثنيه عن مهاجمة عكا، لكن الأشرف رفض الاعتذار ورفض استقبال الوفد وسجنه، ولم يعد مفر من القتال[1] وسلوك السلطان الأشرف هذا مع هذه السفارة يدلل بشكل واضح على رفضه مبدأ التفاوض منذ البداية ، وكأنه بذلك يرسل للفرنج رسالة واضحة مفادها انه يريد استكمال مشروع التحرر والتحرير الناجز لعكا، وكل مدن الساحل الشامي التي ما زالت بيد الفرنج. ومع ضخامة الاستعدادات والحشود من كلا الطرفين، كانت المحاولات الفرنجية لا تستثني خيار المهادنة والصلح على الأقل لتفادي خطر النهاية، التي باتت وشيكة على الأقل من وجهة نظر زعماء أوروبا الذين تراخوا في المواجهة والإمداد، وهذا ما أدركه الملك هنري الذي عزم على التفاهم مع السلطان رغم سخونة الموقف، وذلك في محاولة أخيرة لإعادة السلام لتلك المنطقة فأرسل رسولين من الداوية إلى المعسكر المملوكي طالباً من السلطان عقد هدنة، ووعده بإنصاف كل شكوى، وفي ظل هذه الأجواء المشحونة فقد استقبلهما السلطان خارج خيمته، واستلم منهما الرسالة وسألهما: " ألم تحضرا معكما مفاتيح المدينة"؟ فلما أنكرا قال: هذا هو مطلبي، ووعدهما بتأمين خروج جميع الفرنجة من عكا ومعهم أموالهم، إذا استسلموا، ولم تؤخذ المدينة عنوة[2]على الرغم من توجه الفرنجة للمفاوضات، تحت ضغط الاستعداد والمواجهة التي باتت حتمية، إلا أن السلطان الأشرف خليل كان يعي ما يرد في كل جولات التفاوض، ولعل سقوط حجر من إحدى العرادات[3] كان كافياً للاستنفار، وعندما فشلت المفاوضات قرر الملك

---

1. المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 762؛ بيبرس المنصوري: الداودار، **التحفة الملوكية**، 126- 127 ؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، 56-65 ، النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 198-199 ؛ طقوش: محمد سهيل،**تاريخ المماليك**: 203.

2. الذهبي: محمد ، **تاريخ الإسلام** ، حوادث 681 – 690 ، 45 ، رانسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 702 – 703 ؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 205 .

3. العرادة: آلة أصغر من المنجنيق تقذف الحجارة على مسافات طويلة، ويرمى بها النفط المشتعل اتجاه الأعداء. ينظر عدوان:أحمد محمد، **العسكرية الإسلامية في العصر المملوكي**، 63.

هنري الثاني(Henry II) [1]ملك قبرص الدفاع عن عكا إلا انه كانت تعترضه عدة صعوبات أهمها: قلة المدافعين مقارنةً مع كثرة المهاجمين وتجدد النزاعات الداخلية بين بعض فصائل الفرنج فضلاً عن قلة التجهيزات. [2]

شهد ميدان المعركة تحديات كبيرة لكل الأطراف وأمام شراسة المعركة اضطر هنري الثاني (Henry II) إلى مغادرة عكا مع قواته وفرسانه [3]،وشكل هذا السلوك ضربةً للمدافعين الفرنج عن عكا، وشاعت الفوضى واخذ الجميع يستعد للفرار، ولم تكد عكا تصبح في قبضة المسلمين في 17 جمادى الأولى/ أيار عام (690هـ/ 1291م)، حتى أمر السلطان بتدميرها، وفق خطة موضوعة [4]، حتى لا تبقى رأس حربة لما قد يقوم به الفرنج من اعتداءات على بلاد الشام، وتعدّ معركة عكا آخر المعارك الفاصلة في الحروب الصليبية التي شهدها المشرق الإسلامي. [5]

---

1. الحروب: محمد، **دور المماليك في تصفية الوجود الصليبي في فلسطيني وبلاد الشام**، 344 ؛ برجاوي: سعيد، **الحروب الصليبية في المشرق**، 636.

2. طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 206؛ العسلي:بسام، **الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية القديمة**، 110 – 111.

3. مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 2؛ الذهبي: محمد ، **تاريخ الإسلام، حوادث 681 – 690 هـ**، 46، ابن تغري بردى، يوسف، **النجوم الزاهرة**، 8/ 6.

4. ابن العبري: غريغوريوس، **تاريخ الزمان**، 366؛ ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام والعصور**، 272 ، بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 9/ **مختار الأخبار**، 91–92 ؛ العسقلاني: شافع، **الفضل المأثور**، 177–178/ ابن الفوطي: عبد الرازق، **الحوادث الجامعة**، 320 ، أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر**، 2/ 361 ؛ أبو الفداء: اسماعيل، **التبر المسبوك**، 43/ ابن المغيزل: نور الدين، **ذيل مفرج الكروب**، 140 –141 ، النويري:أحمد، **نهاية الأرب** ، 31/ 199/ ابن أيبك: أبو بكر عبد الله، **كنز الدرر**، 8/ 311 –314. المقريزي: أحمد، **السلوك**.

5. أبو الفداء:اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 7/ 31–32 ، النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 195 ، 199/ العيني: محمود: **عقد الجمان**، 3/ 54–62 ، ابن تغري بردى:يوسف، **النجوم الزاهرة**، 8 / 5–8 ، رنسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 694– 712 ؛ عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية**، 2/ 1180 – 1183 ، طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 207.

- **الأمان بين السلطان الاشرف خليل بن قلاوون والفرنج الإسبتار والداوية في عكا (690هـ/1291م).**

في اليوم الثاني من فتح مدينة عكا قصد جماعة من الجند وغيرهم الدار، والبرج الذي فيه الداوية، فطلبوا الأمان، فأمنهم السلطان، وسير لهم سنجقاً فأخذوه، ورفعوه على برجهم، وفتحوا الباب، فطلع إليهم جماعة كبيرة من الجند وغيرهم، فلما صاروا عندهم تعرض بعض الجند والعوام للنهب، ومدوا أيديهم على من عندهم من النساء، والأصاغر، فغلق الفرنج الأبواب ووضعوا فيهم السيف فقتلوا جماعة من المسلمين، ورموا السنجق، وتمسكوا بالعصيان، وعاد الحصار عليهم، وفي اليوم المذكور نزل من كان في البرج من الأرمن بالأمان، فأمنهم السلطان على أنفسهم، وحريمهم، وعاد القتال على برج الداوية ومن عنده إلى يوم الأحد 19 جمادى الأولى/23 أيار حينها طلب الداوية ومن بقي في الأبراج الأمان فأمنهم السلطان على أنفسهم وحريمهم على أن يتوجهوا حيث شاؤوا، فلما خرجوا قتلوا منهم فوق الألفين وأسروا مثلهم، وكان السلطان قد حقد عليهم بعد قتلهم الأمير اَقبغا المنصوري أحد أمراء الشام[1]، ولما علم من بقي منهم ما جرى على إخوانهم تمسكوا بالعصيان، وامتنعوا من قبول الأمان وقاتلوا أشد قتال واختطفوا خمسة أنفار من المسلمين ورموهم من أعلى البرج، ثم في يوم الثلاثاء 18 جمادى الأولى/22 أيار حيث أخذ البرج الذي تأخر بعكا وأنزل من فيه بالأمان، وكان قد غلق من سائر جهاته، والعجب أن الله سبحانه وتعإلى قد فتح عكا في مثل اليوم أخذها فيه الفرنج ومثل الساعة، فقد كان الفرنج قد استولوا على عكا يوم الجمعة 17 جمادى الآخرة / 18 حزيران (587هـ/1191م) في الساعة الثالثة من النهار، وأمنوا من كان بها من المسلمين، ثم قتلوهم غدرا، وقدر استرجاعها منهم يوم الجمعة، الساعة الثالثة من نهار اليوم المذكور، وأمنهم السلطان، ثم قتلهم، كما فعل الفرنج بالمسلمين فانتقم الله منهم. [2]

وكان السلطان عند منازلته عكا قد جهز جماعة من الجند بقادة الأمير سنجر الجاشنكير إلى صور، لحفظ الطرق، وتعرف الأخبار، وأمره بمضايقة صور، وبينما هو كذلك داهمته مراكب المنهزمين من عكا باتجاه ميناء صور، فحال بينها وبين الميناء، فطلب أهل صور

---

1. ابن تغري بردى:يوسف، **النجوم الزاهرة**، 8/ 6
2. ابن شداد: عز الدين، **النوادر السلطانية**: 79.

الأمان فأمنهم على أنفسهم وأموالهم ويسلموا صور فأجيبوا إلى ذلك، وتعدّ صور من أجمل الأماكن، ومن أمنع الحصون والمدن الساحلية [1] ، وما أن وصل الأمير سنجر إليها حتى تخاذل حاكمها، نائب الملك هنري الثاني(Henry II) عن الدفاع عنها، وأبحر إلى قبرص، فدخلتها القوات المملوكية في شهر رجب / تموز من عام (690هـ/1291م) [2]، ثم فتح الأمير علم الدين سنجر الشجاعي نائب الشام صيدا بعد حصار كبير بالأمان في شهر 15 رجب/ تموز (690هـ/1291م) [3] ، ولما فتحت هذه البلاد أمر السلطان أن تخرب قلعة جبيل وأسوارها، بحيث يلحقها بالأرض، فخربت أصلا، ثم أخذت عثليث.

أما بالنسبة إلى أهل طرطوس، فعندما بلغهم أخذ هذه القلاع عزموا على الهرب، فجرد الأمير سيف الدين بلبان الطباخي عسكراً ،فلما أحاطوا بها ركب أهلها البحر، وهربوا إلى جزيرة أرواد[4]، وظلوا محافظين على موقعهم هذا طيلة اثني عشر عاماً، ولم يغادروا الجزيرة إلا في عام (703هـ/1303م). [5] ثم تقدم الشجاعي باتجاه بيروت، وكان سكانها يأملون بما عقدوه من معاهدة مع المماليك أن يأمنوا من كل اعتداء عليهم، وإذ أذعن قادة الحامية لأوامر الشجاعي، فقدموا عليه، إلا أنه أسرهم، مما أضعف أتباعهم الذين تخاذلوا في الدفاع عن المدينة، وفضلوا الفرار ودخل الجيش المملوكي بيروت، فهدم أسوارها وحطم قلاع أسرة ابلين (Ibelin Family)

---

1. ابن الفوطي: عبد الرازق، **الحوادث الجامعة**، 322؛ ابن الجزري:محمد، **المختار من تاريخ ابن الجرزي** ، 340 –341 ؛ الذهبي: محمد ، **تاريخ الإسلام، حوادث 681–690** ، 48 ؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 8/ 113 ؛ الحريري: أحمد، **الأعلام والتبيين**، 71؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ 224 ؛ ابن تغري بردى: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 8/ 7.

2. ابن حبيب: الحسن بن عمر: **تذكرة التنبيه**، 1/ 137؛ ابن تغري بردى: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 8/ 8.

3. ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام**، 272 ؛ أبو الفداء: اسماعيل، **التبر المسبوك**، 43؛ الذهبي: محمد ، **تاريخ الإسلام، حوادث 681 –690** هـ ، 50 ؛الحريري: أحمد، **الأعلام والتبيين**، 71–72 ؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 8/ 121/ ابن تغري بردى: يوسف، **النجوم الزاهرة، 8/ 9.**

4. **جزيرة أرواد:** حيث وجه السلطان محمد مملوكه كهرواش مقدم الزرافين وبعض العسكر في البحر على الشواني إلى جزيرة أرواد التي أنشأها الفرنج بالقرب من انطرطوس وبنوا فيها قلعة فأخذوها بالسيف واخربوها واحضروا كل من فيها من أسارى إلى مصر سنة 702هـ، عمر، عبد السلام تدمري، **تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور**(عصر دولة المماليك)، 2/ 132–133/ **زبدة الفكرة**، 366، **التحفة الملوكية**، 163/ النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 32/ 19؛ الذهبي: محمد ، **تاريخ الإسلام**، 2/ 207؛ البستاني، بطرس، **دائرة المعارف**، مج2/ 748.

5. ابن تغري بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 8/ 9؛ رنسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 711.

وحولوا بيتها إلى مسجد وجمع سكانها و أرسلوا إلى دمشق، ثم إلى مصر وخيرهم السلطان بين العودة إلى بيروت أو التوجه إلى جزيرة قبرص فتوجهوا جميعاً إلى الجزيرة المذكورة[1]، وكذلك هو حال بلدة كسروان حيث كان المتولي عليها الأمير، حنا الماروني الذي شاهد قوة قلوب المسلمين بعد فتح طرابلس وجوارها، وبعد ضعف الفرنج حيث طلب الهدنة من المسلمين ودخلت كسروان [2]تحت الطاعة وعملوا عليهم إقطاعا، إلا أنهم في النهاية فروا كما كل النصارى إلى جزيرة قبرص [3].

وبعد هذا التحرير وبعد طرد الفرنج (الصليبيين)، ظلت الجيوش المملوكية تجوب الساحل من أقصاه وإلى أقصاه بضعة أشهر في خطوة وقائية، تدمر كل ما تعده صالحاً لنزول الفرنج (الصليبيين) إلى البر مرةً أخرى، والتحصن فيه من جديد [4]، وبذلك تكاملت الفتوحات واستعاد المسلمون جميع البلاد الساحلية ، وختمت صفحة الحروب الفرنجية في الشرق الإسلامي[5] بعد أن مضى عليها قرنان من الزمن [6]، كانت تشتد فيها وطأتها وتخف، وساد الهدوء على امتداد الساحل الذي ظل أزمانا طولاً ميداناً لحروب متواصلة ولم يعد للفرنج في ساحل البحر موضعاً يسندون إليه رأسهم. [7]

على الرغم من قصر فترة حكم السلطان الأشرف خليل بن قلاوون والتي امتدت حوالي ثلاث سنوات[8]، إلا أنها تعدّ مرحلة تاريخية هامة في عمر الدولة المملوكية التي أنهت الوجود

---

1. أبو الفداء:اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 3/ 32-33؛النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 212 – 213 ؛ صالح بن يحيى: **تاريخ بيروت**، 24 ؛ الدويهي:اسطيفان، **تاريخ الأزمنة**، 268.
2. **كسروان:** جبل الدروز في لبنان، للمزيد : ينظر أبو الفداء: اسماعيل، **تقويم البلدان**، 229 ؛ ابن فضل الله العمري: أحمد، **التعريف بالمصطلح الشريف**، 204 ؛ القلقشندي: عبد الله ، **صبح الأعشى**، 13/ 248.
3. الدويهي:اسطيفان، **تاريخ الأزمنة**، 269.
4. القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 4/ 184؛ ماير:وليم، **تاريخ الحروب الصليبية**، 402؛ غوانمه: يوسف، **التاريخ السياسي لشرقي الأردن في العصر المملوكي (المماليك البحرية)**، 131؛ العسلي: بسام ، **فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية**، 527؛ Holt: The age of crusades.pp 93-97
5. ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 8/ 121؛ ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام**، 272؛ ابن الوردي: عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 2/ 229؛ ابن أيبك: أبو بكر عبد الله، **كنز الدرر**، 8/ 312.
6. ابن أيبك: أبو بكر عبد الله، **درر التيجان**، 584 –590، 591.
7. ابن العبري: غريغوريوس، **تاريخ الزمان**، 366؛ طقوش: محمد سهيل ، **تاريخ المماليك**، 208-209.
8. سليم :محمود رزق، **عصر سلاطين المماليك**، 31.

الفرنجي، وإن كانت مقدمات هذه النهاية قد ظهرت فيما سبق من حكم سلاطين الدولة المملوكية الأوائل، فعلى الرغم من الحالة الخلافية التي رافقت تولي هذا السلطان لحكم مصر، إلا أن ما ميزه هو الإصرار على الخروج لمقاتلة الفرنج(الصليبيين) ، ولإخراجهم من بلاد الشام. [1]

إن مجموع ما أعطى هذا السلطان من هدن ، وأمانات لمدن الساحل الشامي، ليؤكد على شجاعته وإقدامه، وتحديداً بعد تحرير عكا، وقد يعتقد البعض أن الأمان بعيد في مضمونه عن الهدنة والمعاهدة، والحقيقة لأنه بتفاصيل أقل يؤمن من خلاله سلامة خروج المحاصر، وشكل الخروج، والجهة المنوي الخروج إليها وفي ذلك عهد يحفظه السلطان بقدر حفظ الطرف الآخر له، ومع ذلك لوحظ تشدد السلطان وعدم تورعه في مواجهة المؤمن ومهاجتمه إن اعتدى ، وفي فتح عكا يبدو أنه استحضر شواهد التاريخ، حيث جاءت سنة السقوط لعكا بيد الفرنج، والتحرر من الفرنج متطابقة، ليقتل من أمنهم من الفرنج، كما فعلوا بالمسلمين. [2]

خامساً: الهدن والمعاهدات في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون – مع الفرنج(693-741هـ/1293-1340م).

بعد انتهاء الحركة الفرنجية (الصليبية) لا بد من الإشارة إلى أن انتهاءها يعني انتهاء الحروب الفرنجية ، التي استمرت ناشطة حتى أواخر العصور الوسطى، لأنها خرجت من مجال السياسة العملي ولم يبق في أيديهم سوى ثلاثة مواقع ، وهي مملكة أرمينيا الصغرى في قيليقيا[3] التي أصابها الضعف على أثر الهجمات المملوكية المستمرة عليها، ولم تعد عاملاً فعالاً في توجيه وتغذية الفرنجة (الصليبيين) الذين لم يطمئنوا إلى الأرمن نظراً لتقلباتهم السياسة، فلا يمكن والحالة هذه الاعتماد على هذه المملكة للقيام بنشاط صليبي في الشرق. وجزيرة أرواد هي التي استقر فيها الداوية، غير أن هذه الجزيرة تفتقر إلى مقومات الحياة والصمود، حيث كان يجري إمدادها بالماء والمؤن من جزيرة قبرص، وبالتالي لا يمكن لهذه الجزيرة أن تكون قاعدة

---

1. النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 13/ 180؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 202.
2. ابن تغري بردى:يوسف، **النجوم الزاهرة**، 8/ 7؛ الذهبي: محمد ، **تاريخ الإسلام، حوادث، 681- 690**، 47.
3. قيليقيا: أورد ابن العبري: غريغوريوس (ت 685 هـ / 1286 م) كثير من النصوص التي تؤكد على أن المقصود بقليقيه، هي مملكة أرمينا الصغرى، للمزيد، ينظر: ابن العبري: غريغوريوس، **تاريخ الزمان**، 325.

انطلاق لشن هجمات أخرى في بلاد الشام، وجزيرة قبرص التي استمر حكامها على ولائهم للقضية الفرنجية. [1]

ومن خلال دراسة الهدن والمعاهدات بين المماليك والفرنجة نخلص بأهم النتائج التالية:

1. يلاحظ من خلال هذا الاستعراض التحليلي للهدن والمعاهدات بين المماليك والفرنج في زمن السلطان المنصور قلاوون، أن نصوصها لم تصل إلينا كاملة باستثناء عدد قليل منها هذا مع الإشارة إلى أن ما عقد منها أيامقلاوون جاء موجزاً عاماً، وأغلب ما عقد كان تجديداً لهدن ومعاهدات سابقة، كانت قد عقدت مع زعماء الفرنج وأمرائهم [2].

2. إن لغة الحوار والتفاوض بين المماليك والفرنج في هذه الفترة لم تعد بذات الحيوية والقوة حين كان الصراع على أشده، وكل الأطراف تبحث عن مخارج لأزماتها[3].

3. يستفاد من نصوص هذه الهدن أن الوضع الاقتصادي هو من عبر عن واقع تلك الكيانات سياسياً وديمغرافياً، حيث نشأت الكيانات الفرنجية وكانت ذات كثافة سكانية عالية ومواردها أغنى، مما كانت عليه لاحقاً فمثلاً يستفاد من هدنة صور عام (684هـ/1285م) .

4. يمكننا القول إن اتفاقيات الهدن والمعاهدات السابقة الذكر توفر لنا الكثير من المعلومات الهامة، والتي تستحق منا الدراسة والتقييم لفهم طبيعة العلاقات السياسية السائدة بين المماليك والفرنج، إلى جانب الوضوح في ترسيم الصلات التجارية بينهم وما يتصل منها بتسهيل أمور التجار وضمان سلامتهم في حلهم وترحالهم، وتنظيم استيفاء الضرائب، والمكوس المفروضة على متاجرهم، وعلى حركة المسافرين والمقيمين في بلاد السلطان ودويلات اللاتين مما يجعل نصوص هذه الهدن وما حوته من مادة تاريخية موثوقة مصدراً لا غنى عنه في دراسة العلاقات بين الشرق و الغرب في فترة ما سمي (بعصر الحروب الصليبية).

---

1. طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 233.
2. حطيط: أحمد، **المدلول التاريخي لنصوص الهدن المعقودة بين المماليك والفرنج**، 12.
3. ابن عبد الظاهر :محيي : **الروض الزاهر**، 309.

الفصل الثاني:

المعاهدات والهدن بين دولة المماليك والمغول

أولاً: الهدن والمعاهدات قبل عين جالوت

ثانياً: الهدن والمعاهدات في عهد السلطان بيبرس.

- الصلح والتحالف بين السلطان بيبرس ومغول القبجاق.
- الصلح والمراسلات بين السلطان بيبرس وأبغاخان ملك المغول.

ثالثاً: الهدن والمعاهدات في عهد السلطان المنصور قلاوون.

- الصلح بين السلطان المنصور قلاوون وتكودار بن هولاكو.
- علاقة السلطان المنصور قلاوون مع أرغون.

رابعاً: الهدن والمعاهدات في عهد الأشرف خليل بن قلاوون.

خامساً: الهدن والمعاهدات في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون.

- أمان غازان لأهل دمشق.
- الصلح بين السلطان الناصر محمد وغازان.
- الصلح بين السلطان الناصر محمد وخدابندة.
- الصلح بين السلطان الناصر محمد وأبي سعيد بهادرخان

سادساً: نتائج الصلح على دولة المماليك والمغول.

أولاً: الهدن والمعاهدات قبل عين جالوت:

يعتقد أن حال الضعف في أي مجتمع هي من تفرض توقيع هدن ومعاهدات مع العدو، نعم هذا الطرح في الوضع التقليدي قد يكون صحيحا، ولكننا – أيضا – من خلال قراءة كثير من نصوص الهدن والمعاهدات بين المسلمين وأعدائهم وجدنا أنها وقعت لأسباب وأغراض أخرى، وفي ظروف متباينة، ولكون هذه الدراسة تحاول أن تطل على الهدن والمعاهدات مع المغول ما قبل عين جالوت، إذ كان ضرورياً وضع سياق الحالة المعاشة ما قبل هذا التاريخ ضمن دراستنا هذه، خاصة وأن سقوط بغداد على يد المغول شكل الصدمة التي أشعرت الجميع أن الأمور لن تتوقف عند هذا الحد، وأن الأنظار تتجه إلى بلاد الشام وما بعدها، ضمن برنامج بدأ يتبلور في أذهان زعماء المغول[1].

من المهم جداً هنا الإشارة إلى أن الفوضى والاضطراب كان السمة الغالبة لحال الأيوبيين في بلاد الشام، على الرغم من ظهور خطر المغول المهدد لوجود الجميع، فضلاً عن اصطدام صراعهم مع المماليك كقوة نفوذ صاعدة في مصر والمنطقة، فضلاً عن خلافهم وصراعهم مع القوى الفرنجية في ساحل المتوسط، وهذا أشعر المغول أنهم لن يواجهوا قوة فاعلة أثناء تقدمهم إلى بلاد الشام [2].

وأمام حرج الموقف أدرك الناصر يوسف أنه وقع تحت تأثير سياسته المتقلبة، وطبيعته غير الحازمة في وضع الأمور في سياقها الصحيح، وخضوعه لمستشارين ليسوا أمناء ودفعوا به للخضوع للمغول[3]. أما بالنسبة لحاكم الكرك والشوبك [4]، الأمير المغيث عمر فقد هادن

---

[1] الهمذاني: رشيد الدين، **جامع التواريخ**، م2/ 236؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، 59.

[2] الصياد: فؤاد، **المغول في التاريخ**، 290؛ جبران: نعمان، **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، 266.

[3] ابن شداد: عز الدين، **الاعلاق الخطيرة**، 3/ ق2/ 486؛ ابن تغرى بردي: يوسف، **المنهل الصافي**، 2/ 394.

[4] الكرك والشوبك: **الكرك اسم لقلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء، وجبالها بين آيله وبحر القلزم وبين المقدس، والشوبك قلعة حصينة من أطراف الشام بين عمان وأيله والقلزم قرب الكرك**، ينظر : الحموي: ياقوت **معجم البلدان**، 3/ 453/ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، هامش 4/ 64.

المغول، وأظهر لهم الضعف والخضوع، إذ نجده يكاتبهم، ويدعوهم إلى تملك مصر والشام[1]، وأخذ يهون عليهم المسالك ويبسط الأمور[2]، مقابل الحصول على أمان منهم للمنطقة التي تخضع لسيطرته، غير آبه بسلامة بلاد الشام ووحدتها [3].

ويتضح أن هذه المراسلات بين حاكم الكرك، والمغول كانت سابقة لمرحلة اجتياح بلاد الشام حيث يقول: " **إن الملك المغيث بعث ولده العزيز إلى هولاكو، وأنه اجتمع معه في تبريز**" [4]. وتأتي ممارسة الملك المغيث هذه في المراسلة، لاعتقاده أنه بحاجة للفوز بود المغول وصداقتهم في هذا الوقت بالذات، رغم عدم وجود أي خطر عليه من طرفهم [5] .

لم يكن الملك المغيث عمر هو الوحيد الذي تواطأ مع المغول، ومهد له سبل السيطرة على بلاد الشام، فهناك أمراء آخرون لسنا في معرض الحديث عنهم هنا، لكن من المهم الإشارة إلى حقيقة المراسلة والتواطؤ التي كلفت المسلمين ثمناً باهظاً، فما كان من هدن ومراسلات من أمراء الأيوبيين، وتحديداً في الفترات السابقة للغزو المغولي لبلاد الشام ومصر، هو من منح المغول الثقة والأمان بممارسة كل أشكال العنف والقتل، قبيل التوجه إلى مصر، حيث المماليك هم عنوان المواجهة القادمة، وما قبض السلطان بيبرس عام (661هـ/1262م) على المغيث عمر إلا دليلاً على عظم أفعاله وتخاذله في محالفة المغول من خلال تلك المراسلات التي قُبض عليها. [6]

---

[1] أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 3/ 217/ ابن أبي الفضائل: مفضل، **النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد**، 109؛ غوانمة:يوسف، **التاريخ السياسي لشرق الأردن في العصر المملوكي (المماليك البحرية)**، 56-57.

[2] ابن أيبك الدواداري: أبو بكر عبد الله ، **الدرة الزكية**، 8/ 96.

[3] النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 29/ 394.

[4] ابن اياس:

محمد بن أحمد (ت 930هـ/1532م) **نشق الازهار في عجائب الاقطار**، مخطوط في المكتبة البريطانية تحت رقم : 7503 ويوجد نسخة مصورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية تحت رقم : 872/ ورقة 68 .

[5] النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 29/ 394/ Morgan, **Mongols and Mumluks** p.21.

[6] . ابن عبد الظاهر: محيي، **الروض الزاهر** ،150 ؛ أبو الفداء : إسماعيل ، **المختصر في أخبار البشر** ، 217/3.

وأمام واقع المهادنات الفردية من حكام وأمراء بلاد الشام، يبرز التساؤل المهم. هل كان هؤلاء الحكام على حق أم أن سلوكهم يأتي في سياق المغامرات الفردية؟ إن ما يدفع لهذا التساؤل هو إقرارنا بناءً على فهم الأسباب، والظروف التى قد تدفع لعقد الهدن هو المصالح لكن الإجابة هنا تؤكد أن زمن عقد الهدن وظروفها مهم. فالزمن لم يكن لصالح المسلمين أمام زحف المغول، وكذلك غياب النديه أعطى هولاكو إشارة للتمادي في غيه، وهذا زاد من المطامع، فضلا عن تفرد حكام بلاد الشام بهدن لا تشي بفهم حقيقي، وإنما سلوك ارتبط بمصالح الحكام الشخصية، وهذا كان له كبير الأثر في التساوق نحو الهزيمة، والاقرار بسلوك هولاكو على الأرض.

من المفيد جدا هنا القول إن البعض يعتقد أن الأمان، وما يرافقه من حوارات، يحتاج لوفود تفاوضيه، أو ما شابه. إلا أن واقع بلاد الشام قد أكد أن الأمان يمنح من قبل الطرف الأقوى.

وأمام الخطر الداهم الذي كانت تعيشه بلاد الشام على يد المغول، وأمام حالة الخوف والرعب التي سرت في المنطقة، شعرت مصر والتي كانت تحت حكم الملك المنصور علي بن أيبك التركماني، أن الحاجة تستدعي المواجهة للدفاع عن مصر وشعبها، ونظراً لصعوبة الحال اندفع الأتابك قطز وجلس على عرش السلطنة المملوكية، حيث وجد في الخطر المغولي، وصغر سن السلطان فرصة لتغيير واقع الحالة، والاستعداد للمواجهة [1].

ويبدو أن "قطز" وأمام هذا التحدي لجأ لما يعرف بالانقلاب السلمي، حيث جمع الأمراء والأعيان بالديار المصرية، وشاورهم في أهمية تحصين وتقوية القيادة فأجأبوه [2]، وبذلك فإن عزل الملك المنصور عام (657هـ / 1259م) [3] وتولي السلطان قطز عرش السلطنة، كان له

---

[1] ابن العميد: جرجس، **أخبار الأيوبيين**، 47؛ النويرى: أحمد، **نهاية الأرب**، 29/ 46؛ ابن دقماق: ابراهيم، **النفحة المسكية في الدولة التركية من كتاب الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين**، 46؛ ابن اياس: محمد، **بدائع الزهور**، 1/ ق1/ط1/ 301/ الشيال: جمال، **تاريخ مصر الإسلامية**، 2/ 162/ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 96.

[2] الذهبي: محمد ، **تاريخ الإسلام**، حوادث 651-660، 45؛ ابن تغرى بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 55/7؛ السيوطى: جلال الدين ، **حسن المحاضره**، 2/ 59.

[3] ابن العميد: جرجس، **أخبار الأيوبيين**، 47؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **التحفة الملوكية**، 42؛ **مختار الأخبار**، 10؛ النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 29/ 468-469/ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **درة الاسلاك**، 1/ ورقة 34أ، ابن دقماق: ابراهيم، **النفحة المسكية**، 46؛ **نزهة الأنام**، 2/ 253-254/ العيني: محمود، **عقد الجمان**، حوادث 648-664/ 220-221؛ القرماني: أحمد، **أخبار الدول**، 198.

أثر معنوي كبير، إضافة إلى إله خلق تعاوناً وثيقاً بين مصر والشام، ووحدت الجيوش لصد العدوان، مما دفع أمراء الشام الذين رفضوا الاستسلام للمغول، إلى استثمار الجبهة المصرية لتحقيق أهدافهم في مقاومة المغول، [1] ومع ذلك نجد هولاكو، وقبل انصرافه عن بلاد الشام يرسل رسله إلى السلطان قطز، وهم يحملون رساله تهديد، ووعيد، وانذار مهين ومذل، والدعوة للاستسلام والخضوع قبل فوات الأوان، معتبراً أن مصر أصبحت تحت السيطرة وكأنه لا يرى أحداً أمامه استناداً لحق المغول الإلهي حسب اعتقادهم في قيادة العالم [2]

ومن خلال استعراض ما جرى بين هولاكو وقطز من مراسلات، يتضح أن لغة العنجهية والتحدي كانت سمة المراسلة فضلا عن إيحاءات التهديد، وكأن هولاكو وجيشه هم ممثلوا الله على الأرض، فضلا عن استحضاره مشاهد الاستسلام، والخضوع التي جرت في بلاد الشام، في محاولة لهزيمة السلطان قطز معنويا [3]. وبسماع السلطان قطز مضمون الرسالة فقد عظم عليه الأمر، وتغير تغيراً شديداً واستدعى أمراءه واستشارهم في الأمر وقال لهم: " **إن القوم لا دين لهم ولا إيمان**" [4]، وبذلك أدرك المظفر قطز وأمراؤه من خلال الرسالة أن هولاكو لن ينتظر رد قطز على رسالته، وأن التوجه للديار المصرية أمر حتمي، وقد تأكد هذا في موقف الأمير ناصر الدين القيمري الذي قال: "إن هولاكو وشهرته وإجرامه غني عن الشرح، وإن ما يقع في قبضته من بلاء عظيم، وإن الذهاب اليه، وطلب الأمان، ومصالحته ليس عيباً، ولكن كما قال :" **فإن تناول السم بخداع النفس، واستقبال الموت أمران بعيدان عن حكم العقل، وأنه ليس بالإنسان الذي يمكن الاطمئنان له، فلا عهد ولا ميثاق له، وهو قاتل حتى لمن أعطاهم العهد والميثاق**"،

---

1 الصياد: فؤاد، **المغول في التاريخ**، 301-302.

2 حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 98؛ Morgan, **Mongols and Mamluks**,p36.،

3- حول الرسالة للمزيد ينظر : ابن أيبك الدواداري: أبو بكر عبد الله ، **كنز الدرر**، 8/ 47-48؛ ابن دقماق: ابراهيم، **الجوهر الثمين**، 2/ 60-61؛ **نزهة الأنام**، 261-262/ القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 8/ 64-61؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 427-429؛ القرماني: أحمد، **اخبار الدول**، 198؛ ابن اياس: محمد، **بدائع الزهور**، 1/ ق1/ 304-305؛ الهمذاني: رشيد الدين، **جامع التواريخ**، م2/ 1/ 310.

4 ابن دقماق: ابراهيم، **النفحة المسكيه**، 49؛ **نزهة الأنام**، 262؛ **الجوهر الثمين**، 2/ 61/ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 99.

بمعنى أن المهادنة والصلح ليست وارده في قاموسه، وبالتالي لا يجوز لنا استجداء الصلح المستحيل [1].

ولعل من المفيد هنا الإشارة إلى قضية مهمه في العلاقات الدولية بين الأمم في زمن الحرب والسلم، وهو أن أي طرف يقرأ الطرف الآخر جيداً، يستطيع رسم ملامح المرحلة القادمة بقوة وبدون خوف، فاقتناع المماليك أن الهدن والمعاهدات غير واردة في هذا الظرف، ومع المغول بالذات، كان له أثر واضح في الاندفاع بالاتجاه الآخر، وهو الاستعداد للمواجهة، وبالتالي تم رمي نظرية الاستسلام، والمهادنة، والخضوع، والمناورة، من العقل المملوكي، وهذا بالتأكيد لا يعني أن قوة الحرب وجبروتها، وتأثيرها على الأطراف المتقاتلة تستثني الصلح والهدنه على قاعدة المصالح في ظل موازين قوى متعادلة.

شكلت المواجهة مع المغول في زمن السلطان قطز واحدة من الدروس المهمة في التاريخ حيث إن المراسلات والتفاوض لا تعني استثناء الخيارات الأخرى بالمطلق، كما أن الاتجاه لأي خيار يجب أن يسند بحوار داخلي، لضمان الموقف الموحد، ويبدو أن "قطز" امتلك من الحكمة والذكاء ما مكنه من المناورة السليمة في الوقت المناسب، حين استبقى رسل هولاكو بمعنى إبقاء الخط مفتوحاً حتى اللحظة الأخيرة، وبعد أن حسم الخيار باتجاه المواجهة، استخدم ورقة الرسل لإلهاب المشاعر حين قام بإعدامهم على رؤوس الأشهاد، وكأنه يوصل الرسالة الأقوى لهولاكو والمترددين في صفوفه أن لا عودة للوراء [2].

وبعيدا عن الإيغال في وصف ظروف المواجهة لاحقا مع المغول ، فإننا نلاحظ أنه لم يكن متسعا من الوقت عند السلطان قطز ليفكر في المهادنة والصلح، ومع ذلك فقد تمكن وكما ذكرنا في مواضع سابقة من ضمان حياد أهل عكا في هذه المواجهة، كجهة شهدت العلاقة معها صولات وجولات ، إلا أن هذا النجاح يسجل للسلطان قطز (كتكتيك) وورقة رابحة ضمنت له خطاً آمناً في الحركة والتموين، دون الحاجة لتقديم أي ثمن للفرنج في عكا، وكأن هذا الاتفاق

---

1 الهمذاني: رشيد الدين، **جامع التواريخ**، 2/ 311-312؛ الصياد: فؤاد، **المغول في التاريخ**، 304-305؛ عاشور: فايد، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى**، 48.

2 المقريزي: أحمد، السلوك، 1/ ق2/ 429؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 101-102.

الضمني بين المماليك والفرنج يراد له أن يؤسس لحاله مستقبلية في العلاقات بين الطرفين، نظرا لقناعة الفرنج أن المماليك هم قوة صاعده في المنطقة ولا بد من ملاطفتهم بانتظار كل الاحتمالات، [1] ولعل في سلوك الفرنج هذا ذكاء وحكمة لا بد من التنبه له، والاستفادة منه، فهم من جهة لا يعدّون أنفسهم جزءاً من المواجهة الراهنة، وبالتالي اعتقدوا بإمكانه إنقاذ المماليك لهم من هذا الحظر عبر هذه المواجهة، ودون فقدانهم لشيء، ودفع أثمان . ومن جهة ثانية فأنهم بهذا الموقف يضمنون لأنفسهم حياد البقاء في حال انتصر المغول [2].

ثانياً: الهدن والمعاهدات بين السلطان بيبرس والمغول:

على الرغم من شجاعة وإقدام السلطان بيبرس [3] إلا أن التحديات كانت كثيرة فإلى جانب التحديات المركزية في مواجهة الفرنج والمغول، كانت الاضطرابات الداخلية لبلاد الشام والديار المصرية تفعل فعلها في منعه من تحقيق طموحاته، وهذا ما عبر عنه ابن اياس بقوله : " **وحصل للملك الظاهر في أوائل دولته غاية الاضطراب منها عصيان النواب، ووثوب المماليك المعزية عليه، وخراب البلاد الشامية مما فعله هولاكو...**" [4].

ويلاحظ أن السلطان بيبرس كان يدرك أن الفرنج ما زالوا يشكلون خطراً حقيقياً على بلاد الشام، وأن المغول يهاجمون حدود الدولة الإسلامية من الشمال والشرق، وفي ذلك تهديد حقيقي ولابد له من الحكمة والاتزان في التعامل مع هذين العدوين اللذين يجتمعان على هدف واحد وهو بالتالي في وضع حرج يدفعه لضرورة الفصل عبر عقد هدن ومحالفات مرحلية، وكأنه بذلك يريد

---

1 رنسيمان: ستيفن، **الحروب الصليبية**، 534–535؛ عمران: محمود سعيد، **المغول وأوروبا**، 67: عاشور: سعيد، **مصر والشام**، 185؛ **الحركة الصليبية**، 1082؛ موير: وليم، **تاريخ دولة المماليك**، 44؛ ابن دقماق: ابراهيم، **النفحة المسكية**، 50؛ **نزهة الأنام**، 263؛ **الجوهر الثمين**، 2/ 62/ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 430.

2 حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 105؛ Morgan, **Mongols and Mamluks**,P39

3 الذهبي: محمد ، **دولة الإسلام**، 2/ 177؛ الكتبي: محمد، **فوات الوفيات**، 1/ 238؛ ابن أيبك الصفدي: خليل، **الوافي بالوفيات**، 1/ 333؛ ابن تغرى بردي: يوسف، **المنهل الصافي** ، 3/ 465؛ حجة: شوكت، العلاقات **بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 125.

4 ابن عبد الظاهر :محيي ، **الروض الزاهر**، 94؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 59؛ ابن اياس:محمد، **بدائع الزهور**، 1/ ق1/ 312.

قطع احتمالات توحد الخطرين، فضلاً عن رغبته في قطع سبل الامدادات التي قد يتشاركان في الحصول عليها [1]. وهنا سنحاول التركيز على ما عقده السلطان بيبرس من هدن ومعاهدات؛ لتوظيفها في هذه المواجهة وتحديداً مع المغول.

- **الصلح والتحالف بين السلطان بيبرس ومغول القبجاق**

لم تكن خيارات السلطان بيبرس سهله في ظل هذه الظروف والتحديات، فقد سار إلى التحالف مع مغول القبجاق.. القبيلة الذهبية [2]، مستغلا فرصة إسلام بركة خان زعيم هذه الدولة الذي يعدّ أول من اعتنق الإسلام من أبناء جنكيزخان وأحفاده[3] والذي شجع السلطان بيبرس على ذلك هو بلوغه خبر الحرب والقتال [4] بين بركه خان وابن عمه هولاكوخان ملك مغول فارس. [5] الأمر الذي دفع باتجاه ارتقاء العلاقات؛ حيث جرت سلسلة من المكاتبات والمراسلات بين الطرفين عام (659هـ/1261م)، وما أن علم السلطان بيبرس بإسلام بركه خان حتى كتب له بدعمه ويغريه بجهاد هولاكو وأعداء الإسلام [6] ، وعلى أرضية الثقة بهذا التحالف نرى أن

---

1 بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 67؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، حوادث 648-664/ 316؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 140.

2 القبيلة الذهبية: **هم اتباع بركة خان، سميت بهذا الأسم نسبه إلى اللون الذهبي الذي اشتهرت به مخيماتهم، ومنطقة نفوذهم تشمل البلاد الواقعة بين نهرارتش والسواحل الجنوبية لبحر قزوين، وغالب سكانها من الاتراك التركمان**، للمزيد ينظر: المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 395؛الهاشمي: عبد المنعم، **موسوعة تاريخ العرب**، 35.

3 بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 70؛ القلقشندي: عبد الله، **مآثر الأنافة**، 2/ 99/ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 465؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، حوادث 648-664/ 289؛ ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام والعصور**، 46.

4 للتفاصيل عن أسباب الحرب، ينظر: ابن أيبك الدواداري: أبو بكر عبد الله، **الدرة الزكية**، 8/ 91-93؛ ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 13/ 234؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 472- 474؛ عاشور: فايد، **العلاقات السياسية**، 75-78؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 141.

5 الذهبي: محمد ، **دول الإسلام**، 2/ 166؛ **العبر**، 2/ 285؛ الكتبي: محمد، **عيون التواريخ**، 2/ 20؛ ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 13/ 239.

6 بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 70؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 465؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، حوادث 648-446، 289.

بركة خان يلتمس من السلطان الظاهر بيبرس إرسال جماعه من العساكر إلى جهات الفرات لقطع الطريق على هولاكو وجيوشه[1].

لقد جاء رد السلطان بيبرس على بركة خان في رساله مطوله، تتضمن حثه على إقامة فريضة الجهاد، ودعوته إلى الصلح والسلم الداخلي والتعاضد في مواجهة هولاكو، ثم أمر السلطان بيبرس بأن يُدعى لبركة خان بعده في الخطبة بمكة، والمدينة المنورة، وبيت المقدس[2]. وكأنه بهذا يعزز التحالف للارتقاء به إلى مستوى الوحدة، والاندماج العسكري، والمعنوي، والديني كرسالة واضحة للخصوم داخليا وخارجياً، دفعت السلطان بيبرس إلى تجهيز الرسل بالهدايا الكثيرة، وكان من بينها مصحف شريف، وسجاد للصلاة متنوعة الألوان، [3] وبذلك توطدت العلاقات بين دولة المماليك، ودولة مغول القبجاق، وتم تبادل السفارات، والكتب بينهما، من أجل توثيق الروابط الودية، وتأكيد التعاون المشترك ضد المغول [4].

لقد حقق السلطان بيبرس مكاسب أسهمت في تدعيم توجهاته الدبلوماسية، حيث ساعده هذا السلوك على ضمان استمرار تدفق ونزوح المماليك من بلاده القبجاق إلى الشام ومصر، وهذا بدوره شجع مغول القبجاق على اعتناق الإسلام والدخول فيه؛ مما مكن السلطان بيبرس من زيادة أعداد جيشه، ومده بدماء جديدة، فضلاً عن أحداث تغيير سكاني لصالحه [5]. ولعل السلطان بيبرس بهذا الصلح والتحالف أراد أن يحقق مبدأ التفكيك الذاتي لجبهة المغول الداخلية، حيث جاءته الفرصة لتصعيد وزيادة العداء بين مغول فارس، ومغول القبجاق لإضعاف الطرف الأول ووضع العراقيل أمامه لمنعه من غزو ومهاجمة بلاد الشام [6].

---

1 ابن عبد الظاهر :محيي ، **الروض الزاهر**، 171.

2 بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 83–84؛ ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدرة الزكية**، 8/ 97؛ ابن أبي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**، حوادث 658–670، 111–112.

3 بيبيرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 83–84.

4 ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 13/ 242؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 63؛ الحجي: حياة ناصر، **العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القبجاق**، 12/ 15.

5 بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 84–85؛ الذهبي: محمد ، **العبر**، 2/ 285؛ ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 13/ 334/ حجة: شوكت **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 142.

6 المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 474؛ ابن عبد الظاهر :محيي ، **الروض الزاهر**، 88.

- **الصلح والمراسلات بين السلطان بيبرس وأبغاخان ملك المغول (667هـ/1268م):**

كثيراً ما يحاول الزعماء حينما يتولون قيادة شعوبهم الإتيان بما هو مختلف عن السلف فها هو أبغاخان زعيم المغول بعد وفاة والده هولاكو، يقوم بعملية جس نبض لقوة المماليك على اعتبار أنها أقوى دولة إسلامية في المنطقة [1]. وعندما رأى أبغاخان أن المماليك بقيادة السلطان بيبرس قد أصبحوا قوة لا يستهان بها، مال إلى عقد صلح مشروط معه، ففي عام (667هـ/1268م) خرج السلطان بيبرس من القاهرة متوجهاً إلى بلاد الشام [2] وتحديداً إلى دمشق [3] حتى إذا وصلها تسلم خطاباً من ملك الأرمن، هيثوم بن قسطنطين(Hethom bin Constantine)، يتضمن الإشارة إلى أن رسول أبغاخان وصل إليه ويريد القدوم إلى حضرته، إذ كان هيثوم قد سعى في الصلح بين بيبرس وهولاكو، فبعث الظاهر الأمير ناصر الدين بن صيرم[4] إلى حلب لاستقباله والاحتراز عليه، بحيث يمنعه من التحدث مع أحد [5] وقد وصل رسول أبغاخان إلى دمشق، وصحبته جماعة من أمراء مملكة أرمينيا الصغرى، مثل مجد الدين دولة خان، وسيف الدين سعد ترجمان، وأبلغوا السلطان بيبرس رسالة أبغاخان ومضمونها "**أن الملك أبغا بن هولاكو لما خرج من الشرق ملك جميع البلاد، ومن خالفه قتل، وأنت لو صعدت إلى السماء، أو هبطت إلى الأرض ما تخلص منا، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحاً، وأنت مملوك وانبعت في سيواس، فكيف تشاقق ملوك الأرض**" [6]

---

1 عطا: زبيدة، **بلاد الترك في العصور الوسطى**، 141

2 ابن سباط: حمزة، **تاريخ بن سباط**، 1/ 426، العيني: محمود، **عقد الجمان**، 2/ 40-43/ حجة:شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى، وإيلخانية فارس**، 167.

3 المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2 605.

4 **المشد: رئيس الجند الذي يراقب الجند ويشد همتهم في العمل والسير للقتال مثل شرطة الجيش، فهو يراقب الأعمال ، ويحث الموظفين والعمال على الجد والنشاط، ويلاحق دفع الضرائب، في مصر يطلق على من يكلف بنقل الاوامر من نائب الملك أو الأمير الى رؤساء القرى، وتسمى هذه الوظيفة الشاديه**، للمزيد ينظر: السبكي: عبد الوهاب، **معيد النعم**، 28/ دهمان: محمد، **معجم الألفاظ التاريخية**، 139/ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، هامش 1/ 168.

5 ابن عبد الظاهر :محيي ، **الروض الزاهر**، 339؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 117؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 388.

6 بيبرس المنصوري: الدوادار، **التحفة الملوكية**، 65؛ ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدرة الزكية**، 8/ 139-140؛ الذهبي: محمد ، **تاريخ الإسلام**، حوادث 660-670، 42؛ الكتبي: محمد، **عيون التواريخ**، 2/ 378؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 573-574؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، حوادث 665-668/ 34؛ ابن تغرى بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 144-145؛ ابن سباط: حمزة، **صدق الأخبار**، 1/ 426-427؛ عاشور: فايد حماده، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى**، 93.

ونظراً لخلو هذا الرد المغولي من اللباقة السياسية، فإن السلطان بيبرس لم يلتفت إلى ما ورد في خطاب أبغاخان من تهديد، وعبارات قاسية، مليئة بالذل والإهانة لسلطان مصر والشام، بل رد عليه بقوة، قائلا لرسول المغول: "**أعلموه أني وراءه بالمطالبة، ولا أزال حتى أنتزع من يده جميع البلاد التي استحوذ عليها من بلاد الخليفة، وسائر أقطار الأرض**" [1]. وقد قصد السلطان بيبرس بسائر الأقطار، العراق وبلاد الروم، والبلاد الجزرية، والموصل، وديار بكر [2]. ويشير النويرى إلى مسألة هامة وهي أن ردة فعل السلطان على قسوة خطاب أبغاخان كانت متزنة، وبالمستوى نفسه من الشدة واللين، بمعني أنه يريد كل الأرض التي احتلها المغول وفي ذات الوقت لا يمانع بالصلح[3].

عادت المراسلات تتجدد بين رسل أبغا، والسلطان بيبرس، الذي سار إلى دمشق، ووصلت إليه رسل المغول في عام (670هـ/ 1272م) يطلبون الصلح، حيث أحسن السلطان لهؤلاء الرسل وأكرمهم، وأرسل معهم رسولين أخذهما البرواناة، وسار بهما إلى أبغا ملك مغول فارس فلما اجتمعا به قال لهما : ما الذي جئتما به؟ فقالا : له إن صمغار بعث للسلطان بيبرس وأخبره أنك أحببت أن يأتي إليك من جهته رسول، فأرسلنا نقول لك: " **إن أردت أن أكون مطاوعاً لك فرد ما في يدك من بلاد المسلمين**"، فقال أبغا: " **هذا لا يمكن، وأقرب ما في هذا أن يبقى كل واحد منا على ما في يده**". ودارت بينهما مفاوضات، أغلظ فيها أبغا لرسل الظاهر وعادا من عنده بدون اتفاق فوصلا دمشق في صفر / آب (671هـ/ 1272م) [4].

ولعل السؤال المهم هنا لماذا يطلب المغول الصلح، وهم بهذه القوة؟ الحقيقة أن طلبهم الصلح جاء لسببين : الأول اضطراب أحوالهم السياسية في داخل البلاد، والثاني: محاولتهم

---

1 العيني: محمود، **عقد الجمان، حوادث** 665-668/ 34؛ عاشور: فايد، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول**، 94.

2 ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدرة الزكية**، 8/ 140؛ الذهبي: محمد ، **تاريخ الإسلام**، حوادث 661-660، 43؛ ابن تغري بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 145/ ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 13/ 254؛ الكتبي: محمد، **عيون التواريخ**، 2/ 377؛ اليونيني: موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 2/ 407؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، 43؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 574.

3 النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 30/ 160-161.

4 عاشور: فايد، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى**، 97.

خداع المسلمين انسجاماً مع ظروفهم السيئة كما كان يفعل الفرنج. وهكذا انتهت المراسلات والمفاوضات بين المغول والسلطان الظاهر بدون اتفاق [1].

وهنا علّنا نستنتج أن أبغاخان كان قد راسل السلطان بيبرس في الصلح من منطلق القوة كما يعتقد، وليس من منطلق الضعف والضرورة التي تفرضها معطيات الواقع الصراعي بين الطرفين، وهذا يشير إلى أن أبغا أراد إظهار موقف المغول التقليدي في سياق الغطرسة، وكأنه يقول للسلطان بيبرس أنت أمام خيارين إما الاستسلام والخضوع بدون شروط مسبقة، وإما المواجهة وانتظار المصير المحتوم، كما أنه أراد أن يظهر أنه ليس مضطراً للصلح، بقدر أن توجهه هذا جاء استجابة لضغط صديقة هيثوم (Hethom) ملك أرمينيا، وغيره من الأمراء والملوك الذين سعوا إلى جسر الفجوات في العلاقات بين الطرفين كوسيلة لتهدئة هذا الصراع [2]. والواقع عكس ذلك، فقد كان أبغاخان واقعاً تحت ضغط من الشمال من قبل القبيلة الذهبية، ومن الجنوب ممثلاً بالمماليك، فاضطر إلى فتح جبهة المفاوضات مع بيبرس، للتفرغ لحل المشكلات العالقة معهما بالطرق السليمة، وكان الوسيط هو البرواناة، حيث وصلت رسل أبغاخان لدمشق لتوقيع الصلح، فوافق بيبرس على الصلح مقابل استعداد أبغاخان إعادة بلاد المسلمين التي استولى عليها ليوقع الصلح، إلا أن الزعيم المغولي رفض هذا العرض، واقترح أن يحتفظ كل طرف بما في يده من بلاده، إلا أن بيبرس رفض هذا الاقتراح[3]، وقد حاول أبغا تبرير تأخر هجومه على المماليك بسبب انشغالة في محاربة إخوانه وأبناء عمومته من مغول القبجاق، ومغول تركستان، وبين أنهم نجحوا في عقد "القوريلتاى" [4]. وأنهم توحدوا وأجمعوا على المحافظة على تعاليم جنكيزخان، المتمثلة في "الياساق" وكأنه يريد إقحام المماليك على عقد

---

1 ابن تغري بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 185.

2 حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 169.

3 ابن شداد: عز الدين، **تاريخ الملك الظاهر**، 34-35.

4 القوريلتاي: **مجلس عام القبيله يتولى إدارة شؤونها، واستمر هذا المجلس فعلاً في جميع مراحل تطور التاريخ المغولي ، خاصة بعد قيام حنكيزخان بتوحيد القبائل المغولية وتأسيس دولة موحدة**، ينظر : العمادي: محمد، **جوانب من حياة المرأة في العصر المغولي**، هامش 1/ 304؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، هامش 5/ 45.

الصلح، وبالشروط التي يريد، زاعماً أن جميع المغول أصبحوا موحدين، ولدينا الاستعداد للصلح ولكن ليس بأي ثمن [1].

وبالعودة إلى الوراء، وتحديداً للمراسلات بين السلطان بيبرس وصمغار والبروناة، يتأكد أن المراسلة فشلت بعد أن أكد السلطان بيبرس على ثوابته في أية جلسة حوارية، وهي استعادة كل ما في يد المغول من بلاد المسلمين، فهذا الوضوح في المطالب كشف زيف المناورات التي كان يقوم بها أبغا التي هدفت للعب على عامل الوقت، دون الجدية في توقيع أي صلح أو هدنة[2].

وأمام مراوغة أبغاخان، وعدم التحفز لصلح حقيقي مع المماليك، يبقى السؤال ما هي الأسباب التي دفعت أبغاخان للصلح مع السلطان بيبرس؟ للإجابة عن ذلك نقول:

1- إن الدافع قد يكون الرغبة المغولية في تصدير الأزمة الداخلية التي كان يعاني منها أبغاخان.
2- محاولة لعب أبغاخان على عامل الوقت، ومراوغة المماليك من اجل توحيد الصف الداخلي [3].
3- محاولة غزو بلاد الشام ومصر بسهوله عن طريق انشغال السلطان وعساكره بالفتن الداخلية [4].
4- ولعل أبغاخان أراد من خلال هذه المراسلات أن ينتزع اعترافاً ضمنياً من السلطان بيبرس بسيطرته على جميع البلاد التي احتلها المغول، مثل العراق، وديار بكر، وبلاد الروم على

---

1 بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 117؛ ابن عبد الظاهر: محيي، **الروض الزاهر**، 340؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، حوادث 665-668/ 41.

2 ابن شداد: عز الدين، **تاريخ الملك الظاهر**، 35؛ ابن عبد الظاهر:محيي ، **الروض الزاهر**، 399؛ الذهبي: محمد ، **تاريخ الإسلام**، حوادث 661-670، 65.

3 النويرى: أحمد، **نهاية الأرب**، 30/ 333-335؛ ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدرة الزكية**، 8/ 169-171؛ الكتبي: محمد، **عيون التواريخ**، 21/ 9-13؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 606-607؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 391؛ عاشور: فايد، **العلاقات السياسية**، 97-98.

4 ابن عبد الظاهر:محيي ، **الروض الزاهر**، 256.

الرغم من وصول رسالة السلطان له الذي كان دائم التهديد بأنه سوف يعمل على استردادها منهم [1].

ثالثاً: الهدن والمعاهدات في عهد السلطان المنصور قلاوون:

- **الصلح بين السلطان المنصور قلاوون والمغول بقيادة تكودار بن هولاكو عام (681هـ/1282م):**

تعد الفترة التي حكم فيها تكودار بن هولاكو [2] واحدة من الفترات المهمة والحاسمة في التاريخ المغولي، وإن لم ينتبه لها الكثيرون، بمعنى أنها شكلت بداية التحول في الفكر والعقل المغولي في النظر للآخر، والنظر إلى الوجود الذاتي بعد هذا المسلسل الدامي، فتكودار الذي حكم ما بين (680 – 683هـ/1282 – 1284م) هو من جعل العلاقات بين الجانبين تخرج عن الإطار التقليدي العدائي، إلى مرحلة التحول والهدوء، وعدم الاعتداء لفترة من الزمن، بعد اعتناقه الإسلام في وقت حرج من عمر الصراع، وتداعياته المؤلمة [3] ويبدو أن تكودار قد اتخذ اسم أحمد في صباه قبل توليه العرش الإيلخاني، بمعنى أن بوادر إسلامه كانت ما قبل تاريخ اعتلائه العرش المغولي [4] ويشار إلى أن مراسلات تكودار مع فقهاء بغداد، وإظهار إسلامه ورؤيته لطبيعة هذا الإسلام، من إعطائه الحقوق لأصحابها، وبناء المساجد، كل ذلك كان قد

---

1 حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 172.

2 تكودار: **هو أكبر أبناء هولاكو واستناداً إلى قانون إلياسا الذي وضعه جنكيزخان فإن تكودار هو المرشح لاعتلاء عرش المغول خليفة لأخيه ابغاخان، وكان تكودار قد نشأ على الديانة المسيحية، حيث أن امه قتوخاتون كانت نصرانية، وتم تعميده في صباه بأسم نقولا، وقد اختير في 26 محرم من عام (681هـ/1282م) ليكون إيلخانا لهم** للمزيد ينظر : ابن عبد الظاهر: محيي، **تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور**، 4؛ ابن أيبك الصفدي: خليل، **الوافي بالوفيات**، 8/ 227؛ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه في ايام المنصور وبنيه**، 1/ 72؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 194.

3 ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام**، 46؛ ابن ابيك الصفدي: خليل، **الوافي بالوفيات**، 8/ 222؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 247.

4 الذهبي: محمد ، **دولة الاسلام**، 2/ 185–166؛ **تاريخ الإسلام**، حوادث 681–690، 6؛ ابن تغري بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 310.

سبق المراسلات السياسية بين الطرفين المملوكي والمغولي [1]. وبعد هذا التحول الذي شهده رأس السلطة المغولية بعث تكودار إلى السلطان المنصور قلاوون رسالة بتاريخ جمادى الأولى / آب سنة (681هـ/ 1282م) تتضمن إعلان إسلامه، وطلبه الصلح وحسن الجوار. [2].

من خلال تبادل المراسلات عبر الوفود، اتضح أن هناك تبدلاً ربما يكون مؤقتاً في العقل والتوجه المغولي لابد من استغلاله، وهذا ما بدا لاحقاً، حيث انتقل تكودار من مرحلة إيضاح موقفه من الدين ودور العناية الإلهية في ذلك إلى توضيح رأيه في مرحلة أبغاخان ومعارضته لإنفاذ الجيوش المغولية إلى بلاد الشام والديار المصرية غازية، بمعنى أن المحادثات قد قطعت شوطاً واضحاً باتجاه المصالحة والموادعة [3].

ونظراً لجدية توجهات تكودار في الصلح، وميله لعقد معاهدة صداقة مع السلطان المنصور قلاوون [4]، فقد امتلك جرأة في الخطاب وصدقية في التوجه، رغم ما واجه من تحديات داخلية، فها هو يخاطب المماليك بصراحه ووضوح قائلاً : "**طبقاً لأمره تعالى، ووفقاً لشريعة أبينا جنكيزخان فقد توليت مملكة المغول، وقد دعاني الله عز وجل إلى الصلح والسلام، فإني أرغب في أن يعيش كل في بلده عيشة هادئة هنيئة، وإن تلغى الحروب والمعارك في كل الأرض، فإن وافقتم على ذلك وجب أن تخلصوا الأمان والخضوع، وإن تماديتم**

---

1 ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الايام**، 5؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 219؛ ابن تغري بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 310؛ الصياد: فؤاد، **المغول في التاريخ** 121؛ أرنولد: توماس، **الدعوة إلى الاسلام**، 260.

2 ابن فضل الله العمري: أحمد، **مسالك الابصار**، م27/46/ 352؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 7/ 248؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 546؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 707؛ ابن العماد الحنبلي: عبد الحي، **شذرات الذهب**، 6، 370.

3 ابن العبري: غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول**، 289–296؛ ابن سباط: حمزة، **تاريخ ابن سباط: حمزة**، 1/ 479؛ ابن العبري: غريغوريوس، **تاريخ الزمان**، 344؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 219–220؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **مختار الاخبار**، 74–75؛ ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدرة الزكية**، 8/ 249–251.

4 عمران: محمود، **المغول والأوروبيين والصليبيون وقضية القدس**، 351.

في العدوان فالله تعالى يطالبكم بدماء المظلومين ". وأمام هذا الخطاب فقد وافق صاحب مصر السلطان قلاوون على الموادعة، وإبطال الحروب[1].

شكل توالي المراسلات بين تكودار، والسلطان المنصور قلاوون، دافعية صادقة عند الطرفين لترسيخ قواعد الهدنة والصلح، خاصة تلك الرسالة التي حملها الوفد المغولي في عام (683هـ/1284م) والتي رسخت الصلح وعززت مبادئ السلام بين الإيلخان تكودار، وسلطان مصر[2]. وقد نتج عن هذه العلاقات الطيبة أن استقر السلام بين مصر والمغول في عهد هذا السلطان المغولي المسلم، فلم يسمع عن أي صدام بينهما في عهده، مما يدل على صدقه في طلبه للصلح وتحقيق السلام[3] وقد يعتقد البعض أن معظم المراسلات التي تمت بين الطرفين حتى الآن تركز على التطور اللافت والمتعلق بإسلام تكودار، دون الخوض في تفاصيل تتعلق بمناطق النفوذ، والسيطرة، والتحالف، وغير ذلك، مما قد يتطلع له البعض، كما هو حال الهدن والمعاهدات مع الفرنج، وهذا صحيح! لأن التحول الجذري لم يتناول التفصيلات، وكأن سلوك السلطان تكودار يوصي بأنه يهدف للاندماج في الجسم الإسلامي، وبالتالي لا حاجة للمحاصصة إنجاز التعبير. هذا فضلاً عن أن تكودار كان قد أبدى في رسالته اهتماماً كبيراً بأمر التجارة، فكتب على لسانه" **فأطلقنا سبيل التجار، والمترددين إلى البلاد، وليسافروا بحسب اختيارهم على أحسن قواعدهم، وحرصنا على العساكر والشحاني في الأطراف من التعرض لهم في مصادرهم ومواردهم**" [4] وقد ركزت بعض المصادر الفارسية في روايتها عن رسالة تكودار

---

1 بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 219–220.

2 ابن الفوطي: كمال الدين، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة**، 431–432؛ أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 1؛ النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 29/ 24/ 27؛ القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 7/ 237–242؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 717–723.

3 المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 707–708.

4 ابن العبري: غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول**، 291؛ ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور**، 7–8؛ ابن الفوطي: كمال الدين، **الحوادث الجامعة**، 424–425؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 221؛ ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدرة الزكية**، 8/ 252/ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الاولى وإيلخانية فارس**، 249

إلى السلطان المنصور قلاوون على ناحيتين فقط ، الصداقة والتجارة، وذلك حتى تنفتح أبواب التجارة مع مصر المملوكية، وأن يحل الصفا والمودة محل الحرب والعداوة[1].

هذا ومن المفيد هنا الإشارة وبشكل واضح إلى ردة فعل الطرف المملوكي وموقفه على هذه المراسلات ، فقد رد السلطان المنصور قلاوون على رسالة تكودار بكتاب أرسله في رمضان/كانون ثاني عام (681هـ/1282م) حمد الله فيه على دخول تكودار الإسلام[2] وأكد نيته الصادقة في إحلال السلام والوئام بين الطرفين، وأن كل ما يبتغي المسلمون القيام به هو الذود عن أرض الإسلام ونصرة هذا الدين[3]. وأن امتناع الجيوش المغولية من التعرض للمسلمين في الأطراف، سوف يقابله بالعمل نفسه من جهة المسلمين تجاه المغول، وكتب على لسان السلطان المنصور قلاوون:" **أما تحريمه على الشحاني، والعساكر، والقراوالات، في الأطراف في التعرض إلى الأخذ بالأيدي عن الأذى، واختفاء موارد الواردين من شوائب العدا، فمن حين بلغنا أن تقدموا بمثل ذلك، تقدمنا بمثله، وأمرنا سائر النواب بالرحبة ، والبيرة، وعينتاب بأطراف ممالكنا بالكف عما كففتم عنه...**" [4].

إن أهمية المراسله بين السلطان المنصور قلاوون وأحمد تكودار تنبع من الرغبة في ترسيم قواعد الصلح بينهم، مع العلم أن تكودار لم يكن يتحرك ويفاوض بلا عراقيل، فقد كان على تناقض كبير مع الجسم المغولي وتحديداً أرغون، وهذا ما كان يدركه تكودار نفسه، فتراه في ذي الحجة/شباط عام (682هـ/1283م)، يرسل وفداً من جهته إلى السلطان المنصور برئاسة الشيخ عبد الرحمن، وصحبته صمداغوا، والأمير شمس الدين محمد بن التيتي المعرف بابن الصاحب، وزين الدين صاحب ماردين، وجماعة في نحو مائة وخمسين نفراً، ليقر الشيخ عبد

---

1 ميرخوند: محمد، **روضة الصفا**، ق5/ 920/ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، 249.

2. ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدرة الزكية**، 8/ 255.

3 **نفس المصدر**، 255-256.

4 ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله ، **الدرة الزكية**، 257-258؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 250.

الرحمن قواعد الصلح بين مغول فارس ودولة المماليك [1]، وكان اختيار الشيخ عبد الرحمن لهذه المهمة؛ لأنه عندما قدم رسل تكودار في عام (681هـ/1282م)، قال لهم السلطان المنصور قلاوون : "**إني لا أثق إلا بكلام الشيخ عبد الرحمن لتدينه، وصدق حديثه عن الملك أحمد تكودار، وعلى وزيره صاحب ماردين**"، فلما عاد رسل تكودار إلى بلادهم، وأخبروه بما قال السلطان قلاوون جهزه بمن معه [2].

وبعد مقتل تكودار يبدو أن السلطان المنصور قد أدرك أن المرحلة القادمة لن تكون بذات الود والصراحة في العلاقة مع المغول، فنزل يأمر بنقل الوفد من مكان إقامتهم في القلعة إلى بعض القاعات الأخرى، وخفض ما كان يصرف لهم من رواتب[3].

وعموماً يمكن القول إنه بوفاة تكودار، وتولي أرغون بن أبغا عرش المغول، فإن العلاقات سوف تتبدل من جديد بين المماليك والمغول، وسوف تعود إلى سابق عهدها من العداء والمشاحنة، والحقد، والصدام، وربما بشكل أشد، نظراً لنقمة المغول وحقدهم على تكودار وسياسته المتصالحة مع المماليك، وإسلامه ومراسلته لهم في الصلح، وفي مخالفته لسياسة جنكيزخان، ومحاولته التنازل عن أراضي المغول لمصلحة المماليك[4]، إضافة إلى أن أرغون كان مختلفاًمن الناحية الدينية عن تكودار، حيث كان أرغون بوذياً معادياً للإسلام، ومناصراً للمسيحية، وكان يتلقى الدعم من الحزب البوذي في مطالبته بعرش أبيه منذ بداية عهد تكودار، الذي كان منذ البداية يعيش في هذا التناقض، وكان مهدداً بالقتل والصعوبات الداخلية التي أدت إلى سقوطه بعد سنتين، ومن ثم وفاته عام (683هـ/1284م) [5].

---

1 ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور**، 279؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** م7/ 279.

2 ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** م7/ 279؛ عاشور: فايد، **العلاقات السياسية**، 124.

3 ابن أيبك الصفدي: خليل، **الوافي بالوفيات**، 18/ 313؛ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** م8/ 6.

4 ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدرة الزكية**، 8/ 264؛ الكتبي: محمد، **عيون التواريخ**، 21/ 342/ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه**، 1/ 90؛
Holt.P.M **The Cambridge History of Islam**, Vol 15, P367-368.

5 شبولر: بارتولد، **العالم الإسلامي في العصر المغولي**، 76-77؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 253؛ 368. P .**The Cambridge history Islam**, Vol5

يبدو لنا من خلال ما تقدم أن قتالاً حقيقياً لم يقع بين المغول والمسلمين باستثناء بعض الوقعات والمناوشات التي تعد طبيعية في ظل المواجهة الدائرة، حيث نرى أن أرغون خليفة تكودار راح يبحث عن حلفاء لمواجهة المماليك من أوروبا والفرنج، إلا أن كل محاولاته فشلت لانشغال أوروبا في همومها، وكذلك فعل السلطان المنصور قلاوون الذي راح يواجه مشاكله الداخلية، ويحاول تلمس بعض من العلاقات مع القوى المؤثرة في المنطقة دون أن نلمس آثارا لتلك المحاولات، وبالتالي يمكن القول إن المنطقة دخلت في مرحلة جديدة عنوانها استمرار التناقض تحت مظلة الحذر والترقب[1].

ومن الإشارات المهمة في هذا السياق التفاوضي بين المماليك من جهة، والمغول بقيادة تكودار من جهة ثانية، هو أن المماليك ورغم فرحهم بإسلام تكودار وما أبداه من خدمات قوبلت بالثناء المملوكي مع شيء من الحذر لدرجة أن هذه المفاوضات وإن سارت بأريحية فيما يخص حرية التجارة، وحماية التجار[2]، ووضع الحراس على الطرقات للانتقال بحرية بين البلدين، وحادثة القبض على الجاسوس المملوكي، وإطلاق سراحه كدليل على توجهات المغول الصادقة نحو السلام[3]، ومع ذلك طلب المماليك ضمانات خاصة، لإدراكهم أن رجال الطبقة الحاكمة والمتنفذة في دولة المغول ليسوا متحمسين للاقتداء بسلطانهم، وتحديداً الأمير أرغون الذي كان يحظى بدعم الجماعات المتطرفة، كما أن قضية إسلام أحمد تكودار كانت مثار جدل واسع في الأوساط المغولية لم تمر بسهولة، وهذا ما حصل، حيث عزل تكودار عن السلطة، وقتل في شهر جمادى الآخرة/آب عام (683هـ/1284م) وعين أرغون خلفاً له[4].

---

1 ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشرف الايام**، 156–165؛ **Holt, The Cambridge history of Islam**, Vol IA,p 217؛ جبران: نعمان، **محاولة المغول للتحالف مع القوى الاوروبية**، 255؛ رانسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 673؛ هلال:عادل، **العلاقات بين المغول و أوروبا**، 119–120؛ الصياد: فؤاد، قؤاد، **الشرق الإسلامي**، 192.

2 القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 7/ 257–262.

3 القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 8/ 66–69؛ ابن المغيزل: نور الدين، **ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، 129؛ النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 89–90.، طقوس، محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 195–196.

4 شبولر، بارتولد، **العالم الإسلامي في العصر المغولي**، 70

إن الوقوف أمام عظمة الموقف بإسلام زعيم المغول أحمد تكودار، لا يعني بأي شكل من الأشكال الركون والاستسلام للموقف دون التطبيق العملي لما جاء في توصياته ومراسلاته المحفوفة بمخاطر الانهيار؛ لأنها جاءت في سياق النزعة الفردية عند هذا القائد، وبقاء نزعة المعارضة عند غالبية شعبه وقومه على قاعدة المعارضة العقائدية لنهج أحمد تكودار المتعارض مع مبادئ جنكزخان، فإسلامه وتبنيه بنود الصلح والاصلاح الديني وتعظيم محجة الحجاج وحرية السفر، ومحاربة السخرة، والعفو عن بعض الجواسيس، كلها أمور متفق عليها لكنها لا تلغي أهمية حذر الطرف الآخر المستعد لأن يقابلها بالمثل شريطه دوامها غير المضمون،وكان لسان حال المماليك يقول : إن الهدن والمعاهدات مع الخصوم لا تُلغي، أو تنتفي لمجرد موت من وقعوها، وهذا من ضمن المخاوف التي استشعرها المماليك انسجاماً مع تصريحات قادة المغول لاحقا[1].

- **علاقة السلطان المنصور قلاوون مع أرغون خليفة تكودار:**

إن نسق ومضمون ما عقد من معاهدات وهدن بين المماليك، وزعماء والمغول، كان يركز على عدم ربط زمن الهدنة بالزعيم أو القائد، ضماناً لها من الفوضى، والتحلل، إلا أننا وبعد وفاة زعيم المغول أحمد تكودار، وتولي أرغون الحكم نرى أنه تجاوز المراسلات والاتفاقيات، وكان عهده بالنسبة للمسلمين عهد محنه وظلم، وذاق فيه المسلمون الأمرين على أيدي البوذيين المتنصرين[2]، ومارس ضدهم ما يشبه التطهير العرقي، وابعدهم عن الأعمال والمناصب المهمة، وعهد بالشؤون المالية لطبيب يهودي هو سعد الدولة، وأطلق له العنان، وراح يظلم الأقاليم الإسلامية متآمرا ضدهم ومبتزاً لأموالهم[3].

---

1 ابن المعيزل: نور الدين، **ذيل مفرج الكروب في اخيار بني أيوب**، 133–134؛ ابن العبري: غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول**، 291؛ ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدرة الزكية**، 8/ 252–253؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** م7/ 249؛ ابن خطيب الناصريه: علاء الدين، **الدر المنتخب**، 121؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 706–707.

2 طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 196.

3 شبولر: بارتولد، **العالم الإسلامي في العصر المغولي**، 70؛ عاشور: فايد حماده، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول**، 126.

وأمام واقع التذبذب في العلاقات بين المماليك والمغول، نرى أن مرحلة تكودار كان بإمكانها التأسيس لحالة جديدة من العلاقات لو قدر لأطرافها العمل والبقاء، وبالتالي فإن سياسات خليفته أرغون بن أبغا قد أعادت الأمور إلى المربع الأول، فكان لهذا النهج أسوأ الأثر في نفوس المماليك، فظلت العلاقات متوترة وعدائية، وإن ظلت الجبهات العسكرية هادئة نسبياً، ولم تشهد صدامات مباشرة، ولعل ذلك عائد لأسباب متعلقة بالطرفين، فالمماليك انهمكوا في خلافاتهم الداخلية، وعصيان سنقر الأشقر، وثورات الأرمن، وكذلك رغبتهم في التفرغ لطرد الفرنجة من بلاد الشام طالما بقي الخطر المغولي لا يتعدى الحدود[1]، أما المغول فمن الممكن وصف أحوالهم بالأحوال المرتبكة، وغير المسؤولة، وتحديداً من قبل أرغون الذي راح ينشغل في جمع الثروة، ورعاية العنصر المسيحي واليهودي، كتعبير عن حالة النكوص، فضلاً عن الانقطاع عن العالم الخارجي، وترك الأمور تجري على هوى وزيره سعد الدولة اليهودي ورغبته[2].

انتهز أرغون فرصة سقوط طرابلس بأيدي المسلمين عام (688هـ/1289م)، فأرسل سفاره إلى أوروبا حاملة رسالة أرغون القاضية بتحريك قواته نحو الشام في شتاء عام (690هـ/1291م)، مشترطاً مشاركة القوات الأوروبية [3]، ووعد فليب الرابع (Philip IV) ملك فرنسا بأن يسلمه القدس إذا ما أمده بقوات إضافية ضد المماليك[4] وكانت أخر سفارة وجهها أرغون للغرب في عام (690هـ/1291م) حيث توجهت السفارة إلى روما، حيث البابا، ثم توجه الوفد لزيارة ادوارد الأول (Edward I) ملك انجلترا الذي كان مشغولا في مشكلاته الداخلية، إلا أن الوفد عاد إلى بلاده دون تحقيق أي من المكاسب حتى بلغهم وفاة أرغون خان[5]، مع ذلك يلاحظ أن هذه السفارات بين المغول والأوروبيين لم تثمر عن أي تعاون عملي، لإنشغال كافة

---

1 طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 197.

2 الصياد: فؤاد، **الشرق الإسلامي**، 199–200؛ عباس:إقبال، **المغول**، 254.

3 الصياد: فؤاد، **الشرق الإسلامي**، 395؛ هلال: عادل، **العلاقات بين المغول وأوروبا**، 123–126؛
Holt . P.M , **The Cambridge history of Islam** col5m p371

4 Phillips, E.D, **The Mongols**, p,120

5 رانسمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 679؛ فهمي: عبد السلام، **تاريخ الدولة المغولية**،180 – 181؛ هلال: عادل، **العلاقات بين المغول وأوروبا**، 126–130؛ الصياد: فؤاد، **الشرق الإسلامي**، 196.

الأطـراف بمشـاكلهم الداخليـة، ولحسـن حـظ المنطقـة أنـه لـم يقـع أي قتـال جـدي بـين المماليك والمغول في عهد قلاوون[1].

لـم يتـوان السـلطان قـلاوون عـن السـير علـى نهـج السـلطان بيبـرس فـي مواجهـة تهديـدات المغـول وتحالفـاتهم، فأخـذ يبحـث عـن عقـد التحالفـات والصـداقات مـع المسـيحيين والمسـلمين ويتبـادل السـفراء مـع بيزنطـة حيـث وقـع اتفاقـات مـع جنـوه، وملـك أرغـون الفونسـو الثالـث(Alfons III)، وأخيـه صـاحب صـقلية شـارل الثـاني (Charl II)[2]، وكـان جـوهر اتفـاق الصـلح مـع الاثنـين عـدم مسـاعدة المغـول[3]، وفـي خضـم هـذه المراسـلات مـع الاطـراف كافـة حـرص السـلطان المنصـور قـلاوون علـى توسـيع سـيطرته وتثبيتهـا علـى الأقـاليم والولايـات الإسـلامية [4].أمـا بالنسـبة لموقـف قـلاوون مـن مملكـة أرمينيـا الصـغرى، حلفـاء المغـول، فقـد حـاول الحـد مـن نشـاطها، وحصـن الثغـور بعـد فتحـه لقلعتـي قطيـا[5] والكختـا[6] لمعـاقبتهم علـى مـوقفهم بعـد موقعـة حمـص الثانيـة، ومـا ارتكبـوه مـن فسـاد فـي حلـب، وإحـراقهم الجـامع الكبيـر[7]، حيـث أمـر نائبـه علـى حلـب بالإغـارة علـى بـلاد الأرمـن، وخـرج إليـه جـيش مـن الـديار المصـرية، وجـيش مـن الشـام [8] حيـث أغـارت هـذه

---

1 ابن العبري: غريغوريوس، **تـاريخ الزمـان**، 365؛ حجـة: شـوكت، **العلاقـات بـين دولـة المماليك الأولـى وإيلخانية فـارس**، 260-261.

2 ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام والعصور**، 156-165؛ **Holt, The Cambridge history of Islam**, vol 1A, p217

3 ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام والعصور**، 160

4 حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانيه فارس**، 261

5 قطيا: **من الجفار هو المعروف برمل مصر، وقطيا مشهورة حيث كانت مركز للعبور والتفتيش مت بين مصر والشام**. ينظر: ابن دقماق: ابراهيم، **الانتصار لواسطة عقد الامصار**، 52-53؛حجة: شوكت **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، هامش 3/ 95.

6 الكختا: **قلعة في أقاصي الشام من جهة الشمال شرق حلب بين ملطيه غرباً وكركر شرقاً** . ينظر: القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 4/ 124.

7 ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الأيام**، 30-31؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 231؛ النويرى: أحمد، **نهايـة الأرب**، 31/ 39؛ ابن الفرات: ناصر، **تـاريخ ابـن الفـرات**م7/ 276-277؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 399.

8 النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 39؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** م7/ 277.

الجيوس على بلاد الأرمن ووصلوا إلى إياس[1] وقتلوا وغنموا واشتبكوا مع الأرمن عند باب الإسكندرية، فانهزم الأرمن وتبعهم الجيش الإسلامي إلى تل حمدون، ويذكر ابن خلدون أن الجيوش الإسلامية المغيرة قد اشتبكت مع بعض الأمراء المغول وهزمتهم[2].

لم يتوقف السلطان عن نهج المواجهة ففي عام (683هـ/1284م) سمح السلطان قلاوون لنائب حلب بالإغارة على قلعة التيني من بلاد الأرمن حيث كان أهلها يقطعون الطريق، ويخيفون السبيل، ويلقون القبض على القصاد، ويعرضون مصالح المسلمين للخطر والضرر[3]، وذلك خدمة لمصالح المغول، وتوجهاتهم القاضية باستخدام كل الأطراف في معركتها مع المماليك، حيث سير عليهم نائب حلب جماعة بقيادة الأمير سيف الدين بلبان الشمسي، حيث نزلوا عليها فرموها بالمنجنيق وهدموا برجاً من أبراجها، وبعد تضييق المسلمين عليها طلبوا الأمان، فتوجه اليهم نفران من جيش حلب فقررا الصلح بينهم، على أن يدفع أهل التيني سبعة عشر ألف درهم للجيوش الإسلامية[4]، وبينما المفاوضات جارية بين الأرمن والجيوش الإسلامية، وصلت إلى المكان حامية المغول المجردة في تلك النواحي، وكان المقدم عليها سيف الدين الجنغلي، حيث أشرف المغول على الجيوش الإسلامية وتقابلا وجهاً لوجه، وكان الاشتباك، فقتل أكثر المغول، وألقي القبض على سته منهم، وكان من أهم نتائج هذه الغارة خراب قلعة التيني[5].

---

1 اياس: **مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر بينها وبين بغراس محلتين، وهي مجاورة لنهر حيحان**، للمزيد ينظر القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 4/ 137؛ ابن كنان: محمد، **المواكب الإسلامية**، ق2/ 69.

2 ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الأيام والعصور**، 31–32؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 231؛ النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 539؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** م7/ 277؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 716.

3 ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 399؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 263.

4 ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الأيام والعصور**، 67؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 240.

5 حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 263.

رابعاً: الهدن والمعاهدات بين السلطان الأشرف خليل بن قلاوون والمغول.

- **الأشرف خليل بن قلاوون في مواجهة المغول:**

رغم هدوء جبهة المواجهة مع المغول في عهده، إلا أنه كان يقظاً لسلوكيات أرغون بن أبغا وسياساته التحالفية مع بعض القوى المحلية والأوروبية الهادفة للتصدي للمماليك، فبعد تصفيته لبقايا الإمارات الصليبية التفت إلى القضية المغولية[1]، وانصب اهتمام الأشرف بن قلاوون على قلعة الروم[2]، وضمها إلى السيطرة المملوكية بسبب الأضرار التي لحقت بالمسلمين من جراء التحالف الذي كان يجمع بين أهلها، ومغول فارس، فقد " **سكن أهلها إلى مخادعة الجار ومودعة التتار، وحمالاتهم على النفس بالنفس والمال، ومساواتهم لهم حتى في الزي والحال يمدونهم بالهدايا والألطاف، ويدلونهم على عورات الأطراف**"[3] هاجم السلطان قلعة الروم وفتحها، يوم السبت 11 من رجب/حزيران عام (691هـ/ 1292م)[4]، وقتل جميع من بداخل القلعة من المقاتلة الأرمن والمغول[5]، وسبى الحريم والصبيان وأسر بطريرك الأرمن، ثم

---

1 طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 209

2 قلعة الروم: **هي قلة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة بينها وبين سيمياط**، ينظر : الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 4/ 390-391.

3 النويري: أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 243؛ ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدرة الزكية**، م8/ 329؛ ابن الجزري:محمد، **تاريخ حوادث الزمان**، 1/ 106؛ مجهول(ت742هـ /1341م): **تاريخ سلاطين المماليك**، 14؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** م8/ 139-140، حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 266.

4 أبو الفداء: اسماعيل، **التبرالمسبوك**، 43؛ النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 227؛ مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 16؛ ابن أيبك الدواداري: أبو بكر عبد الله، **الدرة الزكية**، م8/ 323؛ الذهبي: محمد ، **المختار**، 352؛ ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 13/ 327؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 778؛ ابن تغرى بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**،8/ 12.

5 النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 253؛ ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدرة الزكية**، 8/ 330؛ مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 14؛ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 8/ 140.

عاد إلى دمشق وبين يديه الأسرى، بعد أن ترك على القلعة الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، لتحصينها وإصلاح ما خرب منها [1].

يبدو أن الأشرف خليل والذي اتصف بحكمة المعالجة لما يواجه من الأخطار والتحديات، استطاع أن يبقي الصراع مع المغول ضمن مستوى السيطرة، نظراً لشدة المواجهة الدائرة مع الفرنج، وفي ذلك تهدئة ضمنية ربما توازي في فائدتها ما كان يعقد من هدن ومعاهدات، وفي ذلك خدمه لمصالح المسلمين، وتحديداً دولة المماليك التي لم تكن لتتمكن من اجتياز هذه التحديات لولا حكمة قادتها. أما على صعيد جبهة المغول فيبدو أن وفاة أرغون في 5 من شهر ربيع الأول/آذار عام (690هـ/ 1291م) وتولي كيخاتو عرش المغول، قد شغل المغول وفوت عليهم فرصة تحقيق هدفهم الأول، والمتمثل بغزو بلاد الشام ومصر وضمها إلى مملكتهم[2]، ونظراً للإسراف والتبذير، فقد أدخل بلاده في مشكلات اقتصادية، ومشكلات حول، لاستيلاء على العرش المغولي[3].

ويظهر أن واقع المغول في فترة زعيمهم كيخاتو، لم يعد كما كان في عهد أرغون على الرغم من محاولات كيخاتو أن يظهر للمماليك على ذات القوة والتصميم التي كانت في عهد سابق، وهذا ما دفعه في حركة استعراضية أن يرسل ببعض الرسل إلى السلطان الأشرف بن قلاوون حاملين معهم كتاباً بلغة فيها شيء من التحدي والفوقية، متضمناً القول بأن كيخاتو يريد

---

1 أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في اخبار البشر**، 4/ 27؛ النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 227؛ ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدرة الزكية**، 8/ 333؛ ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 13/ 327؛ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه**، 1/ 149؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 777.

2 البدليسي: شرف خان، **شرفانه**، 2/ 11-12؛ ابن العبري: غريغوريوس، **تاريخ الزمان**، 368-369/ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 268.

3 ابن العبرى: غريغوريوس، **تاريخ الزمان**، 367؛ أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 4/ 31؛ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه**، 1/ 141؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 547/ عبد السلام، فهمي، **تاريخ الدولة المغولية**، 182-183؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 268-269.

أن يقيم بحلب؛ لأن أباه قد فتحها بالسيف، واذا لم يسمح له بذلك فهو على نية الغزو للشام[1]، فرد عليه السلطان الأشرف قلاوون باستهزاء، وعلو وثقة زائدة، وهو يتبسم[2].

لقد كان في موقف السلطان وسلوكه هذا رسالة واضحة أن ما لا يقرره السلام والصلح تقرره الحرب، و لربما كان كلامه حول دخول العراق واضحاً وجاداً ، وهذا ما أكده لنواب المغول في أقاليم العراق الذين راسلهم السلطان الأشرف قلاوون ، إلا أن مواقف واستعدادات السلطان الأشرف قلاوون لم يكتب لها التحقيق على أرض الواقع بسبب وفاته[3] .

خامساً: هدن ومعاهدات السلطان الناصر محمد مع المغول.

- **علاقة المغول مع المماليك في فترة السلطان الناصر محمد بن قلاوون:**

وصفت العلاقة بالهدوء الحذر، في ظل صراعات داخلية حدت من قدرة المماليك على اتخاذ قرارات جوهرية تجاه المغول وأطماعهم في المنطقة، فبعد مقتل الأشرف خليل بن قلاوون دخلت الساحة السياسية في مصر في دائرة التناقضات الداخلية، حيث برزت الرغبة في الزعامة عند ثلاثة من كبار الأمراء وهم : علم الدين سنجر الشجاعي، والأمير زين الدين كتبغا، والأمير حسام الدين لاجين، وراح كل واحد من هؤلاء يتطلع لتحقيق مطامعه بعيداً عن ما تتعرض له البلاد الإسلامية من أخطار[4]. وأمام واقع المنافسة هذه تم الاتفاق على تولية الأمير محمد بن قلاوون السلطنة رغم صغر سنه بانتظار ما ستؤول إليه الأوضاع لاحقا[5]. وبعيداً عن الخوض في تفاصل الصراعات بين خلفاء الأشرف خليل بن قلاوون في الفترة الأولى من حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فإن تلك المرحلة وتحديداً في فترة كتبغا قد وصفت بالهدوء والاستقرار على الجبهتين المغولية والمملوكية، وربما السبب يعود لأوضاع الطرفين الداخلية، فالمغول مثلاً

---

1 المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 786؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، حوادث 689-698/ 187؛ عاشور: فايد حماده، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى**، 128.

2 العيني: محمود، **عقد الجمان**، حوادث 689-698/ 187.

3 العسقلاني: ابن حجر، (ت852هـ/1349م): **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، 2/ 34.

4 طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 212.

5 بيبرس المنصوري: الدوادار، **مختار الاخبار**، 97؛ مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 25؛ ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 13/ 334؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**،1/ ق3/ 793؛ ابن سباط: حمزة، **صدق الاخبار**، 1/ 502.

هناك عاملان اشغلاهما عن المواجهة، حيث تمثل الأول في الصراع المغولي الداخلي على العرش بين بايدوخان بن طرغاي، بن هولاكو، وابن عمه كيخاتو بن أبغا، وانتهى بقتل الأخير[1] مما دفع غازان بن أرغون إلى قتل بايدو، والتخلص منه ووراثته في الحكم[2]. أما العامل الثاني المؤثر في أوضاع المغول الداخلية فقد تمثل في إسلام غازان، حيث عد هذا السلوك نقطة تحول فارقة في تاريخ المغول كانت له تداعيات – أيضا – أسهمت في الهدوء ولو لحين[3]. أما أوضاع المماليك فهي – أيضا – مرت في السياقات نفسها من حيث الصراعات الداخلية– كما ذكرنا سابقاً – ، الأمر الذي جعل جبهة المواجهة مع المغول هادئة، نظراً للانقلاب على السلطان كتبغا، وتولي لاجين السلطنة، وعودة الناصر وما رافق هذا التطور من تناقضات جعلت من الصراع المركزي ثانوياً لمصلحة الانشقاقات التي حدثت في عهد السلطان لاجين[4].

- **المراسلات وطلب الصلح بين السلطان الناصر محمد وغازان المغولي عام (700هـ/1301م):**

بدأت هذه المراسلات في شهر رمضان/أيار عام (700هـ/1301م) حيث أرسل غازان رسالة إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون، والتي حملها وفد مؤلف من الفقيه كمال الدين موسى ابن يوسف قاضي الموصل، والأمير ناصر الدين علي خواجا ورجل آخر من المغول،

---

1 بيبرس المنصوري: الدوادار، **مختار الاخيار**، 98؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 794؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، حوادث 689–698/ 222؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 306–307؛ أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 4/ 31–34؛ ابن الجزري:محمد، **تاريخ حوادث الزمان**، 207/1؛ الذهبي: محمد ، **المختار**، 367/ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه**، 1/ 182؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 548.

2 أبو الفداء: اسماعيل، المختصر في أخبار البشر، 4/ 32؛ ابن حبيب: الحسن بن عمر، تذكرة النبيه، 182–183؛ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه**، 182–183؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 307–308؛ ابن الحزري: محمد، **تاريخ حوادث الزمان**، 1/ 253–254؛ القرماني: أحمد، **اخبار الدول**، 287؛ الهمذاني: رشيد الدين، **جامع التواريخ**، 127.

3 ابن أيبك الصفدي: خليل، **تحفة ذوي الألباب**، ق2/ 202؛ العسقلاني:ابن حجر **الدرر الكامنة**، 3/ 112؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، حوادث 689–698/ 316؛ الشوكاني: محمد يوسف، **البدر الطالع بمحاسن القرن السابع**، 2/ 402؛ سرور: محمد جمال ، **دولة بني قلادون**، 175.

4 النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 352؛ ابن تغري بردي: يوسف، **مورد اللطافة**، 2/ 53/ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 283.

ومن يقوم على خدمتهم[1]. وتذكر بعض المصادر الفارسية أن الوفد الذي أرسله غازان ضم القاضي نصير الدين التبريزي، والقاضي قطب الدين الشيرازي [2]. ولما علم السلطان الناصر محمد بوصول رسل غازان إلى الفرات، أرسل أليهم الأمير سيف الدين المنصوري لإحضارهم، حيث أحضروا إلى قلعة الجبل، يوم الاثنين 15 من ذي الحجة / آب عام (700هـ/1301م)، واستقبلوا بحفاوة، واجتمع بهم السلطان والأمراء في اليوم التالي بعد العشاء، وعندما حضروا بين يديه خطب فيهم قاضي الموصل خطبة بليغة موجزه في معنى الصلح، فعُ ربَ وقرئ في حضرة أعيان الدولة [3] وكان من أهم بنود هذه الرسالة:

1- محاولة غازان تبرير مهاجمة المغول لبلاد الشام عام (699هـ/1299م) وادعائه أن حرصه الديني على الإسلام، هو ما دفعه لغزوها، بسبب مهاجمة الجيوش المملوكية بلاده، وإظهارهم الفساد والظلم فيها، هذا إلى جانب إساءة المماليك لرسله وذلك عندما قدموا للتفاهم مع السلطان الناصر محمد قبل موقعه الخازندار[4].

2- حاول غازان في رسالته تبرير عجزه عن دخول دمشق عام (700هـ/1301م) بأن ذلك كان رأفة بالمسلمين.

3- دعا غازان السلطان الناصر محمد إلى الصلح قائلاً على لسانه: "**فلنرجع الآن إلى إصلاح الرعايا، ونجتهد نحن، وأنتم في العدل في سائر القضايا، فقد تضررت بيننا**

---

1 النويري: أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 326؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، حوادث 699-707/ 131؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 352؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 8/ 135.

2 البدليسي: شرف خان، **شرفنامه**، 2/ 19؛ ميرخوند: محمد، **روضة الصفا**، ق5/ 945؛عباس، اقبال، **المغول**، 281.

3 النويري:أحمد، **نهاية الأرب**، 31/ 426؛ مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 92؛ ابن أبي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**، 2/ 40-43؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 915؛، العيني: محمود، **عقد الجمان**، 131-132؛ ابن تغري بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 8/ 135-136؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 327؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 245.

4 النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 428؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، حوادث 699-707/ 135؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 915/ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى، وإيلخانية فارس**، 327.

وبينكم حال البلاد وسكانها"[1] إلا أنه في الوقت نفسه قد استخدم صيغة التهديد، ولعله أراد بذلك الزام السلطان الناصر محمد بقبول الصلح ، وإلا فهو على جاهزية للحرب، وختم رسالته بقوله :"**قد أعذر من أنذر، وأنصف من حذر**"[2].

تضمنت الرسالة بعض الإشارات المتعلقة برغبة غازان في إخضاع بلاد الشام وحكمها لكي يصبح وحده حامي الإسلام والمسلمين في المنطقة بدلاً من السلطان المملوكي الذي يشغل هذه المكانة، وكذلك احتوائها على بعض التلميحات التي تشير إلى اتهام حكام مصر بالظلم والخروج على مقتضيات الإيمان الصحيح، في الوقت الذي أظهر تشدداً في التمسك بالإسلام مناشداً السلطان باسم الدين أن يعمل على تلافي ما قد يقع ببلاده من الخراب، وما يحل بالبلاد والعباد من البلاء[3]. وطلب من السلطان الناصر محمد أن يرجع الهدايا والتحف، ويبدو أنه قد أراد أن يحكم على مدى تجاوب المماليك للصلح من خلال قيمة هذه الهدايا، وفي ذلك – أيضا – هبوط غير مستوعب بسقف التفاوض الذي يعد مصيرياً في تاريخ العلاقة بين الطرفين والمنطقة [4].

يبدو أن أرضية التفاوض بين الطرفين لم تكن متهيئة وناضجة لإمكانية توقيع أي صلح وهذا ما لمس في مضمون رسالة غازان والتي تظهر غطرسة غازان، الذي حاول أن يصور نفسه حمامة سلام حريصاً على الإسلام والمسلمين من خلال التطلع لزعامة العالم الإسلامي، متناسياً الخلفية العدائية التي حكمت العلاقة بين المغول والمماليك قبل إسلامه، وفي ذلك مبالغةً إلى جانب محاولته الظهور بمظهر القوي، والمفاوض من منطلق القوة، وهذا ما عبَّر عنه صراحةً وكأنه يحكم على المفاوضات منذ البداية بالفشل، معتقداً أن المماليك يفاوضون بلا أجندة، وبلا أهداف ناسياً – أيضا – أن اتجاهه للتفاوض جاء بعد فشله في عقد التحالف مع القوى الأوروبية

---

1 ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر**، 9/ 353؛ مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 94؛ ابن أبي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**، 2/ 46

2 النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 340؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 353؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، حوادث 699–707/ 136.

3 النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 426–435؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 246.

4 بيبرس المنصوري: الدوادار، **مختار الاخبار**، 117؛ النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 329؛ ابن أبي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**، 2/ 47–48؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 328.

والفرنجية، وكأنه يريد دفع المماليك إلى زاوية الرفض المتعمد منذ البداية، وهذا ما جاء به رد السلطان الناصر محمد لاحقاً . [1]

يبدو أن الشك في مضامين المراسلات مسألة غاية في الأهمية وتفرضها في غالب الأحيان الحقائق على الأرض، فعلى الرغم من إسلام غازان، كان ضرورياً أن يتحقق المماليك من النصوص ومن النوايا، وأن لا يكون الاستعجال والهرولة هو المحرك، بمعنى أن الاستفادة من عامل الزمن مهم وضروري لاختبار الخصم والتحقق من إمكانيات تجاوز المطبات والعراقيل إن ظهرت فيما بعد، ففي عام (700هـ/1300م) بدأ الاهتمام بالرد على كتاب غازان السلمي حيث جهز إليه الأمير حسام الدين ازدمر المجيري، والقاضي عماد الدين بن السكري من أعيان القضاة، وكتب على يديهما الجواب، وهو من إنشاء القاضي علاء الدين بن فتح الدين محمد بن عبد الظاهر[2] . وكان من أبرز ما تضمنه هذا الرد:

1- أكد السلطان الناصر محمد أن المغول هم الذين بدأوا بالعدوان [3].

2- أظهر السلطان الناصر محمد أن قضية إساءة معاملة الأسرى ليس نهجاً عنده وعند جنده[4].

3-حاول السلطان الناصر أن يفند لغازان زعمه فيما جعله عذراً في الإقامة بأطراف البلاد وعدم الإقدام عليها حتى لا تخرب البلاد[5].

---

1 ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر**، 9/ 56؛ ابن تغري بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 8/ 139.

2 بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 356-357؛ النويري: أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 331-332؛ ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدر الفاخر**، 9/ 66-67/ 142-143؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 329.

3 النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 431-432؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 356-353؛ ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدر الفاخر**، 9/ 66-67؛ ابن تغري بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 8/ 142-143.

4 بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 537؛ النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 433؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 329.

5 النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 438؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 359-360.

4- أظهر السلطان الناصر محمد بن قلاوون لغازان عتابه في قضية الهدايا والتحف، ورفض أن يرسل إليه ما طلب [1].

5- رفض السلطان الناصر محمد أن يتنازل عن المكانة الدينية الإسلامية التي يتمتع بها، وهي تبوّءُ مركز الصدارة في حماية الإسلام، وهو بالتالي يرفض التبعية لجهة جماعة كانت بالأمس القريب من ألذ أعداء الإسلام[2] .

6- لم يخلُ رد السلطان الناصر محمد قلاوون من الدبلوماسية الحذرة، فرغم جدل الرسائل وتمحورها حول ذات القضايا، فإن السلطان كان قد أعرب عن استعداده لمصادقته إذا خفف من غلوائه، وصرف الكفار والحاقدين من بطانته، وأرسل إليه الرسل لتؤكد رغبته في الصلح، والعمل على خير البلدين[3].

من خلال ما تضمنته هذه المراسلات بين الطرفين كان الفشل وارد الحصول، خاصة وأن طبيعة كل من المماليك والمغول النفسية حالت دون الاتفاق بينهما، فالطرفان يشتركان بصفات بدوية خشنة عنيدة، وطباع قاسية وشجاعة إلى حد التهور، ومن الواضح – أيضا – أن استمرار الصراعبينهما كان أمراً طبيعياً، باعتبارهما جارين آمن كل منهما بفكرة الحرب، ومبدأ الغزو لها واتخذوا هذه المبادئ والسمات طريقاً للحياة والبقاء[4].

ولم تكن سياسة غازان التفاوضية تخلو من المكر والدهاء الذي يراد منه حسب اعتقاد غازان هو أن يسلّم السلطان الناصر محمد السلطة له على قاعدة الانتقال السلمي للسلطة، وكأن الأمور بهذه البساطة، فضلاً عن عدم طرحه ما يمكن أن يكون مقبولاً على المماليك بعد هذا

---

1 النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 440؛ مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 101-101؛ ابن تغري بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة** ، 8/ 146.

2 الصياد: فؤاد، **الشرق الإسلامي**، 290؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 246.

3 طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 247.

4 حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 331.

الصراع الدموي، وقد تأكدت وجهة النظر هذه في سلوك غازان لاحقاً، وما قام به في معركه عُوضَّ[1] .

ولعل من المفيد هنا الإشارة إلى بعض النتائج المهمة والمفيده بالنسبة للمماليك بعد فشل مفاوضات الصلح مع غازان، وهي أن معنويات المماليك والناصر محمد غدت مرتفعة، ودفعت باتجاه تصليب الموقف لاحقاً في الوقعات التالية، وكأن المماليك حققوا هدفاً غير مباشر من فلسفة المفاوضات، وهو تصدع جبهة المغول، وهزيمتهم في موقعة شَقَحَبْ [2] ولجوء غازان لمعاقبة قادته، وتحميلهم مسؤولية الفشل العسكري والفشل السياسي التفاوضي، فقد كانت جولة المفاوضات وما تلاها من صدام، وتحديداً في شقحب محطة مهمة حيث يقول ابن بطوطه : " إنه عندما وصل غازان إلى الشام بعساكره، وملك جيشه دمشق، ما عدا قلعتها، خرج الناصر محمد لمدافعته، حيث وقع اللقاء الحاسم في شقحب، حيث ثبت الناصر محمد رغم صغر سنه وهزم المغول هزيمة شنعاء، ولحق بهم بالغ الضرر، ولم يعد المغول بعدها لقصد بلاد الإسلام"[3]، كل هذه الأحداث أنذرت بأفول نجم غازان، فبالإضافة إلى الخسارة الجسيمة التي مني بها فقد كثرت الدسائس والمؤامرات في بلاده من قبل أمراء المغول لخلعه عن العرش، فكان لهذه الأحداث تأثير قوي عليه حتى مات في ريعان شبابه عن عمر يناهز الثلاثة والثلاثين عاماً [4].

- **علاقة السلطان الناصر محمد بن قلاوون مع المغول بعد توليه السلطنة الثالثة (709-741هـ/1310 – 1340م):**

تُعد سلطنة الناصر محمد في المرة الثالثة على جانب كبير من الأهمية؛ لأنها ظهرت فيها شخصيته التي طبعت أحداث التاريخ المملوكي بخاصة، وتاريخ المنطقة بعامة، بطابع فريد

---

1 عرض: **بليده في برية الشام من أعمال حلب بين تدمر والرصافه**، الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 4/ 103.

2 شقحب: **قرية في الشمال الغربي من جبل غباغب من أعمال حوران من نواحي دمشق، في طرف مرج الصفر** ينظر: الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 4/ 184.

3 ابن بطوطه:محمد، **رحلة ابن بطوطه**، 539.

4 الصياد: فؤاد، **الشرق الإسلامي**، 308/ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 251-252.

وخاص لما يقرب من إحدى وثلاثين سنة[1]، وقد بلغت دولة المماليك البحرية في عهده ذروة عظمتها، بعد أن نجحت في طرد الفرنجة من بلاد الشام، وقهرت مغول فارس، وبدت في صورة القوة العظمى في الشرق الادني بوجه خاص، والعالم الإسلامي بوجه عام، وساعدت هذه الأوضاع المستقره على ازدهار الحالة العامة[2].

- **علاقة السلطان الناصر محمد مع خدابنده سلطان المغول ومحطات الصراع والصلح:**

يلاحظ أن اولجايتو (خدابنده)[3] قد بدأ ممارسة مهامه، بتقليد أمور الوزارة إلى الخواجا رشيد الدين فضل الله الهمذاني، وخواجه سعد الدين محمد الساوجي، كما كان عليه الوضع أيام أخيه غازان [4]

انتهج الخان المغولي الجديد (أولجايتو) نهج أسلافه من حيث الوقوف موقف العداء من المماليك، وبالرغم من أنه أرسل السفراء إلى مصر لإظهار صداقته للسلطان الناصر محمد بن قلاوون، وتأكيد حسن نيته نحوه، إلا أنه لم يكن مخلصاً في توده، فقد اعتنق هذا الخان المذهب الشيعي وغلا فيه، وعمل على نشره في المناطق الغربية من بلاده[5]، حيث اشتد العداء بينه وبين المماليك السنة، وطمع في الاستيلاء على بلاد الشام ومصر وهي السياسة التقليدية لمغول فارس من عهد هولاكو[6].

---

1 طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 259.

2 عاشور: سعيد عبد الفتاح، **العصر المماليكي**، 118-119.

3 اولجايتو: **هو أخ غازان على خلفه وجلس على عرش الايجانيين عام (703هـ/1304م) وكان عمره ثلاثاً وعشرون سنة، وعندما توفي غازان كان أولجايتو في تبرير، وكان اولجايتو قد تسمي بمحمد بعد إسلامه وتلقب بفياص الدين، واستبدل لقبة المغول " خدابنده" بلقب إسلامي " عبد الله " وكان سبب تسميته خدابنده، هو أنه يعد وفاة أبيه كا قد هرب من غازان إلى نواحي شيراز وكرمان، واختلط هنا بالخربندنية والمكارين (الحمارين والبغالين) وأمضى وقتاً طويلاً في التردد على هرمز، وما حولها، فاطلق عليه الناس لقب (خدبندة) أي الحمار** ينظر: البدليسي: شرفنامة- **20**؛ ابن أيبك الصفدي: خليل، **أعيان العصر**، 3/ 157؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 549؛ فهمي: عبد السلام، **تاريخ المماليك**، 259.

4 البدليسي:شرف خان، **شرفنامه**، 20؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 345.

5 الصياد: فؤاد، **الشرق الإسلامي في عهد الايلخانيين**، 399.

6 طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 270.

ولعل السؤال المهم هنا ما هي الأسباب التي كانت تدفع خدابنده للصلح مع المماليك؟ وللإجابة عن ذلك فقد أكدت بعض المصادر التاريخية أن قرار خدابنده كان بسبب بلوغه عزم طقطاي بن منكوتمر – ملك مغول القبجاق–غزو بلاد فارس المغولية [1]. ولعل اعتناقه الإسلام على المذهب الحنفي، ثم الشافعي كما حال المماليك، قد شجعه على القيام بذلك، ويروي مفضل ابن أبي الفضائل أن خدابنده قال لرسل السلطان الناصر محمد "**أن صاحب مصر أخي ونحن واياه شيء واحد**"[2].

ولأننا كنا قد تحدثنا عن العلاقات التاريخية التي ربطت بين الدولة المملوكية، ومغول القبيلة الذهبية القبجاق ضمن حلف اكتسب أهميته في مرحلة الصراع المملوكي الفرنجي، كقوة متناقضة مع الفرنج والمغول، وبناءً على ما كان من تحالف نرى أن طقطاي بن منكوتمر قد أرسل مبعوثيه إلى الملك الناصر عام (1305/704م) ومعهم جوارٍ ومماليك، وهدية، وتحف ورسالة تتضمن دعوة السلطان الناصر محمد إلى الاجتماع لحرب مغول فارس، وقال له: "**إننا سيرنا إلى خدابنده نطلب منه خراسان إلى حد تبريز، وفي عرفنا الركوب، والمسير إليه، فتجمع عساكرك وتلاقينا حتى نجتمع نحن وأنت عليهم لنطردهم من البلاد، ونكون نحن وأنتم يداً واحدة، وحيث ما وصلت خيلكم من البلاد لكم، وحيث ما وصلت خيلنا لنا**" [3]. وهنا كانت المفاجأة حين رد السلطان الناصر محمد على طقطاي بأن الله كفاه شر غازان، وأن أخاه خدبندا قد أذعن للصلح [4]. وهذا الرد يدلل على أن السلطان الناصر محمد كان جاداً في إقامة علاقات الصلح وحسن الجوار مع مغول فارس، وإخراج المنطقة من دوامه العنف دون الكشف عن نواياهم الصحيحة، ومما يؤكد أن طقطاي قام بمراسلة السلطان الناصر محمد ثانيه عام (706هـ/1306م) بعد عامين من مراسلته الأولى – وبعث إليه برسول آخر يحمل هدية، ورسالة يعرض عليه فيها تسيير الجيوش المصرية إلى الفرات، يشاركهم في مهاجمة بلاد المغول، على ان يحتفظ كل منهما بما يسيطر عليه، فكان رد السلطان الناصر محمد يتميز بالتأكيد على إقرار

---

1 ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدر الفاخر**، 9/ 127–128؛ ابن أبي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**، 2/ 107؛ ابن سباط: حمزة، **صدق الاخبار**، 2/ 585–586.

2. ابن أبي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**، 2/ 105.

3 ابن سباط: حمزة، **صدق الاخبار**، 2/ 585–586.

4 المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ ق1/ 7

الصلح مع خدابندا، وكتب له: " **بأن الصلح قد وقع مع خدابندا، ولا مجال للتراجع، ولا يليق بي نقضه، فإن حدث غير ذلك عمل بمقتضاه...**"[1].

إن السلوكيات التي نهجها خدابندا في التعامل مع المماليك، وعدم وضوح سياسته التي اتسمت بالاضطراب، تؤكد على أنه لم يكن جاداً في الصلح مع المماليك وكان هدفه كسب الوقت حتى تتضح خريطة المنطقة، وكان الهدف – أيضا – هو إسكات وتهدئة جبهة المماليك حتى يتفرغ لمواجهة الخطر القادم من بلاد القبجاق [2]. وهذا ما أدركه المماليك لاحقاً، إلا أن التهدئة غير المباشرة مع المغول لم تكن سيئة بالنسبة لهم، الأمر الذي نبههم لأهمية الحذر والحيطة من المغول الذي قد يتحول في أيه لحظة في عدوانه إلى بلاد الشام ومصر، وهذا ما حصل بالفعل، ففي عام (708هـ/1308م)، أغارت فرقة من المغول المرابطين شرقي الفرات على قلعة كركر، ونهبوا وأسروا من بها من التركمان، فكتب إلى فرقة الجيش المجردة إلى تلك الجهات بنجدتهم فباغتوا المغول في الليل، وقتلوهم واستردوا ما أخذوه من كركر[3]، وقد تكررت اعتداءات المغول على أطراف السلطنة المملوكية، ففي عام (709هـ/1309) أغارت جماعة من المغول بقيادة الأمير (سوتاي) نائب خدابندا، على ديار بكر ونهبوا التركمان القاطنين بها، فرسم السلطان بتجريد الأمير حسام الدين الموصلي أمير علم والأمير حسام الدين لاجين الجاشنكير بما معهم من الجيوش، إلى حلب، فتوجهوا لحلب بألفي فارس[4] ويبدو أن خدابندا قد قصد من هذه الغارات اختبار أحوال المماليك والتعرف إلى مواطن الضعف والقوة فيها ،من أجل إعداد حملة شاملة على بلاد الشام، وهذا ما يؤكد أنه كان يضر العداء للمماليك إلا أنه كان يتحين الفرصة المناسبة لإعلان حربه عليهم رغم محاولاته استخدام الإسلام والدين بتوظيف سياسي

---

1 المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ ق1/ 27–28؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 352–353.

2 ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدر الفاخر**، 9/ 128

3 بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 402–403؛ **التحفة الملوكية**، 185؛ المقريزي: أحمد، **السلوك** 2/ ق1/ 42–43.

4 بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ 55–65؛ حجة:شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 354–355.

لخدمة أهدافه الاستراتيجية بالسيطرة على المنطقة، وزعامة العالم الإسلامي، خاصة وأنه كان يعتقد أن ذلك ليس ببعيد . [1]

استغل خدابندا كل عوامل التناقض والخلاف داخل المعسكر المملوكي لمصلحة تفكيره في الغزو عبر تحصين جبهته الداخلية، حيث وجد في هروب كل من الأمير شمس الدين قراسنقر والأمير جمال الدين الأفرم ومن معهم من الأمراء فرصة للتحرك[2]، حيث وصل هؤلاء إلى بلاطه في عام (712هـ/1312) وقامو بتحريضه على غزو بلاد الشام، وكان هؤلاء الأمراء المتمردين قد ساروا إلى ماردين، واستأذنوا خدابندا بالدخول إلى بلاده، فأذن لهم وأمر نواب الأقاليم بخدمتهم، وعندما وصلوا إليه استقبلهم وبالغ في إكرامهم ،ثم استدعاهم بعد يومين وجلس مع كل واحد على انفراد، وسأله في مسألة الغزو، فحسن له غزو الشام، وضمنوا له تسلم البلاد بغير قتال، إلا أن الأفرم خوفه من قوة السلطان الناصر محمد، وكثرة جيشه[3].

إن اتخاذ خدابندا البديل العسكري مكان التفاوض، وفلسفته، والصلح يؤشر بشكل واضح على اضطراب، وليس حكمة، حتى غدت مصادر خدابندا قبيل عزمه على دخول بلاد الشام ترتكز على ما كان يأتيه من أنباء عن طريق قصاد (قراسنقر) ، والتي أشارت إلى أن الجيوش الإسلامية متفرقة، وأن السلطان الناصر منشغل في الصيد، ولا يعطي أي اهتمام لأمر المغول وتحركاته المتوقعة[4].

هذا السلوك من جانب خدابندا، ومحاولته الاستفادة من معلومات هؤلاء القادة، وجمع أكبر قدر ممكن من الأسرار والمعلومات العسكرية المهمة عن المماليك، جعلت الحرب واقعة لا

---

[1] .موير: وليم، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، 89 ؛ هلال: عادل، **العلاقات بين المغول وأوروبا**، 137-141.

2 ابن أيبك الصفدي: خليل، **أعيان العصر**، 3/ 1434-1435؛ ميرخوند:محمد، **روضة الصفا**، ق5/ 955-956.

3 أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في اخبار البشر**، 4/ 66؛ ابن الوردي: عمر، **تتمة المختصر**، 2/ 372؛ ابن أبي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**، 2/ 205-209؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 425-426؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ ق1/ 115؛ ابن تغرى بردى: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 9/ 32؛ البدليسي: شرف خان، **شرفنامه**، 2/ 32.

4 ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدر الفاخر**، 9/ 252.

محاله، خاصة وأن قراسنقر والأفرم كانا من أعيان المماليك ،ولديهم معلومات واسعة عن الخطط العسكرية، وإعداد الجيوش لقربهم من مركز القرار والعقل المملوكي، لتقدير مدى جاهزيتهم لمواجهة المغول تاليا، هذا إلى جانب معرفتهم ببعض الأمور التقنية المتعلقة بصناعة المنجنيقات كما يذكر مفضل بن أبي الفضائل، ومع ذلك فقد اتسمت علاقته مع هؤلاء الأمراء بالحذر، وذلك للتأكد من صدقية المعلومات التي أدلوا بها[1]. وبعد أن أصبحت حرب خدابندا مع المماليك قاب قوسين أو أدنى، راح يعد الجيوش ويبني آلات الحصار، وصرف أموالا طائلة لبناء الدروع، وصناعتها، والمنجنيقات[2]، وبإشراف الأمراء قراسنقر والأفرم المنشقين عن المماليك وتوجه بجيشه إلى الموصل وماردين يريد الشام[3]. هذا التطور في العلاقات بين المماليك والمغول، والذي بدأ يأخذ منحى الصدام لم يقابل من المماليك بالتهديد، فقد راح السلطان الناصر يأخذ كل الاستعدادات للمواجهة، وأمر قادته بالتجهز والاستعداد واتجهت جيوشه إلى الشام[4]، في حين هرب أهل الشام الذين أصابهم الهلع[5].

---

1 ابن أبي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**، 2/ 222–223؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 357.

2 ميرخوند: محمد، **روضة الصفا**، ق5/ 955.

3 ابن أبي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**، 2/ 222–223؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الأولى وإيلخانية فارس**، 357.

4 المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ ق1/ 119.

5 ابن كثير: اسماعيل، البداية والنهاية، 14/ 66؛ ابن أبي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**، 2/ 222–225.

- **الصلح بين السلطان الناصر محمد وأبي سعيد بهادرخان:**

بعد هذه المرحلة المهمة من تاريخ العلاقة بين المماليك والمغول توفي الإيلخان محمد خدابندا في 27 رمضان/كانون أول عام (716هـ/1316م)، ودفن بمدينة السلطانية[1] التي أنشأها بالقرب من قزوين، وهو لا يزال في الأربعين من عمره[2]، وخلفه على حكم المغول ابنه أبو سعيد بهادر خان[3]، في عام (717هـ/1317م) وهو في الثانية عشرة من عمره، وفوض منصب أمرة الأمراء إلى الأمير جوبان الذي أصبح الآمر الناهي، وأبقى كلاً من خواجا علي شاه، والخواجا رشيد الدين فضل الله الهمذاني في منصب الوزارة، كما كان الحال في عهد والده[4]. وتعدّ الفترة التي جاء فيها أبو سعيد بهادر خان إلى حكم مغول فارس، فاصله ومهمة على أكثر من صعيد، وكانت فترة حكمه الطويلة ما بين عامي(717-736هـ/1317-1336م) فترة حاسمه في تاريخ العلاقة مع المماليك في مصر[5]، إذ تحسنت العلاقات بين الجانبين وتوطدت أواصرها وجنحا إلى الصلح بعد عداء مستحكم دام أكثر من نصف قرن من الزمان ويظهر من خلال استعراض المصادر التاريخية أن أبا سعيد قد وجه همته نحو خطب ود المماليك؛ لأسباب ودوافع كان أكثرها يختص بدولة مغول فارس[6].

---

1 السلطانية: **كانت هذه المدينة ذات شكل مربع، وطول كل ضلع منها خمسمائة ذراع، وكان لها بوابة واحده، وسته عشر برجاً، وفي داخل المدينة بني كل أمير عماره، وكانت عمارة رشيد الدين فضل الله الهمذاني مشتملة على مدرسة ودار للشفاء**، للمزيد ينظر: البدليسي: شرف خان، **شرفامه**، 2/ 25؛ ميرخوند، **روضة الصفا**، ق5/ 947/ حجة: شوكت ، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، هامش 1/ 360.

2 ابن الفوطي: عبد الرازق، **تلخيص مجمع الأدب في معجم الألقاب**، 4/ ق2/ 1183-1184؛ الذهبي: محمد ، **العبر**، 2/ 381/ ابن أبي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**،2/ 201-202؛ ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 4/ 77؛ ابن تغري بردي: يوسف، **الدليل الشافي**، 2/ 601؛ ابن تغري بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 9/ 239.

3 بهادر خان: **بمعنى البطل وهو لقب حظي به أبو سعيد**، ينظر: البدليسي: شرف خان، **شرفنامه**، 2/ 25-26

4 ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه**، 2/ 82؛ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **درة الاسلاك**، 2/ 6؛ البدليسي: شرف خان، **شرفنامه**،2/ 25.

5 طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 273.

6 حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، 360.

ويبدو أن تربية أبي سعيد ونشأته الإسلامية منذ صغره على يد أحد كبار أمراء البلاط المغولي، والأمير جوبان أمير الأمراء[1] قد أثر بشكل واضح على توجهاته السلمية مع المماليك لأسباب داخلية وخارجية، فخارجياً لم تسلم حدود دولة مغول فارس من اعتداءات وتهديدات أبناء عمومتهم في بلادها وراء النهر والقوقاز، الجغتائيين، والقبجاق الطامعين في الاستلاء على مناطق نفوذه، وتقويض دعائم دولة المغول[2]، هذا فضلا عن اشتداد العداء بين أبي سعيد وأزبك خان[3] بن طقطاي ملك القبجاق، وذلك عندما استولى أزبك على أكثر بلاد خراسان الخاضعة لسيطرة أبي سعيد، وهنا حاول أزبك الحصول على مساعدة صهره السلطان الناصر محمد للوقوف في وجه أبي سعيد والمغول عامة، إلا أن الأمر الذي لم يكن متوقعاً أمام هذا التناقض هو مبادرة أبي سعيد للدخول في مفاوضات مع سلطنة المماليك لعقد صلح معها، ففي الوقت الذي استجاب فيه السلطان الناصر للصلح غضب أزبك خان، وأغلظ القول أمام رسل السلطان الناصر محمد، وبعث له يعاتبه فاعتذر له الناصر، ووضح له أن المغول قد استجأبوا لإقامة شعائر الإسلام، وهو بالتالي لا يستطيع إلا موافقتهم على هذا الصلح [4].

أما بالنسبة للأسباب الداخلية، فقد اضطربت الأوضاع عند مغول فارس، بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية، وتوالي الخسائر المادية نتيجة الصدامات مع المماليك، وكذلك اختلاف الأمراء ونشوب الحروب فيما بينهم من أجل تحقيق مصالح شخصية[5]. وفي عام (719هـ/1319م) نازع بعض أمراء السلطان أبي سعيد خان وقواده، أحد كبار أمراء المغول الأمير جوبان، وخالفوه على منصب أمير الامراء، وأدى ذلك إلى الجدل والصراع، فدارت

---

1 البدليسي: شرف خان، **شرفنامه**، 2/ 23؛ القزاز: محمد صالح، **الحياة السياسية في العراق**، 182؛ الخطيب: إبراهيم ياسين، **تاريخ المغول والمماليك**، 42-43.

2 أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في أخبار البشر**، 4/ 81؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 431

3 ازبك خان:،**هو أزبك بن طقطاي، كان ذا بأس وإقدام وعباده، وكان إسلامه قد شجع بعض رعيته على اعتناق الإسلام، وكان السلطان الناصر محمد قد خطب ابنته وقيل اخته، فأجاب إلى ذلك، ثم اعتقد أنها ليست من بنات ازبك فهجرها، وكانت وفاته عام (741هـ /1342م)**، ينظر: ابن أيبك الصفدي: خليل، **أعيان العصر**، 1/ 290؛ العسقلاني: ابن حجر، **الدرر الكامنه**، 1/ 354.

4 ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 431-432.

5 ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه**، 2/ 89؛ حجة:شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، 361-362/ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 273.

المعارك بين الفريقين، وكان ممن شارك في هذا القتال السلطان نفسه رغم صغر سنه[1] . وقال ابن حبيب في ذلك :"**وجرت بينهم وقعة قتل منهم نحو ثلاثين ألفاً، منهم عدة أمراء ومقدمين حتى كان ملكهم يزول**"[2].

وقد أبرز ابن أيبك الدواداري لنا أن سبب الصلح بين مغول فارس والمماليك يعود إلى شخصية الأمير المغولي المسلم جوبان، وقال :" **وكان سبب هذا الصلح المبارك جوبان، فإنه كان مسلماً حسناً، وكان قد وصل إليه مجد الدين السلامي من الديار المصرية، وصحبته أربع رؤوس خيل تقدمه له من عنده، بعُدد سلطانية مصرية، فاختشى جوبان أن يقبلهم**" وذلك خوفاً من اتهامه بمراسلة السلطان الناصر محمد، فأشار على مجد الدين السلامي بأن يقدمهم لأبي سعيد، وكان ذلك سبب الصلح[3] ، وأمام واقع المراسلة هذه بين المماليك والمغول يتضح أن الظروف الذاتية والموضوعية بين الطرفين، كانت ناضجة للسلم والمصالحة، بدليل أن حادث محاولة اغتيال قراسنقر وتداعياته كان من المتوقع أن يؤدي إلى قطع مفاوضات الصلح، واستئناف سياسة العداء بين الطرفين، غير أن الخوف الشديد الذي انتاب أبا سعيد ورجال دولته كان دافعاً للتعجيل في طلب الصلح، وكأن الجميع وصل إلى القناعة ذاتها ولا يمكن للأحداث الصغيرة أن تعوق توجهاتهم السلمية[4].

بعد ثلاث سنوات من المفاوضات المستمرة بين البلدين، جنح السلطان الناصر محمد إلى السلم بعد أن عبر له أبو سعيد عن نواياه الطيبة ورغبته الصادقة في قيام علاقات بينهما على أسس من المحبة والاحترام المتبادل، وعلى هذا الأساس وبعد زيارة مجد الدين السلامي بدأ الجميع بالاستعداد لصياغة قواعد هذا السلام، وقد احتوت كتب الصلح على البنود التالية:

1. يعقد الصلح بين الطرفين لعشر سنوات[5].

---

1 الذهبي: محمد ، **دولة الأسلام**،2/ 216؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ ق1/ 184؛ البدليسي: شرف خان، **شرفنامه**، 2/ 25؛ شبولر: بارتولد، **العالم الإسلامي في العصر المغولي**، 79؛ الخطيب: إبراهيم ياسين، **تاريخ المغول والمماليك**، 42.

2 ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه**، 2/ 105.

3 ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر**، 312-313

4 طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 274.

5 المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ ق1/ 209.

2. عدم دخول الإسماعيلية إلى بلاد المغول[1].
3. الاعتراف بحق اللجوء السياسي لأفراد الدولتين، بمعنى عدم المطالبة بتسليم رعايا البلدين الذين يلجؤون إلى البلد الآخر، فمن تحفز إلى بلاد المغول من قبل المماليك لا يرد إلى مصر، ومن يفد من مصر من المغول لا يرد إليهم إلا برضاه[2].
4. لا يسمح السلطان الناصر بغارات العربان والتركمان على بلاد المغول[3].
5. اتفاق الطرفين على تأمين التبادل التجاري، وإزالة جميع المعوقات التي تحول دون ذلك، مثل القضاء على خطر العربان ومهاجمتهم للطرق التجارية، والعمل على إصلاح السابلة، وفي ذلك إشارة واضحة لأهمية الاقتصاد في معادلة الصلح[4].
6. تسيير ركب الحج كل عام من العراق إلى الحجاز رافعاً علمين أحدهما باسم سلطان مصر والآخر باسم المغول[5].
7. ان تتوقف مساعي السلطان الناصر محمد للقبض على قراسنقر أو محاولاته للتخلص منه بمعنى توقف الاغتيال السياسي[6].
8. الاتفاق على التعاون العسكري، " وجهاد العدو" ضد أعداء المسلمين[7].

يلاحظ أن هذا الاتفاق وبصيغته النهائية جاء منسجماً مع تبدل الظروف والأحوال التي سادت المنطقة بعد إسلام المغول، وغياب فلسفة الغزو والهجوم والسيطرة من ذهنية المغول بعد إسلامهم.

---

1 حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، 365.

2 المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ ق1/ 209؛ الخطيب: إبراهيم ياسين، **تاريخ المغول والمماليك**، 51.

3 المقريزي: أحمد، **السلوك** 2/ ق1/ 209

4 ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 431؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ ق1/ 209؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين المماليك وإيلخانية فارس**، 365.

5 المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ ق1/ 209–210؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 431/ القزاز: محمد **الحياة السياسية في العراق**، 418.

6 المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ ق1/ 210.

7 ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 431؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، 365.

اختلف المؤرخون المسلمون حول تاريخ عقد الصلح بين المغول والمماليك، فالبعض أرجعه إلى عام (721هـ/1321)[1] في حين أرجعه آخرون إلى عام (723هـ/1323م)[2] في حين أن المقريزي قد ذكره ضمن أحداث عام (720هـ/1320)[3].

من خلال ما أورده ابن خلدون في تاريخه نستطيع القول إن سبب اختلاف المؤرخين حول هذا الأمر، إن عام (721هـ/1321) كانت بداية المفاوضات والمشاورات بين الطرفين لإقرار الصلح من جهة، ولإثبات حسن النوايا من الجهة الأخرى، ومما يؤكد ذلك ما ذكرناه سابقاً من تبادل الهدايا بين أبي سعيد والسلطان الناصر محمد[4] .

أما عام (723هـ/1323) فهو العام الذي تم فيه عقد الصلح نهائياً ضمن الشروط المتفق عليها، حيث قدمت رسل أبي سعيد لتحليف السلطان الناصر على قواعده. وهذا ما أكده المقريزي في تاريخه، فيروي ضمن أحداث عام (723هـ/1323م) ويقول:" **وفي رابع عشره – جمادى الأولى – قدمت رسل أبي سعيد لتحليف السلطان على الصلح ومعهم هدية ما بين بخاتي وأكاديش وتحف، فقرئ كتابه بوقوع الصلح، ثم سفروا بهدية سنية بعدما غمرهم إحسان السلطان...**"[5].

عد هذا الصلح المهم نقطة تحول كبيرة في تاريخ العلاقات بين المغول والمماليك وتحديداً بعد هذا الصراع المرير الذي كلف المنطقة ثمناً باهظاً، فجاء هذا الصلح ليوطد العلاقات بين الجانبين، وليصنع مرحلة هدوء وسلام ووئام محل الخصام، وأصبح يدعى لأبي سعيد على منابر

---

1 الذهبي: محمد ، **دولة الاسلام**، 2/ 229؛ فضل الله العمري: أحمد، **مسالك الأبصار**، م46/47/ 400؛ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **درة الاسلاك**، 2/ 817؛ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه**، 2/ 115.

2 ابن دقماق: ابراهيم، **النفحه المسكيه**، 128/ القلقشندي: عبد الله، **مآثر الأنافة**، 2/ 132.

3 المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ ق1/ 210.

4 ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 431؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، 365-366.

5 المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ ق1/ 245-246.

مكة، بعد الدعاء للسلطان الناصر محمد[1]الذي اهتم اهتماماً كبيراً بإكرام حجاج العراق، كأحد بنود الصلح[2]؛ ومنع العُربان المفسدين من التعرض للتجارة[3].

هذا وقد تطورت العلاقات المملوكية – المغولية في عهد أبي سعيد (ت 736هـ / 1335م) حيث توالى توافد رسل المغول إلى القاهرة، كل عام تقريباً – لتأكيد الصلح مع المماليك، وبرزت قضية التعاون الأمني بين الطرفين خلال الحوارات اللاحقة، هذا إضافة إلى أن أبا سعيد قد حاول أن يقوي علاقاته مع السلطان الناصر محمد عن طريق المصاهرة، ففي عام (727هـ/1326م) وصل إلى قلعة الجبل رسول كبير من أقرباء أبي سعيد، وهو تمربغا، وكان حضوره بسبب خطبة إحدى بنات الناصر لأبي سعيد، فأجابه الناصر بأن اللاتي عنده صغار – ومتى كبرن يحصل المراد فعاد الرسول بذلك[4].

---

1 **نفس المصدر**، 242.

2 **نفس المصدر**، 2/ ق1/ 215.

3 **نفس المصدر**، نفسه، 2/ ق1/ 211.

4 أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في اخبار البشر**، 4/ 100؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق1/ 283–284؛حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، 367–368.

الفصل الثالث:

المعاهدات والهدن بين المماليك والقوى الخارجية والداخلية

أولاً: القوى الخارجية:

- الهدن والمعاهدات مع مملكة أرمينيا الصغرى
- الهدن والمعاهدات مع سلاجقة الروم
- الهدن والمعاهدات مع بيزنطة
- الهدن والمعاهدات مع غرب أوروبا
- الهدن والمعاهدات مع قبرص

ثانيا: القوى الداخلية:

- بلاد النوبة

أولاً : القوى الخارجية

- **الهدن والمعاهدات مع مملكة أرمينيا الصغرى.**

في عام (664هـ/1265م) سار الملك الظاهر إلى بلاد الأرمن، وأوقع بأهلها ونهبهم، واستباح أموالهم، وأكثر القتل والأسر فيهم، خصوصاً أهل سيس (في أرمينيا)[1]. وأسر ابن صاحب سيس ويدعى ليون[2] وكان سبب ذلك أن "ليون" قد راسل السلطان الظاهر بيبرس لما ملك مصر، وهادنه على خراج مقرر يحمله إليه، فمطله به هذه السنة[3]، ونظراً لانشغال أبغاخان بحرب مغول القبجاق، شعر بيبرس أن الظرف السياسي ملائم لغزو بلاد الأرمن، وإخضاع هيثوم الذي اتبع سياسة معادية للمماليك، مما دفع الزعيم الأرمني إلى اتباع الدبلوماسية لتجنب الهزيمة المحققة، لهذا فُتح باب الحوار والمفاوضات مع السلطان بيبرس، وترددت الرسل بينهما، فقدم السلطان عدداً من المطالب أهمها أن يدخل هيثوم في طاعته، وأن يؤدي الجزية، وأن تفتح طريق الدروب أمام القوات المملوكية، وأن يفتح الطريق التجاري بين أرمينيا الصغرى، وبلاد الشام، لتمكين الناس من شراء القمح، والشعير، والخيل، والحديد من بلاده[4].

إلا أن المفاوضات لم تؤد إلى نتيجة إيجابية، ويبدو أن خوف هيثوم من المغول كان السبب الأساس لعدم نجاح تلك المفاوضات، على أساس أن المغول يعدّ نفسه وصياً على سلوك الأرمن فيما يتعلق بالمواجهة مع المماليك. ولما شعر هيثوم أن الحرب مع المماليك واقعة لا محاله، وأن قواته في وضعها الراهن لا يمكنها مواجهة ومقاومة المماليك، هرع إلى تبريز عاصمة المغول الإيلخانيين في عام (664هـ/1266م) يلتمس مساعدتهم [5]

انتهز بيبرس غياب هيثوم ودفع بجيوشه باتجاه قيليقيا، وكانت بقيادة المنصور الثاني، ثم أردفه بقوة عسكرية بقيادة الأميرين قلاوون الألفي، وعز الدين أوغان، في حين أقام هو في

---

[1] ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 13/ 261.

[2] الكتبي: محمد، **عيون التواريخ**، 2/ 337.

[3] ابن الفوطي: كمال الدين، **الحوادث الجامعة**، 254-255.

[4] ابن العبري: غريغوريوس، **تاريخ الزمان**، 324-325.

[5] **نفس المصدر**، 325.

دمشق للإشراف على الحملة، في هذه الأثناء اصطدم الجيش المملوكي بجيش أرمني عند دروب الشام بقيادة ولدي هيثوم الأول ليون وثوروس، وقد تولى فرسان الداوية في بغراس حماية جناحيه، غير أن الجيش المملوكي انحرف شمالاً وعبر جبال الأمانوس عند قلعة سرفندكار[1]، فهرع الأرمن لاعتراض تقدمه عند هبوطه إلى سهل قيليقيا، ونشبت بين الجيشين معركة عسكرية قرب دربساك في شهر ذي القعدة/ آب عام (664هـ/ 1266م)، حيث دارت الدائرة فيها على الجيش الأرمني، ولقي ثوروس مصرعه، كما وقع ليون في الأسر[2].

تقدم الجيش المملوكي على أثرها إلى قيليقيا، فنهب اياس، وأدنة، وطرسوس، وتجاوز المنصور بجيشه إلى سيس، فنهبها، وأشعل النار فيها، وجعل عاليها سافلها ثم انسحب من المنطقة في نهاية شهر أيلول عائداً إلى حلب، ومعه نحو أربعين ألف أسير وقافلة ضخمة من الغنائم، حتى بيع رأس البقر بدرهمين، ولم يوجد من يشتريه[3]. وعندما علم هيثوم بما حل ببلاده خلال فترة غيابه أسرع بالعودة إليها في جماعة صغيرة من المغول، فوجد ولي عهده أسيراً، وعاصمته مدمرة، وبلاده مستباحة، إلى جانب فتور تعامل المغول مع توجهات ومطالب هيثوم، الأمر الذي دفعه لعقد اتفاقية هدنة مع الظاهر بيبرس، والتي نصت على:-

1. يتنازل هيثوم الأول للسلطان بيبرس عن بعض القلاع التي في حوزته في جبال الأمانوس، وهي دربساك، وبهسنا، ورعبان، ومرزبان.
2. أضحى نهر جيحان حداً فاصلاً بين الممالك الإسلامية ومملكة أرمينيا الصغرى.
3. إطلاق سراح الأمير شمس الدين سنقر الأشقر الذي سبق أن أسره المغول في حلب مقابل إطلاق سراح ليون بن هيثوم[4].

ويلاحظ أن هذه الهدنة تضمنت أبعاداً ومضامين عدة، فمن الناحية الجغرافية السيادية تنازل هيثوم عن مدن وقلاع مركزية، فضلاً عن المضمون السياسي القائم على ترميم الحدود

---

[1] قلعة سرفندكار: قلعة من بلاد الأرمن ، قريبة من نهر جيحان من البر الجنوبي، وفي الشرق يبعد عنها تل حمدون نحو أربعة أميال ينظر : القلقشندي: عبد الله،عبد الله، **صبح الأعشى**، 1/ 393-394.

[2] ابن عبد الظاهر:محيي ، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، 269-271.

[3] ابن عبد الظاهر: محيي، **الروض الزاهر** ، 271 ؛ المقريزي: أحمد،**السلوك**،1/ق552/3؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، 135.

[4] النويري:أحمد، **نهاية الأرب**،154/30.

واتخاذ نهر جيحان نقطة حدود مركزية، إلى جانب مضمون الندية في التعامل، وتحديداً مسألة الأسرى في المفاوضات التي كانت نقطة أساس في اختبار النوايا، واختبار طبيعة التحالف بين الأرمن والمغول، خاصة وأن سنقر الأشقر كان معتقلاً عند المغول بعد أسره من حلب وهذه الهدنة سجلت نحاجاً بارزاً للمماليك مهد الطريق أمام أخذهم زمام المبادرة لاحقاً في فرض أجندتهم خلال المفاوضات لعقد أية هدن أو صلح، ودليل ذلك تردد رسل أرمينيا فيما يتعلق بتسليم القلاع، مثلا دفع السلطان لردهم، والكتابة لمتملك سيس بلغة قاسية، فضلاً عن طلب السلطان رهائن بدل ليون، لحين إتمام الصفقة. وهكذا كتبت الهدنة في شهر رمضان بأنطاكيا[1].

واللافت في هذه الهدنة أن بعض المصادر تذكر أن كل القلاع سلمت باستثناء بهسنا فضلاً عن قيام صاحب سيس بتسيير أخيه فاساك في هذا الأمر، وسير ريمون صهر ولده كرهينة إلى أن تسلم القلاع المذكورة سابقاً، ويحضر سنقر الأشقر إلى الخدمة الشريفة بمعنى أن حاجة صاحب سيس لهذه الهدنة كانت عالية وكبيرة، وأظهرت ثقة الظاهر بيبرس بما يفعل[2]

لم تكن العلاقة بين المماليك ومملكة أرمينيا أفضل حالاً في عهد السلطان المنصور قلاوون عما كانت عليه في عهد الظاهر بيبرس، بل أن حالة العداء بين الطرفين كانت على شكل سلسلة من العداء بين القوى الإسلامية والمسيحية في عصر الحروب الصليبية، وبالتالي لم يكن المتوقع انتهاء الصراع إلا بزوال عناوين ذلك الصراع، وانتهاء الحروب الصليبية، وقطع التحالفات التي كانت تعقد مع هذا الطرف أو ذاك. لذا يمكن وصف العلاقات بين المماليك في عهد قلاوون وبين الأرمن بالتأرجح بين التأزم الشديد والصدام، وبين الهدوء والانفراج، وفقاً لتطور الصراع والأوضاع ميدانياً ارتباطاً بالسياسة التي كانت تتفاعل في منطقة الشرق الأدنى، فضلاً عن طبيعة العلاقة التي ربطت كل منهما بالصليبيين والمغول[3].

---

[1] ابن عبد الظاهر :محيي ، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، 327–329؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **تاريخ ابن خلدون** العبر، 5/ 386–387.

[2] العيني: محمود: **عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان**، 2/ 31؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 570؛ابن عبد الظاهر: محيي، **الروض الزاهر**: 329؛ ابن الوردي: زين الدين عمر، **تاريخ ابن الوردي**، 2/ 311–313.

[3] عاشور: سعيد،**الحركة الصليبية**، 2/ 1216.

إن نظرة السلطان المنصور قلاوون إلى أرمينيا كانت قائمة على أساس أن هذه المنطقة تشكل إزعاجاً للمماليك، وخاصة بعد سلسلة التحالفات مع المغول، ومع ذلك ظلت مملكة أرمينيا خاضعة للمماليك طيلة حكم السلطان المنصور قلاوون، إلا إن الأرمن تمتعوا بانتهازية عالية في التعامل مع المماليك، فكثيراً ما هاجموا الحدود، وخاصة حينما كان المماليك ينشغلون في الحرب مع المغول والصليبيين. ويقدمون المساعدة لهؤلاء في حربهم لهم، محاولين بذلك التخلص من الهيمنة المملوكية، والتهرب من دفع الجزية؛ لهذا اشتد ضغط المماليك عليهم وكانوا على حق فضلاً عن حسد المماليك لهم على الثروة التي جنوها من خلال الطرق التجارية النشطة التي تجتاز بلادهم وتصل إلى البحر الأبيض المتوسط [1]عبر مرفأ إياس([2]).

إن إغارة السلطان قلاوون هذه على الحدود الجنوبية لأرمينيا الصغرى سببت كثيراً من الخراب لها، وقتلت وأسرت كثيراً من فرسانها، عقاباً على ما فعلوه ببلاد الشام إبان الغزو المغولي لها، وأمام هذا الواقع الجديد راح ملك الأرمن ليون الثالث (leon III) وأرسل سفراءه لطلب الهدنة مع المماليك، ولكن قلاوون قذف بهم في غياهب السجن ولم يفرج عنهم إلا بعد تدخل مقدم الداوية في عكا، وقبول ليون الثالث (leon III) لمعاهدة الصلح مع المماليك والتي كان من أهم شروطها:

1. يقدم ملك الأرمن جزية سنوية للسلطان مقدارها ألف ألف درهم قطيعة من دراهم، وأصناف مفصلة كالاتي:
   - خمسمائة ألف درهم حجر فضي.
   - خمسون رأساً من الخيل، والجياد، والبغال، الجيدة.
   - عشرة آلاف تطبيقة[(3)].

---

[1] رانسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 751-752؛ طقوش: محمد سهيل ، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، 198.

[2] **.ميناء اياس:** هو ميناء يقع في مدينة إياس من بلاد الأرمن على ساحل البحر بينها وبين بغراس مرحلتين وهي مجاورة لنهر جيحان. ينظر: القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى** ، 137/4 ؛ ابن كنان : محمد ، **المواكب الإسلامية** ، ق86/2.

[3] **تطبيقة:** وجمعها تطابيق، وهي عبارة عن لوج من الحديد او النحاس به مسمار، وهي لحذو الخيل ،ينظر : طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك**، 198.

- هدايا وأقمشة.

2. يطلق ملك الأرمن سراح الأسرى المسلمين كافة الذين في حوزته.
3. يطلق ملك الأرمن سراح التجار المسلمين المحتجزين في بلاده مع أموالهم، وبضائعهم، وإذا مات أحد التجار يطلق أسيراً مسلماً بدلا منه[1].
4. تستمر الهدنة بشروطها وقواعدها المحررة على انقضاء مدتها، ولا تنقض بموت أحد الملوك من الجهتين، ولا بعزل نائب، أو وال وتولية غيرهم، ولا بدخول رجل غريب ولا بيد غالبة من المغول، ولا من غيرهم، وعليه تستمر الهدنة مدة عشرة أعوام، وعشر ساعات، اعتباراً من شهر ربيع الأول/ حزيران من عام (684هـ/1285م)[2].

لم يحصل السلطان المنصور قلاوون على هذه الهدنة بسهولة، بل جاءت بعد هجوم المغول على الجيوش الإسلامية أثناء التفاوض بين الأرمن والمسيحيين، حيث انتصر المسلمون وهنا شعر ليون الثالث (Leo III) بالضعف والهوان بعد هزيمة حلفائه المغول والفرنجة فقرر الصلح مكرها[3]

من خلال النظر لنص المعاهدة يتأكد لنا أهمية استغلال الظروف المناسبة للتعامل مع العدو والخصم، وعدم التهاون في فرض الشروط، فجاءت هذه الهدنة قوية بالمعنى الاقتصادي، والسياسي، والكياني المعنوي، حيث قبلها ليون لانكشاف جبهة تحالفاته وهزيمتها أمام المسلمين. لذا فإن أي هدنة تعقد مع الخصم يجب أن يراكم عليها الإنجازات بالشكل المرحلي، لأنه لا دوام للهدن بالمعنى المطلق، فغياب أطراف الهدن وتغير التحالفات، وضيق أو اتساع الجغرافيا كلها عوامل تهدد الهدن.

إن إعطاء الأشرف قلاوون الأمان للأرمن في قلعة الروم كان لضرورات داخلية وخارجية، تناسبت مع المجهود الحربي الذي بذل، وكان يستدعي تهدئة المواجهة دون انكسار

---

[1] عادل :هلال، **العلاقات بين المغول واوروبا واثرهاعلى العالم الاسلامي**، 120

[2] ابن عبد الظاهر:محيي : **تشريف الايام والعصور**، 95–96؛ طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر والشام**، 199.

[3] ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور**، 67؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 240؛ حجة،شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وفارس**، 263

بمعنى تحقيق انتصار الصمود، فضلاً عن أن نصر تحرير قلعة الروم انعكس على شخص الأشرف قلاوون لكونه بحاجة له أمام الخصوم الداخليين، ولذا فإن الهدنة أو الأمان مع الفارق التكتيكي لكل منها تبقى ضرورة قابلة للاستخدام استناداً إلى الضرورات التي تفرضها المواجهة، وبعد هذا النصر كان أن تأهب السلطان الأشرف قلاوون عام (692هـ/1292م) لإرسال حملة لاستعادة بهسنا من الأرمن ، غير أن رسل ملك أرمينية أسرعوا إلى القدوم إلى دمشق يطلبون عفو السلطان، والصلح، ورضا السلطان عنهم، ومهما طلب منهم من المال والقلاع أعطوه وشفع الأمراء في ثلاث قلاع وهي بهسنا، ومرعش،[1] وتل حمدون، [2] وجاء هذا التسليم بعد أن حاول ملك أرمينيا الصغرى هيثوم الثاني (hethum II)[3] ان يتنصل من دفع الجزية المقررة للدولة المملوكية بعد وفاة المنصور قلاوون، [4] وأمام قوة السلطان الأشرف قلاوون وفتحه عكا ومعاقل الصليبيين على الساحل وجه رسالة إلى الملك هيثوم الثاني (hethum II) يتوعده بان تكون الضربة القادمة له، منذراً إياه بضرورة حمل الأتاوة السنوية وهي

---

[1] .**مرعش:** من حصون الشام الشمالية ذات مياه وزروع وبساتين بينها وبين أنطاكية ثمانية وسبعون ميلاً ، للمزيد ينظر : الأصطخري: إبراهيم، **المسالك والممالك**، 47؛ أبو الفداء: اسماعيل، **تقويم البلدان** ، 262-263.

[2] .**تل حمدون:** قلعة حصينة لها سور جيد البناء وهي على تل عالٍ ولها بساتين ونهر يجري عليها وهي حصينة ، للمزيد ينظر : الاصطخري: إبراهيم ، **المسالك والممالك** ، 47.

[3] .هيثوم الثاني: اعتلى عرش مملكة أرمينيا الصغرى بعد أبيه ليون الثالث (Leon III) عام (688هـ/1289م) ثم إستبد اخوه سماذ (sembad) بالحكم عام (696هـ/1297م) حتى تدخل البارونات والأرمن وارجعوا هيثوم الثاني (Hethum II) للحكم، للمزيد يظر: اسكندر: فايز، **الأشرف خليل بن قلاوون وتحرير قلعة الروم، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط** ، م1/ ق1/ جامعة عين شمس، القاهرة ، 2000-2001/ هامش، 76 .

[4] .ابن حبيب: الحسن بن عمر، **درة الأسلاك**، 1/ ورقة 174؛ أبو عليان: عزمي ، **مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين**، 94؛ حمزة: عادل، **نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك**، 1/ 150.

الجزية التي يأخذها الغالب من المغلوب كرهاً [1] ، وأمام هذه التحولات يبدو أن الملك الأرمني قد أدرك جسامة الخطر الذي يحيط ببلاده من قبل المماليك بعد سقوط قلعة الروم [2]، إلى جانب سقوط المعاقل الفرنجية في بلاد الشام، والتي هزته وجعلته يحسب ألف حساب وشعوره أن هناك حملة قادمة لن تبقي شيئاً مكانه، فأسرع بإرسال البعوث والهدايا للسلطان[3].

لعل ما طرح من صلح وأمانات بين الأشرف قلاوون والأرمن ، قد مكنه لاحقاً من امتلاك زمام المبادرة في إدارة الصراع وضبط إيقاعه بما يحقق أهداف المماليك، فقد راح يستعد لتوجيه حملة جديدة نحو أرمينيا، بعد أن وصلته كتب من نائب حلب الأمير بلبان الطباخي الذي أبلغه فيها أن الملك الأرمني قد تعرض لبعض التجار وأخذ أموالهم ويستأذنه فيه لردع الأرمن، غير أن السلطان كان يريد الخروج بنفسه، وأمام هذا الواقع أسرع الملك الأرمني بإرسال البعوث والهدايا للسلطان، فوصل رسل الملك الأرمني هيثوم الثاني(hethum II) الذين أبدوا استعطافاً للسلطان بأن لا يغزوا بلادهم مقابل مضاعفة الجزية وطلب العفو، [4] الأمر الذي

---

[1] .ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **كنز الدرر**، 8/ 321؛ مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 8؛ Holt, p.m, **The Age of the Crusades**, 105; Rachard Jeam , **The latin Kingdom of Jerusalem** , 430.

[2] ابو عليان: عزمي، **مسيرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك**، 95/اسكندر :فايز ، **الأشرف خليل بن قلاوون وتحرير قلعة الروم، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط**، 1/ق1/ جامعة عين شمس، القاهرة، 2000-2001/ 98-99.

[3] النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 249/ الذهبي: محمد ، **دول الاسلام**، 2/ 218. المقريزي: أحمد، **المقفى الكبير**، 3/ 148. ابو عليان:عزمي، **مسيرة الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين**، 94.

[4] العيني: محمود، **عقد الجمان**، 148/3؛ النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 249؛ الذهبي: محمد ، **دولة الاسلام**، 2/ 218؛ المقريزي: أحمد، **المقفى الكبير**، 3/ 799؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الاولى وايلخانية فارس**، 271.

دفع السلطان لالتقاء رسل الملك الأرمني في دمشق والاتفاق على مضاعفة الجزية وتسليم القلاع الثلاث -كما ذكرنا-[1].

وأمام هذا الواقع الجديد حمل الأرمن ملكهم سمباد (sempad) تبعة تلك الهزائم التي حلت بهم، فعزلوه وعينوا أخاه قسطنطين الأول (costantine I) بدلاً منه وذلك في عام (697هـ/1298م) [2] وأما سمباد (sempad) فقد فر إلى القسطنطينية لاجئاً إلى البلاط البيزنطي، ويذكر أن قسطنطين تمتع بفكر نير، فأجرى مفاوضات مع المماليك، تمخضت عن توقيع اتفاق صلح تضمن البنود التالية:-

1. يعدّ نهر جيحان الحد الفاصل بين الأملاك المملوكية والأملاك الأرمينية. [3].
2. تدخل البلاد الواقعة جنوب النهر في حوزة السلطنة المملوكية .
3. يستمر الأرمن في دفع الجزية للمماليك رمزاً للتبعية والخضوع.
4. يمتنع قسطنطين عن التحالف مع مغول فارس ضد المماليك[4].

وهنا نلاحظ أثر العامل الاقتصادي في إشعال نار العداء بين المماليك وأرمينية الصغرى في القرن الرابع عشر، إذ لجأ ملوك أرمينية إلى مساعدة البأبوية في إحكام الحصار

---

[1] المقريزي: أحمد، **المقفى الكبير**، 3/ 799؛ ابن العماد: عبد الحي، **شذرات الذهب**، 7/ 733 ؛ Holt , p.m , **The Age of The Crusades**, 1056

[2] هلال: عادل، **العلاقات بين المغول وأوروبا**، 273.

[3] أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في اخبار البشر**، 4/ 36؛ ابن الوردي: زين الدين بن عمر، **تتمة المختصر**، 2/ 347؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **مختار الاخبار**، 106؛ ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدرة الزكية**، 8/ 370؛ مجهول، **تاريخ سلاطين المماليك**، 45؛ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه** ،1/ 202-203. ابن دقماق: ابراهيم، **النفحة الزكية**، 104؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 841؛ ابن تغري بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 8/ 89؛ ابن سباط: حمزة، **تاريخ ابن سباط: حمزة**، 1/ 514/513.

[4] ابن كثير: اسماعيل، **البداية والنهاية**، 13/ 332؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 784.

الاقتصادي عن طريق فتح أبواب موانئهم وبخاصة ميناء إياس، للسفن الغربية، وقد دفع ذلك الغرب الأوروبي إلى تحويل جزء كبير من نشاطه التجاري إلى طريق إياس –الجزيرة –تبريز واستعاض التجار الأوروبيون بهذا الطريق بدلاً من طريق المماليك المألوف في الحصول على كثير من متاجر الشرق، ولا أدل على حرص الأرمن على تشجيع التجار الأوروبيين على ارتياد هذا الطريق من تخفيض الضريبة على البضائع المارة بأرمينية من 4% إلى 2% من قيمة البضاعة[1]

ولا شك في أن هذه السياسة التي اتبعها ملوك أرمينية الصغرى قد أغضبت المماليك بعد أن أحسوا فعلاً بتدهور مركز بلادهم في التجارة العالمية بين الشرق والغرب، وبعد أن أدركوا أن ثمة تفاهماً بين الغرب، والمغول، والأرمن، والقبارصة لإحكام الحصار الاقتصادي على دولة المماليك في مصر والشام. إن قوة أو ضعف أي هدنة تحددها ظروف العقد والتوجهات عند الأطراف العاقدة لها– فقد أشرنا إلى الأسباب التي دفعت الأطراف للحرب– وبعد عرض نصوص الهدنة بين الأرمن والمماليك وجدنا أن ما سبقها من ظروف كان للإطاحة برؤوس الصراع وكأن الهدن بهذا المعنى تشكل حالة خلاصية لأجسام وهياكل سياسية معيقة في عقد الهدن وتجاوز ظروف الحرب، وإلى جانب القيمة الاقتصادية لهدنة قسطنطين مع المماليك، ببعدها الاقتصادي والجغرافي، والأمني، وحتى السياسي، فإن هذه الهدنة شكلت بالنسبة للمماليك نقطة تحول مهمة على صعيد امتلاك قدرة المناورة في صوغ الهدن، لا حسب ظروف الميدان

[1] Heyd, Histore du commerce du levent Aumayan , Age.p.85

فقط، بل حسب طبيعة الخريطة السياسية الفاعلة والمؤثرة التي ترسم معادلة ما بعد هدوء المعارك والصراع[1]

وفي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأمام اضطراب واقع الدولة المملوكية، وانصراف الحكام الذين حكموا لأهداف وغايات ذاتية، كان لا بد لهذا السلطان وتحديداً في ولايته الثانية والثالثة أن يلتفت إلى الأخطار الخارجية بنفس مستوى تعامله مع القلاقل الداخلية، وتحديداً مع مملكة أرمينيا الصغرى التي كانت تشكل مصدر إزعاج دائم للدولة المملوكية، سواء في البعد السياسي أو طبيعة التحالفات التي كانت تنظمها مع القوى المركزية في المنطقة، سواء المغول أو بقايا الفرنج، إضافة إلى البعد الاقتصادي وما كانت تمثله تلك المنطقة من أهمية اقتصادية كمعبر تجاري من خلال موانئها، إضافة للعب أرمينيا وحكامها دور المخلب للقوى الأخرى التي كانت تعمل على استدراج المماليك على الدوام لنزاعات تبعدهم عن الدور المركزي في المواجهة[2]

لم يغادر قادة المماليك بلاد الأرمن إلا بعد إعادة الاتفاق مع هيثوم الثاني (hethum II) على إقراره بأن يكون للمسلمين من نهر جيحان إلى حلب، وللأرمن من النهر

---

[1] ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدرة الزكية**، 8/ 369؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 837؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، 285.

[2] أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في اخبار البشر**،7/ 54؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **مختار الاخبار**، 120؛ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه**، 1/ 238؛ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **درة الاسلاك**، 1/ ورقة 240 ؛ب. المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 922-923؛ ابن تغري بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 9/ 154؛ ابن سباط: حمزة، **صدق الاخبار**، 2/ 576؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، 236.

إلى ناحيتهم، وأن يعجلوا في دفع ما تأخر عليهم من الجزية مضاعفة [1] وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن بعض الهدن والاتفاقات إذا ما تعرضت للخرق فإنها قد تستدعي إعادة الإقرار والتفعيل من خلال القوة غير المفرطة لإعادة الطرف الخارق لها إلى الالتزام، والغريب في مثل هذه الظروف أن الخصم قد يطلب ممارسة بعض الأعمال التي قد تخدم سياساته الخاصة كما فعل هيثوم (hethum II) عندما طلب من قادة المماليك إراحته من خمسة من نواب القلاع الأرمينية انتقاماً منهم بعد تسليمهم قلعة تل حمدون، ولم ينج إلا صاحب قلعة نجمية، وذلك بسبب إسلامه، بمعنى أن أي اتفاق يحتاج لقوة حماية بغض النظر عن شكل تلك الحماية[2]

لقد أدرك المماليك أن مملكة أرمينيا لم تعد قادرة على فعل ما كان باستطاعتها فعله في الماضي، حيث عدل السلطان الناصر محمد عن إرسال حملة إلى أرمينيا، إلا أنه طلب من اوشين (oshin) ملك أرمينيا ضرورة تسليم البلاد والقلاع التي استولى عليها من المماليك في عهد السلطان المنصور لاجين، وعندما امتنع أوشين (oshin) عن الاستجابة لهذا الطلب أرسل الناصر محمد حملة بقيادة الأمير شهاب الدين قرطاي عام (720هـ/1320م) ضد أرمينيا حيث حاصروا سيس وخربوها مع غيرها من البلاد والقلاع الأرمينية ثم عادوا محملين بالغنائم الوفيرة[3]، وكان أن توفي أوشين (oshin) بعد الغارة، فخلفه ابنه ليو الخامس (leuo v) وكان صغيراً وقد أحس الوصي على العرش بخطر المماليك، فأرسل إلى البابا يوحنا الثاني

---

[1] ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدر الفاخر**، 9/ 110-111؛ابن ابي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**، 2/ 92-93؛العيني:محمود، **عقد الجمان**، **حوادث** 699-301/707؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، 373.

[2] ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدر الفاخر**، 9/ 111؛المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ق3/300-302.

[3] عاشور، سعيد، **سلطنة المماليك ومملكة أرمينيا الصغرى**، بحث نشر في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، سنة1968.

والعشرين(John XXII) يطلب منه المعونة ضد المسلمين، وكان أن استجابت البأبوية لاستغاثة ملك أرمينيا الصغرى، فأرسل البابا مرسوماً جديداً لحظر التعامل التجاري مع مصر عام (722هـ/1322م) ثم مرسوماً آخراً عام (723هـ/1323م) للغرض نفسه مما أضر بتجارة مصر ضرراً بالغاً[1] لكن "الناصر محمد" لم يستطع السكوت على هذا التمادي والاستفزاز من القوى الغربية ضد سلطنة المماليك، فأرسل قواته للإغارة على المدن الأرمينية، وإحراق أذنه ،وطرسوس وإياس دون استطاعة البابا أن يعمل شيئاً سوى إرسال بعض الأموال لمساعدة الأرمن، فضلاً عن الاتصال بمغول فارس طالباً منهم الإسراع في نجدة أرمينيا الصغرى[2] وهكذا استمر تهديد وملاحقة المماليك عاماً بعد عام دون أن يحصل ليو الخامس (leuo v) على معونة تذكر من الغرب الأوروبي أو المغول، الأمر الذي دفع ليو الخامس (leuo v) إلى إرسال رسالة للقاهرة من خلال قسطنطين(costanten) بطريرك الأرمن سفيراً إلى مصر يحمل الهدايا والأموال للسلطان طالباً الصلح، واعتذر الرسول عما كان من متملك سيس، فوافق السلطان على عقد هدنة مع أرمينيا والتي كان من أهم نصوصها:

---

[1] Heyd: **op, IT**. P.p 42–43.

[2] ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **الدرالفاخر**،397/9؛ ابن الوردي: زين الدين بن عمر، **تتمة المختصر في اخبار البشر**،439/2؛ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه**، 260/2؛ ابن سباط: حمزة، **صدق الاخبار**، 2/ 655؛ الدويهي: اسطيفان، **تاريخ الازمنة**، 173؛ أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر**، 4/ 115/ 119؛ ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **كنز الدرر وجامع الغرر**،379–399؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، 377–379.

1. تعهد ليو الخامس (leuo v) بدفع جزية سنوية ضخمة قدرها خمسون ألف فلورين، أي ما يوازي مائة ألف درهم، بالإضافة إلى نصف دخل المكوس التي تجمعت من ميناء إياس من التجارة البحرية، ونصف ما يجبى من ثمن الملح[1] .
2. تعهد السلطان الناصر محمد بإعادة بناء مدينة إياس وغيرها من الحصون التي هدمت وعلى نفقته الخاصة .
3. تستمر الهدنة كما ذكرنا خمسة عشر عاما، تتوقف خلالها الأعمال الحربية[2] .

إن مضمون هذه الهدنة يدلل بشكل واضح على تفوق المماليك رغم كل الظروف وهذا مكنهم من الإبقاء على الشروط نفسها، ذات البعد الاقتصادي أولاً والأمني ثانياً في معادلة الصراع مع أرمينيا، كما أن مدة الهدنة تدلل على تلك القناعات التي تبلورت عند المماليك من أن الاستقرار سيسود بعد أن فقد الأرمن كل إمكانات التحالف مع القوى الإقليمية بعد أن دخل المغول بقيادة أبي سعيد على خط التحالف مع المماليك دفاعاً عن الإسلام، وما تلا هذا التوجه من عقد هدن ومعاهدات دفعت أرمينيا لإعادة الحساب في سلوكها عبر الالتزام بكل استحقاقات الهدنة[3] وقد حرص ليو الخامس (leuo v) بعد عقد الهدنة على تقديم الحمل أو الضريبة السنوية المفروضة على ملوك أرمينيا الصغرى، ومن جهته فقد كان السلطان يرسل سنوياً أحد كبار الأمراء إلى أرمينيا لاستلام الحمل من متملك سيس، بدليل ما ذكر المقريزي من أنه تم القبض على الأمير بكتوت القرماني في عام

---

[1] المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ ق1/ 211؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، 388.

[2] المقريزي: أحمد ، **السلوك** ، 2/ق1/212.

[3] المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ق1/ 209–210؛ أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في اخبار البشر**، 4/ 92–96.

(726هـ/1327م) لامتناعه عن التوجه لإحضار حمل سيس[1] .

كما لوحظ تساهل السلطان الناصر في معاملة الأرمن رغم كل ما حدث، بعدما لمس ما حل ببلادهم من خراب، فأمر بإعفائهم من الخراج المقرر عليهم لمدة ثلاث سنوات كما عقد مع ليو الخامس (leuo v) ما يشبه الملحق للهدنة، تعهد فيه الأخير بعدم الاتصال بالغرب الأوروبي، وعدم قبول أية مساعدة تأتيه من الخارج[2] .

إن قراءة تحليلية لنصوص هذا الصلح بين السلطان الناصر محمد وأرمينيا تؤكد أن طبيعة الصراع كانت تفرض نوعاً من التهدئة والصلح، نظراً لحساسية موقع بلاد الأرمن في هذا المثلث الجغرافي المعقد، الذي كان يفرض على كل الأطراف النظر إلى منظومة المصالح وتحديداً الاقتصادية، والتجارية بعين الاعتبار، ولعل أوروبا والغرب كانوا يدركون هذه الأهمية، بدليل أنهم حتى اللحظة الأخيرة لم يكونوا راغبين في قطع الصلات والعلاقات مع الأرمن، وإن اقتصر دعمهم في الفترة الأخيرة على الدعم المادي، كما أن هذا الصلح كان مؤشراً واضحاً على قوة المماليك في المنطقة من حيث اتساع السيطرة والتأثير فكان أن التزم الأرمن ببنود الصلح ودفع الجزية السنوية، فضلاً عن التنازل عن بعض القلاع والحصون لمصلحة سيادة الاستقرار في المنطقة، بغض النظر عن القوة المسيطرة، ومع ذلك بقي ليو الخامس (leuo v) ملك أرمينيا متحفزاً بانتظار أي دعم غربي وتحديداً من فيليب السادس(Philip VI) ملك فرنسا التي كانت تستعد لحملة صليبية على الشرق مما شجع ملك الأرمن على خرق الاتفاقية التي عقدها مع المماليك، لا بل تمادى وأغار على بعض البلاد الإسلامية في بلاد الشام، الأمر الذي دفع السلطان الناصر محمد لإرسال

---

[1] المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ق1/251-؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر والشام**، 284.

[2] طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر والشام**، 286.

حملة بقيادة علاء الدين الطنبغا نائب حلب ضد أرمينيا عام (736هـ/1336م)، وقد ظلت الحملة تفعل فعلها في الأراضي الأرمينية حتى وافق الأرمن على التنازل عن جزء كبير من بلادهم [1] ومع ذلك لم تنقطع حملات المماليك على بلاد أرمينيا حتى بقية القرن الرابع عشر، إلى أن استطاع السلطان الأشرف شعبان أحد أبناء الناصر وخليفته أن يقضي قضاءً تاماً على دولة أرمينيا الصغرى[2] .

- **الهدن والمعاهدات مع سلاجقة الروم:**

إن تاريخ المنطقة في ظل المماليك كان قد شهد إلى جانب شراسة الصراع محاولات عديدة، لعقد الهدن والمصالحات مع عدد من القوى الفاعلة والمؤثرة ومن بينها سلاجقة الروم، خاصة بعد تحول المماليك لقوة فعل ناهضة، وظهر ذلك في رغبة زعماء سلاجقة الروم عقد تحالف مع السلطان بيبرس، حين قدم عليه رسل السلطان عز الدين كيكاوس الثاني أحد سلاطين سلاجقة الروم في الأناضول، وظهر هذا التحالف في مبادرة كيكاوس للتنازل عن نصف بلاده للسلطان متلمساً التحالف والمساعدة ضد أخيه قليج

---

[1] أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في اخبار البشر**، 4/ 119/115؛ ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **كنز الدرر وجامع الغرر**، 397-401؛ ابن حبيب: الحسن بن عمر، **تذكرة النبيه**، 2/ 267؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 431؛ سرور: محمد جمال، **دولة بني قلاوون في مصر**، 231.

[2] المقريزي: أحمد، **السلوك**، 3/ ق1/ 237-238؛ رانسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 752؛عاشور: سعيد، **الحركة الصليبية**، 2/ 1160.

أرسلان، حاكم قونية وضد هولاكو حيث أكرمهم السلطان، وجهز جيشاً لنجدة كيكاوس من ثلاثمائة فارس، وأقطعه آمد[1] من بلاد السلاجقة[2] .

ويلاحظ أن هذا السلوك من جانب سلاجقة الروم، جاء على قاعدة التحالف الطوعي كسلوك استباقي لقراءة متوقعة فيما يتعلق بتحركات الخصوم من مغول وفرنجة لضمان الحيادية على الأقل، وهذا يعتمد على جملة من المعطيات الداخلية والإقليمية تفيد الجهات المتحالفة وتحميها من الانزلاق نحو المواجهة التي قد تكلف ثمناً باهظاً وهذا حال دولة سلاجقة الروم التي كانت تعي الخريطة السياسية للمنطقة، وقد تكون لهذا الشكل من التحالف انعكاسات مباشرة وهذا ما حصل حين ورد للسلطان بيبرس كتاب صاحب الروم يخبره بأن جيش هولاكو ولى هارباً، بعد سماعه بالاتفاق بين الجانبين[3] وهذا يؤكد أن قوة أية هدنة قد لا تكون في النصوص وإنما في الظروف المحيطة بعقد الهدنة والتي تحتاج أحيانا للنجاح مقدمات نفسية وجيوسياسية تتعلق بالإقليم، لأن الهدن تعقد عادة بعد الهدوء، والتزام الأطراف بقواعد الصلح التي قد يسوقها الوسيط أو الراعي.

ويذكر أن منطقة سلاجقة الروم الواقعة شمال أرمينيا كانت دائماً مصدر قلق لأرمينيا التي كانت تعدّهم خنجراً في خاصرة أرمينيا، نظراً لتميز علاقاتهم مع المماليك جنوباً في زمن الظاهر بيبرس[4] ففي عام (662هـ/1264م) حاول ملك أرمينيا عقد لقاء مع سلطان

---

[1] آمد: مدينة حصينة من بلاد الجزيرة، يحيط بها نهر دجلة من جوانبها الا من جهة واحدة على شكل الهلال، ينظر : القزويني، زكريا، **اثار البلاد وأخبار العباد**، 391؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، 77.

[2] ابن عبد الظاهر :محيي ، **الروض الزاهر**، 125؛ النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 30، 56-57؛المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 469-470.

[3] النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 30، 57؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 470.

[4] حجة: شوكت، **العلاقات بين دولةالمماليك وإيلخانية فارس**، 193.

سلاجقة الروم ركن الدين قليج أرسلان[1] وذلك في محاولة لتحييد دور سلاجقة الروم، وهذا دفع هيثوم (hethum) ملك أرمينيا لاستصحاب قاضي بلاد هولاكو وبعض المغول لفرض نوع من المصالحة السياسية المؤقتة[2]، لضرب العلاقة بين سلاجقة الروم والمماليك والتي انتظمت في شكل تحالف، وأرادت أرمينيا من خلال هذا السلوك حماية ظهرها شمالاً، ويبدو أن هذا اللقاء قد حقق شيئاً من الإتفاق على حياد سلاجقة الروم مرحلياً بدون أي تعهد يهدف لجر سلاجقة الروم للمواجهة مع المماليك[3] ويبدو أن سلوك أرمينيا هذا قد خدم المماليك لاحقاً حيث إن سلوك أرمينيا والخاص بمحاولة استمالة سلاجقة الروم دفعهم أكثر للحياد لمصلحة المماليك، وبالتالي كسب السلطان بيبرس حليفاً، ولكن ليس بالحماسة التي يريدها، بدليل أنه في عام (675هـ/1276م) قويت عزيمة الظاهر بيبرس على دخول بلاد الروم الخاضعة لسيطرة مغول فارس، وذلك بدعوة من أمراء بلاد الروم المعارضين لمعين الدين البروناة والذين حرضوه على القدوم لبلاد الروم[4] .

- **الهدن والمعاهدات مع بيزنطة**

لقد تميز المماليك البحرية بمهارة سياسية عالية دفعتهم إلى صوغ الحلفاء والأصدقاء ولمواجهة أعدائهم الذين هددوا دولتهم تهديداً مباشراً في مصر وبلاد الشام، وعملوا على نسج التحالفات، فقد حالفوا كما ذكرنا مغول القبجاق ليضربوا بهم مغول فارس، كما حالفوا البيزنطيين

---

[1] بيبرس المنصوري: الدوادار، **مختار الاخبار**، 27؛ **زبدة الفكرة**، 88؛النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 30، 259-260؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، 648-664/684.

[2] النويري: أحمد، **نهاية الارب**، 30، 260.

[3] بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 88؛ العيني: محمود، **عقد الجمان، حوادث** 648-664/384.

[4] ابن العبري: غريغوريوس، **تاريخ مختصر الدول**، 287؛ اليافعي:عبد الله، **مراة الجنان**، 4/ 174؛ الهمذاني: رشيد الدين، **جامع التواريخ**، م2/ 2/ 61.

لمواجهة الفرنج[1] وبهذا تمكن المماليك من رسم معادلة المنطقة ، مما مكنهم لاحقاً من تحقيق أهدافهم ولو في حدودها الدنيا، ففي عهد السلطان بيبرس توطدت العلاقات بين مصر وبيزنطة ولما كانت مصلحة بيبرس وبلاده تقتضي أن يظل على صلة بمغول القبجاق جنوب روسيا كحليف استراتيجي، بعد أن قام هولاكو بفصل هذه المنطقة عن المماليك من خلال احتلاله العراق وقسماً كبيراً من آسيا الصغرى، اتجه السلطان بيبرس إلى الامبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن (Michael VII) وأجرى معه مفاوضات أدت إلى عقد اتفاق نص على إبقاء المضائق مفتوحة أمام التجارة المملوكية مع بلاد القبجاق بحكم الجغرافيا الخاضعة لبيزنطة، وذلك لإبقاء الصلة بين مصر المملوكية وجنوب روسيا عن طريق البحر[2]

إن رغبة بيبرس في إقامة علاقات مع بيزنطة ظهر عام (659هـ/1261م) حيثما وصل إليه رسل الامبراطور يبذلون المودة والمساعدة منه، حيث عقد معه بيبرس هدنة، وعقد معه معاهدة دفاعية عام (660هـ/1262م) جوهرها يقوم على الحياد، وعدم تعويق حركة رسل السلطان[3] إلا أنه في عام (662هـ/1263م) لجأ إلى عرقلة مرور رسل السلطان أثناء عبورهم البلاد في طريقهم إلى زعيم القبيلة الذهبية، وأمام هذا السلوك غضب السلطان بيبرس وجمع رجال الدين وأشهدهم على مخالفة الإمبراطور للإيمان والعهود المعقودة بين الطرفين ويبدو أن

---

[1] عاشور :سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، 264.

[2] المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 469/ 474.؛ ابن عبد الظاهر :محيي ، **الروض الزاهر**، 88؛حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، 143؛ طقوش: سهيل محمد، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، 146.

[3] المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ ق2/ 514.

هذا الأمير قد علم بخطته واستدركه وأطلق سراح الرسل وسمح لهم بالسفر إلى بلاد بركة خان، وبعث في الوقت نفسه الهدايا إلى مصر ليسترضي السلطان[1].

واستمرت العلاقات بين المماليك والإمبراطورية البيزنطية في عهد السلطان المنصور قلاوون، الذي أبدى حرصاً على تمتين أواصر العلاقات والسلام مع الملوك المعاصرين له، والذين يتفقون معه في سياستهم الخارجية تجاه القوى المحيطة، وهذا بحد ذاته قوى أواصر الصداقة بينهم[2] .

فعندما ولي السلطنة أرسل سفراءه إلى الإمبراطور ميخائيل الثامن (Michael palaeologu VII) برئاسة الأمير ناصر الدين الجزري، وعضوية بطريرك الأقباط حنا السابع (John VII) لإعلامه بتوليه السلطنة، وليعرب له عن رغبته في الإبقاء على صداقة الإمبراطور ومودته مؤكداً حرصه على دوام العلاقة بين الطرفين، ويطلب منه تسهيل سفر رسله المارين ببلاده وأن يبعث إليه يمينا يثبت ذلك له مع الرسل من حلف، وكان أن تضمنت الهدنة التي عقدت بين السلطان المنصور وميخائيل الثامن (Michael palaeologu VII) في عام (680هـ-1281م) عدداً من النصوص التي ركزت على عدم جواز محاربة أحدهما للآخر، وأن يساهما في حرية التجارة في بلادهما، وأن ينتقل البلدان بحرية[3] .

---

[1] حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، 144.

[2] ماير: وليم، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، 64-65؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر والشام**، 199.

[3] ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الايام والعصور**، 45-55؛ أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في اخبار البشر**، 160؛ النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 127؛ القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 14/ 76؛ كرد: محمد علي، **خطط الشام**، 2/ 122؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، 199.

ولعل من المفيد في هذا السياق وللتأكيد على علاقات المودة بينهم السلطان المنصور قلاوون وميخائيل الثامن (Michael palaeologu VII) ولتأكيد حيادية الإمبراطورية البيزنطية في أية نزاعات قد تظهر نرى أنه من الضروري أن نسوق بنود الهدنة بين الطرفين كدليل واضح على جدية النوايا بين الطرفين حيث تضمنت:

1. التأكيد على المحبة والود بين الطرفين من خلال الاتفاق المكتوب بلا تشويش.
2. عدم القيام بأية أعمال حربية على بلاده، أو قلاعه، أو عساكره، ولا يحرضون أي طرف على حربه، مقابل أن يحفظ السلطان لمملكتهم هذه الحقوق.
3. أن يتحرك السفراء والتجار من ديار السلطان إلى حيث شاءوا بلا مانع أو معوق، وأن لا يحصل للتجار من بلاد السلطان أي جور أو ظلم، ولهم الحق في فتح متاجرهم، وكذلك حال تجار إمبراطورتينا.
4. أن يدفع التجار من كلا الطرفين الضرائب المفروضة بلا عائق، وحق العبور لكلا الطرفين .
5. حرية التصرف مع النصارى من كلا الطرفين دون عوائق.
6. في حال ظهور قراصنة ودفع غرامات يجب إعلام الأطراف بذلك لرد تلك الغرامات، أو التعامل معها بالشكل المناسب[1] .

[1] ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 7/ 230-K239 179- 278؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 998/665؛ ابن تغري بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 8/ 120.

وقد شكلت هذه الهدنة جسراً قوياً لتلك العلاقة ، ومما يؤكد ذلك هو قيام أندرونيقوس الثاني (Andronicus II) [1]، والذي ولي عرش بيزنطة قد سار على سياسة والده ميخائيل الثامن (Michael palaeologu VII) في التقرب من المماليك والتماس ود السلطان المملوكي، فأرسل هدية تشتمل على حمل من الحرير الأطلس، وأربعة أحمال من البسط، فسر قلاوون بتلك الهدية سروراًكبيراً غمر الرسل بالهدايا[2] .

إن دلالات العلاقة بين المماليك وبيزنطة، واستنادا لنصوص الهدنة التي وقعت بين الطرفين تظهر أن البيزنطيين لم يكونوا ذوي نزعة عدائية تجاه المماليك بقدر أنهم أرادوا ومن خلالها إيجاد تبادلية في العلاقة بما يتيح لبيزنطة الحفاظ على الذات، ومما يؤكد ذلك أنها أظهرت رغبة بيزنطة في التزام الحياد الايجابي وضمان عدم مهاجمة الفرنجة لها، فضلاً عن رغبتها في دوام المصالح المتبادلة مثل التجارية والاقتصادية، وهذا ينطبق على المماليك لأنهم في حاجة إلى ممر استراتيجي نحو الجنوب الروسي وتحديداً منطقة القبجاق، وما إلحاح السلطان قلاوون لدوام هذه العلاقة إلا تعبيراً عن سعة أفق بصيرته المستقبلية في ضمان أن لا تقع بيزنطة تحت تأثير القوى الأخرى.

- **الهدن والمعاهدات مع غرب أوروبا**

لا يمكن فصل واقع أوروبا عن الحال السائد في بلاد الشام ومصر، فقد كانت غرب أوروبا هي الشريان الأساس للحملات الصليبية، إلا أنه وفي ظل العلاقات السياسية لا

---

[1] **اندرونيقوس:** هو احد زعماء بيزنطة والذي خلف الإمبراطور ميخائيل الثامن وذلك في كانون الاول من عام (1286–1332م) وكان يسمى بالدوقس ينظر: أبو الفداء: اسماعيل، **المختصر في اخبار البشر**، 160.

[2] ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الايام والعصور**، 54؛ النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 127؛ القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 14/ 76.

وجود لمفاهيم العداء المطلق، أو السلام المفتوح، وعليه فإن العلاقات بين المماليك ودول جنوب غرب أوروبا لم تكن دائماً تأخذ الطابع العدائي، بل العكس فقد ارتبطت بمعاهدات وهدن ذات بعد سياسي واقتصادي حيث اجتذبت موانئ مصر الجمهوريات التجارية الغربية كالبندقية وجنوة وبيزا، نظراً للتكاليف الزهيدة للبضائع القادمة من الشرق الأقصى عبر هذا البلد، بالإضافة لسهولة الحصول على حاصلات الأراضي المصرية ومنتجاتها الصناعية، فضلا عن الأرباح الكبيرة التي كانت تتحقق بتوريد السلع الأوروبية إلى مصر والتي كانت بحاجة إليها مثل الخشب والحديد[1] .

وهكذا نلاحظ أن دولة المماليك ارتبطت بصلات سلمية وتجارية مع بعض الإمارات الأوروبية خاصة تلك الواقعة على حوض البحر الأبيض المتوسط بشكل قائم على المصالح المشتركة [2] وهذا يعطي للوهلة الأولى انطباعاً واضحاً أن العلاقات مع أوروبا لم تكن صفتها الحروب والمنازعات، بل العكس نرى أن هناك معاهدات واتفاقات ذات بعد اقتصادي مشترك ربطت بين الأطراف المختلفة في المنطقة، وقد حالف السلطان بيبرس ملكي صقلية ونأبولي مانفريد بن فريدريك الثاني (Manfred of fredireck II) (656-665هـ/1258-1266م) [3] وشارك كونت إنجو (icountanjouscharle) (665-684هـ/ 1266-1285م)

---

[1] طقوش: محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، 147.

[2] ابن عبد الظاهر :محيي ، **الروض الزاهر**، 200-352/201؛ ابن شداد: عز الدين، **الملك الظاهر**، 306-308؛ اليونيني: موسى، **ذيل مراة الزمان**، 1/ 438.

[3] العيني: محمود، **عقد الجمان، حوادث**، 648-290/664؛ حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك وإيلخانية فارس**، 144.

والذي جاء بعده مقدم الجنويين والفونسو العاشر ملك قشتالة (alfonso X) (650-683هـ/ 1252-1284م)[1]

ويلاحظ استمرار علاقة الود بين الطرفين في عهد البيت الأنجوي الذي تولى الحكم في صقلية عام (664هـ-1266م) حيث أرسل شارل أنجوي (Charleanjous)، هدية إلى السلطان بيبرس، وكتاباً على لسان أحد كبار موظفيه يقول فيه "**بأن مخذومه أمره أن يكون أمر الملك الظاهر نافذاً في بلاده، وأن أكون نائب الملك الظاهر كما أنا نائبه**". ويبدو أن هدف إرسال هذا الكتاب هو عقد معاهدة تجارية بين دولة المماليك البحرية وصقلية[2] .

ولعل من المفيد جداً هنا التذكير بمستوى الحنكة التي تمتع بها السلطان الظاهر بيبرس مع حكام صقلية، حيث كانت المعاهدات التجارية بمثابة الفلتر المنقي للعلاقات بين الطرفين فضلاً عن ممارسة سياسة تحييد هذه القوى والإمارات لإدراك حكام مصر لشدة وشراسة المعركة مع القوى المركزية، وهذا ظهر لاحقاً في العلاقات والمعاهدات التي عقدت مع الجمهوريات الإيطالية كمراكز فاعلة في الدعم والتمويل لأطراف الصراع، حيث ارتبطت كل من البندقية، وجنوة، وبيزا بعلاقات تجارية مميزة مع دولة المماليك البحرية[3] .

---

[1] ابن عبد الظاهر:محيي ، **الروض الزاهر**، 201؛ ابن شداد: عز الدين،**الملك الظاهر** 308.

[2] المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 513؛عاشور: سعيد، **العصر المماليكي**، 266-267؛ حسن يوسف: إبراهيم، **البحرية في عصر سلاطين المماليك**، 199-200.

[3] طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، 148.

وظهر هذا بشكل مميز في سلوك البنادقة الذين كانوا يضاعفون رحلاتهم التجارية مع مصر سنة بعد أخرى مع نمو تجارتهم بشكل ملحوظ، وهذا ظهر في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي حيث امتلكوا فندقين كان يشرف عليهما ديوان الحكومة المصرية [1].

وكذلك هو حال جنوة وبيزا اللتين ارتبطتا أيضا بمعاهدة تجارية مع دولة المماليك البحرية شأنها شأن البندقية وكانتا تنميان تجارتها مع المماليك باستمرار، حيث كان لكل جمهورية قنصل في المدن، والموانئ الكبرى، يرعى مصالحهم، ويعهد بحماية رعاياهم وأموالهم[2] .

وإذا كانت العلاقات التجارية بين الجمهوريات الإيطالية ودولة المماليك البحرية قد تأرجحت بين المشاحنات والهدوء، وفقا لتفاعلات الظروف السياسية والقتالية فإن الوضع قد اختلف مع الإمارات المسيحية في أوروبا الغربية وتحديداً إمارات (قشتالة، وأرغونة، وإشبيلية) في إسبانيا، ونظراً لحرص هذه الإمارات المسيحية في إسبانيا على عدم وصول نجدات من دولة المماليك إلى المسلمين في إسبانيا، قد دفع ملوكها إلى مسالمة المماليك حيث تبودلت الهدايا بينها وبين مصر، وكان لسان حالها يقول ضرورة مشاغلة الدولة المملوكية في المسائل التجارية بهدف إعاقة التفكير في الجانب القتالي في محاولة لاستخدام الورقة الاقتصادية والتجارية لأغراض سياسية غير ظاهرة، وهذا ما دلت عليه التصرفات التي نهجها حكام هذه الولايات الذين حظروا بيع مصر عدداً من السلع، وتحديداً السلع ذات الأهمية والتأثير في البنية التحتية للدولة

---

[1] هايد: ف،**تاريخ التجارة في الشرق الادنى**، 2/ 72-P76 علي : السيد، **العلاقات الاقتصادية** ،78؛ سرور: محمد جمال، **دولة بني قلاوون**، 325-326؛ براور: يوشع، **الاستيطان الصليبي**، 447؛ النقاش، **العلاقات الاجتماعية**، 182؛ رينيه:جروسيه، **الحروب الصليبية**، 105؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**. 149.

[2] القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 5/ 406؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، 149.

المملوكية، وإذا كانت التجارة مع مصر مباحة لرعايا ملك أرغونة، فإنه كان محظوراً عليهم أن يبيعوا المسلمين مواد بناء السفن أو سفنا جاهزة، وكانت هذه التجارة موضوعاً لإنذار رسمي وجهه البابا جريجوري العاشر (Gregory X) في عام (673هـ-1274م) إلى برجوازية مونبيليه في فرنسا كما وجه إنذاراً مماثلاً إلى ناربون، مما يدلل على أنه كانت لهذه المدن علاقات تجارية مع مصر [1] .

ويذكر أن جيمس الأول(Jemes I) ملك أرغون، أصدر في عام (673هـ-1274م) مرسوماً يحظر تصدير المعادن، والخشب، والأسلحة، والمواد الغذائية إلى مصر، كما ارتبطت مصر وانجلترا بعلاقات تجارية عن طريق ناربون وبوردو،[2] ولا بد هنا من التأكيد على أن ملوك غرب أوروبا اسبانيا سواء الفونسو العاشر (alphonso X) الملقب بالعالم أو الحكيم، والفونس (alphonse) ملك قشتالة، وجيمس الفاتح (jemes) ملك أرجون، كانوا قد نهجوا كما ذكرنا سابقاً نهج عقد المعاهدات، كما هو حال ملك صقلية لاعتبارات اقتصادية وسياسية ظهرت لاحقاً في مستوى الثراء الذي تمتعت به تلك المراكز التجارية[3] .

وهكذا يلاحظ أن السلطان بيبرس، قد ظل ظافراً بعلاقات مع جميع أعدائه وفي المستويات كافة، ولم يتوقف عن أي مسلك لبلوغ غاياته الحربية والاقتصادية وكثيراً ما كان يعد وعودا كاذبة، ويكتب كتبا مزورة ليحمل فيها أعداءه قواد الحصن على الاستسلام له[4].

---

[1] هايد: ف، **تاريخ التجارة في الشرق الادنى**، 25 ؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، 150.

[2] هايد: ف، 2/ 72-76.؛ المقريزي: أحمد، **الخطط**،244/1.

[3] سعيد : ابراهيم حسن، **البحرية في عصر سلاطين المماليك**، 200.

Lane poole: **A historyof Egypt in the middle ages**.p281.

[4] كرد علي: محمد، **خطط الشام**، 2/ 116.

يتبين لنا مما سبق:

1. لقد شهدت فترة حكم السلطان بيبرس قيام علاقات تجارية ذات طابع سياسي مع بعض القوى الغربية الأوروبية.
2. لاحظنا أن المعاهدات والعلاقات بين المدن الايطالية ودولة المماليك تأرجحت بين المشاحنات والهدوء.
3. يبدو أن عهد بيبرس لم يشهد كثيراً من المعاهدات مع أوروبا نظراً لانشغاله في المواجهة المباشرة مع الفرنجة المدعومين من الغرب.

ويبدو أن السلطان المنصور قلاوون سار على منوال سابقه السلطان بيبرس فتابع بعين يقظة تقدم الحياة التجارية ، وأبرم مع الجنويين معاهده تجلى فيها تصميمه الواضح على تحقيق رغبات التجار الأجانب حيث أنه في عام (685هـ/ 1286م) كان قد وقع معاهده تجاريه حربية مع جنوه وقشتاله ، وصقليه ، ويبدو أنه كان قد تكفل بأن يجذب إلى بلده المدن التجارية الإيطالية كتعبير عن الرغبة في إحداث نشاط تجاري اقتصادي لتجاوز بعض المعيقات المادية والسياسية في آن واحد، كما فتح البنادقة عدة امتيازات سهلت عليهم المتاجرة مع مصر ، وتعهد لهم بحماية رعاياهم وأموالهم[1] ، ويلاحظ هنا أن ميدان الصراع قد اتجه بصيغ تحالفية وببعد اقتصادي وسياسي إلى أوروبا وتحديداً إلى الإمارات الإيطالية والإسبانية التي كانت معنية بهذه الصلات مع المماليك، على اعتبار أن مصر كانت حلقه

[1] ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور**، 165-167؛ سرور: محمد جمال، **دولة بني قلاوون في مصر**، 339؛ زقلمة: أنور، **المماليك في مصر**، 69؛ ماير :وليم، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، 64.

مركزية في التجارة بين المشرق والغرب[1]، فضلاً عن أنها معبر إلى الديار المقدسة في نظر أوروبا التي كانت تتطلع بكل مشاربها الدينية إلى استعادة بيت المقدس، ولهذا نرى أن ملوك وزعماء أوروبا لم يكونوا معنيين بحسم الأمور وتحديداً فيما يتعلق بشكل التحالفات بالاتجاهين، سواء مع مماليك مصر زمن السلطان المنصور قلاوون أو مع الصليبيين والمغول لاحقاً لإدراكهم لطبيعة الصراع الذى لم ولن يحسم بعد ، وربما يؤكد هذا التصور ما كان يجري من محادثات سرية مع المغول زمن غازان دون علم المماليك بانتظار حسم الأمور[2].

إن حرص السلطان المنصور قلاوون على كسب ود أوروبا بجنوبها وغربها كمراكز للثقل الاقتصادي ، جعله يقبل تبادل الرسائل والهدايا مع بعض الإمارات المسيحية بإسبانيا حيث أرسل الفونس صاحب قشتالة (Alfons of Castile) عام (681هـ /1281 م) رسولين إلى السلطان المنصور قلاوون، ومعهم هدية من الخيل والبغال فأحسن السلطان ضيافتهما وأجزل لهما من العطايا[3]، ولم تقتصر العلاقة بين قلاوون والفونس على تبادل الرسائل بل تجاوزا إلى حد إبرام معاهدة دفاعية بين الطرفين في عام (680 هـ/ 1282م). ذات مضامين حياديه تبقى صلات مصر مفتوحة مع أوروبا في أشد الأحوال حلكة، على قاعدة عدم التدخل في شؤون الآخرين[4] وكانت إمارة أرجون أيضاً من بين الإمارات الإسبانية المسيحية التي ارتبطت بعلاقات

---

[1] المقريزي: أحمد، **الخطط**، 197/1؛ القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 3/ 300.
Heyd: **Histoire de commerce du Levant Aumayan Moyen Age**. Vol. II, pp. 59-60

[2] المقريزي: أحمد، **الخطط**، 224/1؛ القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 3/ 404.
Hanotaux, **histoire de la nation egyptienne (wiet)** vol. IV. P. 492.

[3] بيبرس المنصوري: الدواداري، **زبدة الفكرة**، 9/ P129 ؛موير: وليم، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، 64-65؛ ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الايام**؛ عاشور: سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، 272-277.

[4] ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الايام والعصور**، 165-169؛ ابن الجزري:محمد، **المختار من تاريخ ابن الجزري** 364؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 9/ 230؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ 157. Muir, **the mameluke or slave dynasty of Egypt**. P38.

الود مع مصر، فعقد ملكها وملك صقلية اللذان كانا أخوين معاهدة عام (689هـ /1290 م) تعهدا فيها بمساعدة السلطان قلاوون ضد أي حرب صليبية، وضد فرنجة الشام إذا نقضوا الهدنة التي أبرموها مع السلطان. وتؤكد استمرار الصداقة والمودة في موانئ البلاد الساحلية التابعة للفرنجة، والموانئ التابعة للمسلمين، وحماية الطرق، والموانئ، والأمتعة، والبضائع، والمتاجر وإذا أراد الصليبيون وأي من الداوية والإستبارية أي مضرة للسلطان قلاوون وبلاده عليهم منعهم وعليهم محاربتهم وأن لا يمدوهم بالفرسان، أو الخيل، أو المال، أو السلاح أو الميرة أو المراكب، وعليهم متى انكسر مركب للمسلمين إصلاحه وحمايته ما فيه من التجار، والتجارة، والمال، والبضائع، وان يحافظ على البضائع والتجارة من الحرامية ولا يزودوهم بأي شيء، وكذلك السماح للتجار بإدخال "الحديد، والخشب ،والبياض للثغور الإسلامية دون ممانعة" [1] وعقد هذه الهدنه والمعاهدات تدلل على أن عقليه المنصور كانت منفتحة وحذره بما يخدم الهدف الاستراتيجي لتوجهاته في الميدان.

وقد شجع الرخاء التجاري النامي في المنطقة أمراء أرغون على زيادة الانفتاح على دولة المماليك البحرية، وكان جيمس الأول (James I) قد تبادل مع قلاوون آيات المودة والاحترام وغالبا عن طريق أسرة هوهنشتاوفن (Hohentaufen) المتصلة بكلا العاهلين، فعقد ملكها وملك صقلية معاهدة عام (689 هـ/ 1290م) تعهدا فيها بمساعدة السلطان قلاوون ضد أية حرب يشنها عليه المسيحيون ، وحرص جيمس الثاني (James II) ملك أرغون على إقامة صداقه قوية مع المنصور من أجل رعاية شؤون المسيحيين في الشرق وتنمية موارد بلاده بفتح أسواق تجارية لها في مصر، وثمة مسائل تجارية مهمة كانت تحتاج لمعالجه زودت بطرس الثالث (Peter III) ابن جيمس بفرصة يجدد فيها توثيق هذه الروابط[2] ، على أن الأمير الذى قطع شوطاً بعيداً في هذه السياسة هو الفونسو الثالث (Alfons III) قد أرسل إلى القاهرة وبالاتفاق مع أخيه جاك (Jake) ملك صقلية سفارة إلى السلطان لعقد معاهدة تحالف دفاعي هجومي، يهدف الحصول على إمدادات بالرجال أو على الأقل بالأقوات على شكل معونات.

---

[1] ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور**، 157-146؛ حروب: محمد، **دور المماليك في تصفية الوجود الصليبي**؛ Stevenson, **the Crusaders in the east** p. 216 351.

[2] طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر والشام**، 200.

وعقد السلطان المنصور قلاوون مع فيليب الرابع (Philip IV) ملك فرنسا، والإمبراطور رودلف (Rudolf) امبراطور النمسا معاهدات وكان فيليب الرابع (Philip IV) يرمي إلى غرضين ظاهرين من هذه المعاهدة ، أولها: القضاء على سلطة الأشراف في بلاده ليجعل من الحكومة المركزية قوة كبيرة يكون على رأسها، وثانيها: إبعاد كل أثر لنفوذ أجنبي في إيطاليا يستخلفها لنفسه، فعمل على إبعاد سلطة البابا، ولم يتورع في محاربة البابا بونيفاس الثامن (Bonifacius VIII) ، وكان عداؤه للبابا يحتم عليه أن ينضم إلى أعدائه، ولو كان هؤلاء الأعداء من المسلمين.

يمكن القول إن علاقة دولة المماليك مع الغرب الأوروبي، اتسمت بالعداء للمماليك في فترة الأشرف خليل ، وذلك بسبب موقف المماليك من الممالك والمعاقل الفرنجية في بلاد الشام وحالة العداء التي كانت تسيطر على المنطقة والتي انتهت بتحرير العديد من المدن والقلاع الفرنجية، مما أدى إلى غضب ونقمة البابا نقولا الرابع (Nicolas IV) الذي كان دائماً يدعو ملوك أوروبا إلى خوض حملة صليبية ضد الدولة المملوكية بعد سقوط عكا على يد الأشرف [1].

هذا وقد ظهر ضعف وعجز أوروبا في تسيير أية حملة صليبية أو تقديم الدعم للفرنج في المشرق، وغياب أية قوة قادرة على تشكيل تحالف ضد المسلمين، وذلك بسبب نزاعات ملوك وزعماء أوروبا في إشارة واضحة لاتجاه المنطقة لتحولات كبيرة لصالح المماليك.

ولعل من المفيد جداً أن نذكر مشاركة السلطان الأشرف خليل بن قلاوون لوالده في توقيع الهدنة مع الجنوبيين، والتي كانت فيها المصالح التجارية والاقتصادية حاضرة ، ففي المعاهدة التي عقدت في عام (689هـ/1290م) بين السلطان المنصور قلاوون وولده الأشرف مع الجنوبيين تأكيد واضح على أن السلطنة المملوكية كانت منتبهة لكل الأخطار ، ليس في بلاد الشام فقط بل في المحيط الإقليمي[2]

---

[1] هايد:ف، **تاريخ التجارة**، 2/ 252.

[2] ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور**، 165-169.

وقد شكل تطور الأحداث في بلاد الشام خاصة بعد تحرير عكا والمعاقل الفرنجية صدمة لأوروبا[1] وتحركت المشاعر الدينية عند مسيحيي الغرب، وراح الجميع يكيل الاتهامات للمدن التجارية الإيطالية وانتقاد إقامتها تلك العلاقات التجارية مع مصر، الأمر الذي أسهم في دعم وزيادة موارد السلطنة المملوكية، وأمام هذا الواقع فإن روما مركز البأبوية لم تشأ أن يضيع هذا الحماس الأوروبي دون توجيه حملة صليبية جديدة إلى الشرق لاستعادة عكا وتحرير المعاقل الفرنجية الأخرى [2] ، وهذا ما فعله نقولا الرابع قبل وفاته حيث أصدر أوامره لفرسان القديس يوحنا وفرسان المعبد بأن يجهزوا السفن في مياه قبرص لحماية ما تبقى من ممتلكات ومحاربة المماليك وذلك في عام (691هـ/1292م)[3]، بعد أن فقد الفرنج معظم مناطق النفوذ بعد سقوط عكا لم يبق لهم موطئ قدم هذا على الصعيد الميداني، فضلاً عن تراجع الروح المعنوية والقناعة عند شعوب وأمراء هذه المملكة، كما أن قبرص راحت تغط في مشكلات استقبال المهاجرين إليها وقيام الصراع بين فرق الإستبارية ، والتيوتون وفرسان الداوية كنتاج لما حل بهم من هزائم [4]

إن صدمة تحرير عكا وتهاوي المعاقل الفرنجية أحدثت شرخاً في العلاقة بين البابا وممالك أوروبا التي راحت تعيش صراعات داخلية حادة، فمثلاً كان الملك الإنجليزي إدوارد الأول (Edward I) قد دخل في حرب مع ويلز وإسكتلندا للحفاظ على عرشه [5]. وكذلك الملك جيمس الثاني(Jemes II) الذي أحاط به الأعداء من كل حدب وصوب، والذي عندما حكمت عليه الكنيسة بقانون الحرمان في عام (691هـ/1292م) لم يتردد في تجديد معاهدة التحالف التي عقدها منذ سنوات مع السلطنة المملوكية[1] أما فيليب الرابع (Philip IV) ملك فرنسا فقد انصرف لنشاطه الخاص لبناء سلطته بعد أن خلص بلاده من الحرب مع صقلية [2]

---

[1] باركر: آرنست، **الحروب الصليبية**، 133؛ نعمان، جبران، **محاولات المغول التحالف مع القوى الاوروبية لاقتسام بلاد الشام**، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد20/ جامعة قطر، 1997/ 257.

[2] هايد: ف، **تاريخ التجارة في الوسط الادنى في العصور الوسطى**، 2/ 252.

[3] المرجع نفسه، 2/ 252.

[4] Rachard, jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 380..

[5] Rachard, jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 331 Grousset: **Histoire des croisades ET Du Roy**. III. P721..

[1] هايد: ف، **تاريخ التجارة في الوسط الادنى في العصور الوسطى**، 2/ 252

[2] رنسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، 3/ 719.

ورغم كل محاولات المحافل الأوروبية وتحديداً البابا نقولا الرابع (Nicolas IV) إضعاف الاقتصاد المملوكي كاقتصاد حربي ومقاوم، عبر محاولات تطبيق نداءات المقاطعة والحظر الذي أصدرته الكنيسة وتحديداً ضد توريد الحديد، وخشب البناء والأسلحة للسلطنة المملوكية [1] إلا أن كل هذه المحاولات لم تعق توجهات تجار أوروبا في البحث عن بدائل تضمن لهم الوصول إلى موانئ مصر، كما فعل البنادقة الذين حضرت رسلهم إلى أبواب السلطان الأشرف خليل بن قلاوون من أجل تأمين تجارتهم مع الدولة المملوكية بعد سقوط عكا، حيث أصدر بحقهم أماناً شريفاً يضمن لهم الدخول إلى موانئ الدولة المملوكية ..."وكتب أمان شريف للتجار البنادقة والبيازنة، والجنوية، والبيشانيين، والكيتلانيين [2] وغيرهم ، بأن يترددوا إلى الثغور الإسلامية آمنين مطمئنين" [3] .

أدركت الممالك والدول الأوروبية مبكراً تفوق المماليك، وهي بالتالي لم تعد مستعدة للتضحية بنشاطها التجاري الذي يمثل عصب اقتصادها، فهي لم تعد مستعدة لمهاجمة الدولة المملوكية أو تشكيل غطاء للبابا[4] ، وهكذا فشل الغرب الأوروبي في القيام بأي عمل عسكري لإنقاذ الحال الفرنجي في الشرق، وذلك لأسباب عدة أهمها المصالح الاقتصادية التي تشكل عجلة حياة تلك الدول، رغم هذه الهدن والمعاهدات التي عقدت مع التجار الأوروبيين بعامة وتجار جنوة بخاصة إلا أن أوروبا وتحت ضغط الفتاوي البابوية والمنادية بأهمية قطع الصلات والحظر التجاري مع الموانئ المصرية، إلا أن المدن التجارية الأوروبية قد نجحت في الحصول على موافقة ضمنية من بعض البابوات في استمرار التعامل التجاري مع مصر المملوكية وقد ظهر ذلك لاحقاً في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون [1]

لقد شكل انهيار الممالك الفرنجية في المشرق، دافعاً لقيام ممالك أوروبا بالالتفاف حول البابا لدعمه في تشكيل مزيد من الحملات على المشرق، وبمشاركة أوروبا، إلا أن هذه الممالك

---

[1] هايد: ف، **تاريخ التجارة في الوسط الادنى في العصور الوسطى**، 2/ 253.

[2] الكيتلانين: هم انفسهم اهل برشلونة، فيقال كتالونيا وبرشلونة هي مقر ومركز مملكة ارغون، للمزيد ينظر: القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 5/ 270.

[3] ابن عبد الظاهر:محيي ، **الالطاف الخفية**، 3/ 45.

[4] الحجي:حياة، **العلاقات بين السلطنة المملوكية والممالك الاسبانية**، 9

[1] هلال:عادل، **العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي**، 245.

الأوروبية كانت تدرك تعقيدات الحال في المشرق ، فكانت رؤيتها أن المواجهة مع المماليك يجب أن تختلف، بمعنى تفعيل التعامل الاقتصادي والتقرب للسلطة المملوكية التي لم يعد يقف في وجه تقدمها أي شيء، وهذا يستدعي عقد المعاهدات ذات الطابع التجاري خاصة بعد أن انفرط عقد الإمارات الفرنجية على الساحل الشامي والتي اعتمدت عليها اوروبا سابقاً في تجارتها خاصة بعد تحرير الأشرف لعكا ، وأن أية صلات مع الموانئ التجارية للسلطنة المملوكية لا يمكن أن تكون إلا من خلال الدبلوماسية وببعد اقتصادي كضمان لاستمرار تدفق السلع من وإلى أوروبا.[1]

لم يعد أمام الممالك الأوروبية خياراً غير الخيار التفاوضي مع السلطنة المملوكية للحفاظ على الانسياب التجاري والاقتصادي المتبادل من خلال عقد المعاهدات للوصول إلى موانئ الشرق، رغم معارضة البابا نقولا الرابع (Nicolas IV) [2] الذي استمر في حملاته التحريضية ضد السلطنة المملوكية عبر استمرار دعواته لملوك أوروبا بتشكيل حملة صليبية من أجل السيطرة على الشام ومقدساتها، ولذلك حاولت هذه الممالك ومن خلال المعاهدات التجارية أن تفوت الفرصة على البأبوية عبر إدخال بعض النصوص ذات الصيغة الدينية، كضمان وصول الحجاج المسيحيين إلى المقدسات وحماية هذه المقدسات من أي اعتداء ، لإضعاف فكرة القيام بحملات صليبية، وكأن لسان حال هذه الممالك يقول إن مجابهة المماليك لم تعد قائمة بعد هذا الانهيار المروع للممالك الفرنجية في بلاد الشام، وبعيداً عن الخوض في تفاصيل الدوافع وراء إقامة هذه العلاقات ببعدها الديني أو الاقتصادي بين الممالك الإسبانية والسلطنة المملوكية، فقد انتهى الحال إلى عقد المعاهدة بينهما، حيث ضم الطرف الإسباني في المعاهدة الملك جيمس الثاني (Jemes II) [1] (691-726هـ/1292-1327م) ملك أرغون [2] ، وكان كثير التودد للسلاطين المماليك ، ودخل في المعاهدة كما ذكرنا أخويه دون فيدريك (Don Fedrek)، ودون

---

[1] الحجي:حياة، **العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الاسبانية**، 77. هايد: ف، **تاريخ التجارة في الوسط الادنى في العصور الوسطى**، 2/ 258.

[2] هايد: ف، **تاريخ التجارة في الوسط الادنى في العصور الوسطى**، 2/ 260

[1] جيمس الثاني: في نص المعاهدة يظهر اسمه دون حاكم الرايداغون أي ملك ارغون، ينظر: القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 63/4.

[2] أراغون: شملت مملكة أرغون برشلونة، وأرغون وشاطة ،وسرقطة، وبلنسة، وجزيرتي دانية وميورقة، للمزيد ينظر: الزهري، محمد، **كتاب الجغرافيا**، 128-130؛ القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 5/ 270.

بيدرو (Don Bedro)، وصهراه دوشانو (Shanso)[1] ملك قشتالة، (685-694هـ/1284-1295م)[2] ودون الفونسو (Don Alfonso)[3] ملك البرتغال، [4] حيث التزمت الأطراف المشاركة بمثل ما يلتزم به الملك جيمس الثاني (Jemes II) تجاه السلطنة المملوكية وكان ذلك في صفر /كانون الثاني عام (692هـ/1293م) [5].

ويمكن توضيح نصوص هذه المعاهدة للأهمية في النقاط التالية :

1. توفير الأمان للوافدين على السلطنة المملوكية من الممالك الاسبانية وذلك على أموالهم وأنفسهم. [6]
2. أن يقوم حاكم أراغون ومن دخل معه في عهد الأشرف خليل بردع أيّ هجوم عدواني يأتي من جهة أوروبا. [7]

وكان هدف السلطان الأشرف خليل ومن خلال هذه المعاهدة خلق التناقض والشقاق بين الغرب الأوروبي وخاصة البابا نقولا الرابع (Nicolas IV) مع الممالك الإسبانية الموقعة على المعاهدة وبالتالي الحيلولة دون وحدتهم ضده ، ويقال من جهة أخرى إن إدراك الأشرف لقوة أساطيل هذه الممالك قد دفعه للاستفادة من قوة هذه الأساطيل لحماية سواحل الدولة المملوكية وكأنه بهذا يحقق الهدفين [1] خاصة بعد التحرير الشامل للسواحل الشامية، وتوقع ردود فعل غاضبة كتشكيل الحملات لاسترجاعها ولو بالتعاون مع مغول فارس.[2]

---

[1] دون شانجة، ينظر القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 270/5.

[2] قشتالة، **اقليم عظيم بالأندلس**، مركزه طليطلة، للمزيد ينظر: الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، 4/ 352.

[3] دون الفونس، ينظر: القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 14/ 64.

[4] البرتغال: وهي في الجانب الغربي من قشتالة، وتشتمل على لشبونة، للمزيد ينظر: القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 5/ 270.

[5] القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 14/ 63؛ هايد: ف، **تاريخ التجارة في الوسط الادنى في العصور الوسطى**، 2/ 260.

[6] القلقشندي: عبد الله ، **صبح الأعشى** 14/ 65.

[7] ابن عبدالظاهر: محيي، **تشريف الأيام والعصور**، 33؛ القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 14/ 66.

[1] الحجي:حياة، **العلاقات بين سلطنة المماليك والممالك الإسبانية**، 88.

[2] حجة: شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الاولى وإيلخانية فارس**، 258.

Rachard, jean, **the latin kingdom of Jerusalem**, 424

3. تنظيم عملية حج رعايا الممالك الاسبانية باتجاه الأراضي المقدسة في بيت المقدس. [1]

4. تنظيم العلاقات التجارية. والتي نتج عنها العديد من الأمور أهمها:

أولاً : تنظيم العملية التجارية بين الطرفين من خلال قانون الضرائب المتفق عليه سابقاً في الديوان

ثانياً: في حال قدوم التجار الإسبان إلى الدولة المملوكية يتم التعامل معهم وفق الشرع الإسلامي. [2]

ثالثاً : يسمح الملك الأرغوني ومن دخل معه المعاهدة من الممالك الاسبانية لتجار بلادهم إحضار الحديد، والبياض والخشب. [3]

رابعاً: في حال تعرض تجار السلطنة المملوكية ومراكبهم إلى مكروه في بلاد الإسبان يجب تأمين عودتهم ومن ذلك [4]

وعلى صعيد علاقة السلطان الناصر محمد، فيمكن القول إن هذا السلطان قد تميز في صلاته مع أوروبا من خلال الهدن والمعاهدات التي عقدها، على الرغم من صعوبة الأوضاع الداخلية التي كان يعيشها مع خصومه، وكذلك المواجهة المباشرة مع بقايا الفرنج والمغول كتحديات مركزية كانت تفرض عليه إبقاء الأبواب مفتوحة خدمة لمعادلة الصراع المزدوجة التي كان يخوضها، إن يقظة وتنبه الناصر محمد للأخطار المباشرة مع الفرنج وغير المباشرة مع دول أوروبا كانت دوما تدفعه لأخذ الاحتياطات ببعدها الدبلوماسي في سياق المصالح السياسية والاقتصادية المهمة والضرورية، خاصة وأن حال الدولة المملوكية والذي وصف بالاضطراب الداخلي آنذاك، والاتساع في الجغرافيا والنفوذ، لهذا فقد اتجه الناصر محمد إلى منح البنادقة وتحديداً في عام (702هـ-1302م) امتيازات ذات بعد سياسي واقتصادي قائم على مصالح مشتركة بين المصريين والبنادقة[1]، ومن بين ما احتوته تلك الامتيازات، عدم مصادرة تركة الميت من البنادقة، بل يفوض القنصل في التصرف فيها طبقاً لوصية المتوفى، وكذلك حرية

---

[1] القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 14/ 69.

[2] الزبيدي: محمد ، **العروس من جواهر القاموس** 5/ 9-10

[3] القلقشندي: عبد الله ، **صبح الأعشى** 67/14

[4] . **نفس المصدر** ، 68/14-69.

[1]هلال:عادل، **العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي**، 239.

البنادقة في جلب الخمور لأماكن إقامتهم، وكذلك المسؤولية الفردية لكل تاجر عن الديون أو الأخطاء الشخصية، وكذلك تعويض البنادقة عن أية خسائر أو أضرار تلحق بتجارتهم[1]، وفي ذات العام (702هـ-1302م) أنفذت البندقية سفيراً لها إلى مصر يدعى (ganalidecanali) ليطلب من الناصر تجديد الامتيازات التي منحها السلطان قلاوون لرعاياها، فأجيب إلى طلبه كما وافق الناصر على أن يكون سفيراً للبندقية في الإسكندرية[2] على أن تجارة البندقية ما لبثت أن اعترضها قرار بأبوي يقضي بمنع تصدير البضائع إلى ممتلكات السلطان، وكان هذا القرار قد حمل رئيس البندقية على التوسط لدى البابا (307هـ-1317م) ليحصل على ترخيص لمواطنيه بتصدير الذهب، والفضة، والقصدير، والنحاس، والجوخ، والزعفران، وغير ذلك من البضائع الأوروبية التي تحتاجها مصر[3].

والحديث عن العلاقة بين المصريين المماليك والبنادقة والجنويين، يأتي في سياق المنافسة الواضحة بين المماليك والمغول، حيث إن شروط المعاهدات بين الطرفين تميزت عن العلاقة مع المغول، حيث تحدثت المعاهدات عن دور المترجمين، والخدم، ورعاة الدواب، والنقل، والمرشدين، والسماسرة بدقة من حيث بيان لأجورهم ومسؤولياتهم بل إن مصر المملوكية اشترطت على البنادقة تعيين كاتب مسيحي (ليكون محل ثقة للاتين) ليسجل أعمالهم وحساباتهم، كما عمد المصريون إلى تحديد حق البنادقة والجنويين في التواجد فقط في الموانئ، وقيدت إقامتهم وكان بيعهم وتواجدهم في بعض المناطق من الموانئ في بعض المعاهدات، مثل " الجمرك والديوان، والفندق"، وهذا يرجع لعدم سماح المصريين إلى أبعد من ذلك في مجال التخفيف والتشجيع للبنادقة، ومنحهم حق ملكية فنادق، ومخازن، وحمامات، وأفران، خاصة بهم، وإعفاءً شخصياً لقنصل البنادقة بالإسكندرية من رسوم وجمارك، وذلك لتشجيعه على البقاء في الإسكندرية، وإعفاء تجار البندقية من الرسوم والضرائب على ما يحملونه من الذهب والفضة

---

[1] نفس المصدر، 239-240.

[2] Heyd, **Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age** Voll II. P37.3

[3] Heyd, **Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age** Voll II. P42.1

واللآلئ، والأحجار الكريمة، والفراء، وحددت هذه المعاهدة رسوم الجمارك والنقل بصورة واضحة لا لبس فيها.[1]

إن هذا الوضوح والأريحية في التعامل يفسر حصر البنادقة الدائم على العلاقات الوطيدة مع مصر المملوكية، ومحاولتهم الدائبة لكسر أوامر البأبوية في تحريم التجارة معهم، بل والتعامل مع الموانئ المصرية بطرق غير مناسبة في فترة الحصار الاقتصادي عليها، لأنهم كانوا يحصلون بموجب معاهداهم مع المصريين على امتيازات تفوق تلك التي حصلوا عليها من إيلخانات فارس[2].

يبدو أن جدل الحصار الاقتصادي على مصر، قد اتسع في الدوائر الغربية آنذاك، فرغم الفتاوي البأبوية بهذا الخصوص، ورغم التزام التجار البنادقة والجنويين بعدم المتاجرة بالسلع التي من شأنها تقوية العسكرية المملوكية مثل الخشب، والقار، والحديد، والرقيق، إلا أن قيام قنصل البنادقة في الإسكندرية بالاحتجاج على إحدى السفن المحملة بالرقيق وطرده، وثورة الإستبارية في قبرص ورودس قد خلط الأوراق، وأعاد الجميع إلى مربع التحريم والمقاطعة، بعد أن عهد لفرق الإستبارية بمراقبة الأساطيل التجارية التي تتعامل مع الموانئ المصرية، وأكدوا على تحريم التعامل كلية مع المصريين[3] .

إن علاقة المماليك في فترة الناصر محمد مع البنادقة والجنويين تجعلنا نخرج بالملاحظات التالية:-

- كانت المعاهدة مع البنادقة واضحة وشاملة.

---

[1] . هلال: عادل ، **العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي**، 240، سرور: محمد جمال ، **دولة بني قلاوون في مصر** ، 342

[2]Heyd, **Histoire du Commerce du Levant Au Moyen Age** Voll II.P.27

سرور: محمد جمال، **دورة بني قلاوون في مصر**، 314؛ هلال: عادل، **العلاقات بني المغول واوروبا واثرها على العالم الاسلامي**، 240-241.

[3]هلال: عادل، **العلاقات بني المغول واوروبا واثرها على العالم الإسلامي**، 245.

- وضحت المعاهدة كل ما يتعلق بأوضاع التجار، والمترجمين، والخدم ،ورعاة دواب النقل والمرشدين والسماسرة، بدقة وبينت أجورهم ومسؤولياتهم عبر اشتراط مصر تعيين كاتب مسيحي يسجل أعمالهم وحساباتهم.
- ضبطت المعاهدة سلوك البنادقة، وحددت حق التواجد على الموانئ، وقيدت إقامتهم ومكان تواجدهم وذلك لأسباب إقتصادية وأمنية[1] .

وعليه فقد أصبح التجار من (بيزا، وجنوة، والبندقية) من أنشط التجار، وتواجدوا في معظم موانئ الشرق، الذي مدوه بكل ما يلزم من سلع وموارد، فكانت هذه التجارة بالغة النفع للأمراء المسلمين، لهذا كانت كل الأطراف تعمد إلى توقيع الهدن والمعاهدات الضامنة لاستمرار التواصل الاقتصادي[2]، –وكما ذكرنا سابقاً–، فقد أدى تنامي قوة المماليك واتساع نفوذهم في عصر الناصر محمد وسيادته على الأماكن المقدسة في فلسطين؛ إلى تبؤ مكانة عالية بين ممالك الغرب الأوروبي، حيث وطدت مصر علاقاتها السياسية والاقتصادية مع جيمس الثاني (Jemes II) ملك أرغون، وتبودلت الرسائل بين الطرفين في الأعوام (699–728هـ/1300–1328م) والتي ركزت على خلق علاقات صداقة وتفاهم بين مصر وأرغون، إضافة للحصول على امتيازات تجارية لتجار أرغون في بلاد الشام، وتسهيل سبل الحج إلى الأراضي المقدسة أمام الرعايا الأرغوانيين، وإطلاق سراح التجار المسيحيين في مصر، وخاصة المنتمين إلى أرغوان، وضمان حسن معاملة الأقباط ومسيحيي الشرق[3] .

مرت علاقات وهدن السلطان الناصر محمد مع دول غرب أوروبا بمحطات صعود وهبوط سار جزء منها ببعده الاقتصادي، وكان دائم الإرتقاء، والجزء الآخر وهو الأخطر والمرتبط بموقف البابا من مصر المملوكية، وصعودها بعد سقوط عكا آخر معاقل الفرنجة، فكان

---

[1] ينظر: نص المعاهدة ومقارنتها بما كان يحصل عليه البنادقة في مناطق نفوذ المغول سابقا: هلال، عادل، **العلاقات بني المغول وأوروبا واثرها على العالم الإسلامي**، 239–241.

[2] هايد: ف، **تاريخ التجارة**، 35/2؛ رانسيمان: ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**،3/486–487.

[3] . طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، 288؛ Atiy; Egypt and Aragon, pp.67–68.

البابا دائم الرغبة في الانتقام من مصر، وكان لا يترك مجالاً إلا ويحرض أوروبا من أجل القيام بحملة صليبية جديدة[1].

وفي الرسالة الأخيرة التي أرسلها جميس الثاني (jemes II) إلى الناصر محمد في شوال/آب من عام (727هـ/1327م) طلب منه إحلال الفرنسيسكان الأرغوانيين محل الدمينكان في القيام بخدمة القبر المقدس، الذي حاول سابقاً أن يملكه لهؤلاء، وقد صحب رسوله هذه المرة إلى القاهرة مندوب فرنسي من قبل شارل الرابع (Charles IV) ملك فرنسا، بعد توسط البابا يوحنا الثاني والعشرين للتباحث مع السلطان حول إمكانية منح فرنسا حق رعاية المسيحيين في الشرق، إلا أن الخلاف دب بين سفيري أرغون وفرنسا، الأمر الذي دفع بالسفير الأراغواني لتدبير مؤامرة ضد فرنسا، والإيعاز إلى السلطان الناصر محمد أن فرنسا تخفي نوايا سيئة تجاه السلطنة المملوكية، وفعلاً فقد كانت فرنسا بصدد تجهيز قوة بحرية لمهاجمة السواحل المصرية وقد تأثر السلطان بما سمعه، فرفض منح فرنسا حق حماية القبر المقدس، وأساء معاملة سفيرها[2]

ظل السلطان الناصر محمد يحرص على إحكام أواصر الصداقة مع أرغون حتى بعد وفاة ملكها جيمس الثاني (Jemes II) فبعث إلى الفونس الرابع (Alfonse IV) (727-736هـ/1327-1336م) والذي سار على سياسة سلفه في المحافظة على علاقات الصداقة مع مصر، رسالة في عام (730هـ/1330م) تؤكد استمرار الوفاق بين مصر وأرغون طوال عهد جيمس الثاني، وحرص السلطان على التمسك بهذا الوفاق بعد تولية الفونس الرابع (Alfonse IV) العرش[3]

من خلال ما تقدم يمكن قراءة فحوى مضمون الرسائل المتبادلة بين ملوك وزعماء أوروبا والبأبوية من جهة، والسلطان الناصر محمد من جهة ثانية، في إطار مهم وضروري يتمثل في عدد من الملاحظات وهي:

---

[1] سرور: محمد جمال، **دولة بني قلاوون في مصر**، 340.

[2] سرور: محمد جمال، **دولة بني قلاوون في مصر**،273؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر والشام**،291-292.

[3] Atiya: **Egypt and Aragon**, pp61-64

1. يلاحظ تركز علاقات المماليك مع دول غرب وجنوب أوروبا، كعناوين تجارية هامة.
2. يلاحظ أيضا بساطة مضامين الاتفاقات والهدن مع أوروبا.
3. كذلك يلاحظ تفرد جيمس الثاني(Jemes II) ملك أرغون بالتفرد أحياناً بمراسلات وعلاقات صريحة وواضحة مع السلطان الناصر محمد.
4. محاولة ملك أرغون أن يجعل من نفسه حامياً للمسيحيين الخاضعين لحكم المماليك. [1]
5. إن كثافة وزخم هذه المراسلات بين زعماء أوروبا والسلطان الناصر محمد تلقي الضوء على عظم مكانة الدولة المملوكية واتساع نفوذها.
6. تحقيق الندية والمساواة في التعامل المتبادل، سواءً تعلق الأمر بالرعايا المسلمين أو المسيحيين.
7. إن هذا السلوك من جانب الناصر محمد في فتح جبهة العلاقات والتسامح مع بعض أجزاء أوروبا، قد أحدث شرخاً واضحاً بين تلك الدول.
8. لقد شكلت سياسة الناصر محمد قاعدةً جديدةً في العلاقات الدولية التي لا يمكن لها أن تسير ضمن سياق واحد.

إن ثبات الهدن والمراسلات هو في كثير من الأحيان مرهون بموازين القوى.

ثانيا: الهدن والمعاهدات مع القوى الداخلية

- **بلاد النوبة**

في ظل الحكم المملوكي لمصر ظهرت صراعات وثورات داخلية عديده لبست لبوس سياسية واقتصادية[2]، فكان التوجه المملوكي يهدف إلى احتواء تلك الثورات التي كان بعضها يشكل تهديداً حقيقياً تمخضت عن بعض الهدن والاتفاقات، بعد أن أثار بعضها مخاوف المماليك، فخافوا على مستقبل دولتهم الوليدة مما دفعهم في بعض الأحيان لاستخدام سياسة العنف والقوة في قمعها وللمهادنة أحياناً [1].

---

[1] طقوش، محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر والشام**، 292.

[2] المقريزي: أحمد، **السلوك**، 4/ 380؛ ابن تغري بردي: يوسف، **النجوم الزاهرة**، 7/ 23؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر والشام**، 46.

[1] النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 29/ 429.

ولعل السؤال الأهم في هذا السياق هل كانت هدن واتفاقات زعماء المماليك بهذا المستوى من الأهمية التي أعطتها حيزاً في تفكير سلاطين المماليك وتحديداً مع القوى الداخلية؟ للإجابة نقول نعم، وهذا ما يفسر الأهمية والحيز الذى أعطاه سلاطين المماليك لتلك القوى عبر الملاحقة والمتابعة والهدن، انسجاما مع متطلبات واقع السلطنة المملوكية فقد شكل خلاف السلطنة المملوكية مع بلاد النوبة [1] مثلا أحذ تلك التجليات ذات الأهمية .

فبلاد النوبة مملكة مسيحية عاصمتها مدينة دنقله[2] والتي تقع في أعلى النيل، وتشتمل الآن على ما يعرف بشمال السودان تقريباً وهي تمتد من أسوان حتى مكان التقاء النيل الأبيض بالنيل الأزرق [3] .وكانت بلاد النوبة رابطاً بين الشمال والجنوب حسب ما جاء بمعاهده سميت آنذاك معاهدة (البقط)[4]

إن دراسة وتحليل طبيعة العلاقة بين المماليك وبلاد النوبة، اكتسبت أهميتها من طبيعة سلوك قادة النوبة المسيحيين، الذين عاودوا مهاجمة مصر وذلك عام (672 هـ/ 1273م)

---

[1] بلاد النوبة: هي تلك البلاد التي كانت حدودها الشمالية تمتد في اوائل عهد المماليك حتى اسوان، في حين تمتد حدودها الجنوبية حتى حدود الحبشة وبلاد بحر الغزال، وكانت هذه المملكة تدين لحكومة وطنية مسيحية. ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الايام**، 154؛ القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 275؛ طقوش:محمد سهيل، تار**يخ دولة المماليك في مصر وبلاد الشام**، هامش1/ 113

[2] دنقلة ودمقلة بالميم، عاصمة اقليم يسمى باسمها حاليا في السودان، وتعرف باسم دنقلة القديمة تميزا لها عن دنقلة الجديدة مدينة تاريخية بالسودان الشمالي، وتقع بالقرب من بلدة الدابة الحالية ينظر: البرزالي: محمد القاسم، **المقتفي على كتاب الروضتين**، 1/ ق1/ هامش4/ 350.

[3] شلبي: أحمد، **موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية**، 253.

[4] **البقط:** اختلف الباحثون في تفسير أصل لفظ البقط، فالبعض قال أنه تحريف من قبط غير أن الأرجح أن هذا اللفظ مشتق من كلمة (bak) وهي كلمة مصرية قديمة بمعنى الضريبة التي كانت تجبى عادة من بلاد النوبة والسودان وربما كان لفظ بقط مشتقاً ايضا من اللفظ اليوناني (pactum) ومعناه عهد وميثاق، ينظر : عاشور: سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، 76، وقال المقريزي هي ما كان يقبض من سبي النوبة، وكل عام من ضريبة عليهم ،المقريزي: أحمد، **الخطط**، 1/ 199–200.غير ان بعض المصادر العربية وخاصة ابن خرداذبة يقول:"ان البقط ليس "بجزية ولا خراج" وابن الفرات يذكر البقط تحت عنوان "**كتاب موادعة النوبة**" والبلاذري يقول عن البقط "ليس بيننا وبين الاساود عهد ولا ميثاق انما هي هدنة بيننا" ينظر: ابن خرداذبة: عبد الله، **المسالك والممالك**، 92؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن فرات**، 7/ 45/ البلاذري: أحمد، **فتوح البلدان**، 237.

ومهاجمة أسوان والقصير؛ [1] فكانت هذه الاعتداءات فرصة لتدخل الدولة المملوكية في شؤون النوبة[2]، وذلك من خلال تحريك الأسطول النهري المملوكي في تلك الحملات، والتي أرسلت بشكل واضح في عهد كل من الظاهر بيبرس والسلطان قلاوون حيث كان التوتر هو سيد الموقف في العلاقة بين المماليك والنوبة، فقد عاد ملك النوبة وأثناء انشغال الظاهر بيبرس بالحروب بآسيا بغزو إقليم أسوان، مما دفع قومص المملوك المصري للإنتقام؛ بأن جرد حملة قوية وغزا بلاد النوبة، وتوغل فيها حتى وصل لإقليم دنقله، ونهب البلاد وأسر من أشراف النوبة من بينهم حاكم اقليم النوبة الشمالي، وقد عامل بيبرس هؤلاء الأسرى معاملة قاسية بأن علق كل واحد منهم على جمل ودار به حتى مات [3].

في عام (674هـ/ 1275 م) لم تلبث أن أتيحت الفرصة للسلطان بيبرس للانتقام من داود ملك النوبة، وذلك عندما حضر ابن عمه (شكندة)[4] ملك النوبة الأسبق متظلما من ابن عمه داود[5]. ويبدو أن السلطان بيبرس قد انتهز هذه الفرصة للانتقام من داود لما قام به من غارات على جنوب مصر في فترة الشدة والصراع الحقيقي مع الخصوم من المغول والفرنج فأمر

---

[1] **عيذان:** بلدة على ضفة بحر القلزم (الاحمر) وهي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد، للمزيد ينظر: الحموي: ياقوت، **معجم البلدان**، م4/ 170؛ الزهري: محمد، **كتاب الجغرافيا**، 37؛ القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 14/ 374.

[2] ابن دقماق: ابراهيم، **الجوهر الثمين**،2/ 109.

[3] الهاشمي: عبد المنعم، **موسوعة تاريخ العرب**، 54؛ النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 28/ 109؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ الدول والملوك**، 7/ 45–46؛ عاشور: سعيد، **العصر المماليكي**، 78/ حسن، ابراهيم حسن،البحرية في عصر سلاطين المماليك، 94؛ ابن وصيف شاة، **فضائل مصر واخبارها**، 116؛ ابن اياس: محمد، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، 1/ ق1/ 335.

[4] **شكندة** هو احد قادة بلاد النوبة، وقد ورد ب (مشكد) عند المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 621؛ (ومركشنكز) عند القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 5/ 277؛ وقيل شكندة، **في تاريخ ابن الفرات** 7/ 45؛ وشكندةعند ايبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **كنز الدرر**، 8/ 183.

[5] ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 400. ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبد الله، **كنز الدرر**، 8/ 183. النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 28/ 108. ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 4/ 48؛ ابن أبي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**، 234؛ القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 5/ 277؛ العيني: محمود، **عقد الجمان**، 143. سعيد: إبراهيم حسن، **البحرية في عصر سلاطين المماليك**، 94.

بإعداد حملة عسكرية بريه ونيلية بقيادة الأميرين، شمس الدين آقسنقر الفارقاني، وعز الدين الأفرم[1] وصحبه ُالملك النوبي شكنده، ومعهم الزراقون، والرماة، ورجال الحرايق، والزردخاناة [2] وقد تمكنت هذه الحملة من تحقيق أهدافها والتوغل في بلاد النوبة الأمر الذي اضطر الملك داود إلى الفرار بعد مطاردة ساخنة، وفرار معظم رجاله، ووقوع خيرة رجاله وأمه ،وأخته، وابنة أخيه في الأسر، ونجا هو بنفسه، وهنا وجد أمراء المماليك أنفسهم مضطرين للعودة إلى دنقله فقاموا بها حتى ملكوا شكنده[3] ، وبفرار داود انتهت المقاومة في بلاد النوبة ودخلت الجيوش والأساطيل المملوكية دنقله، وحملت ممتلكات داود وعبيده أسلاباً إلى السلطان بيبرس بعد أن أقليم شكنده ملكاً على بلاد النوبة، ولبس التاج، وأصبح في الوقت نفسه نائبا عن السلطان بيبرس وحلف شكنده والأمراء وأهل النوبة يمين الولاء للسلطان بيبرس ، ثم عادت الحملة المملوكية، بعد أن وضعت أسس العلاقات الجديدة بين دولة المماليك ومملكة النوبة المسيحية[4] ومنذ ذلك الوقت، ارتبطت النوبة ارتباطاً وثيقاً بالسلطنة المملوكية، حتى أن السلطان بيبرس أنشأ عقب هذا النصر ديواناً خاصاً للنوبة في القاهرة تحت إشراف بهاء الدين بن حنا؛ لمراقبة وصول الجزية سنوياً لمصر بانتظام [5]. وتعدّ هذه الجولة من الصراع مع متمردي بلاد النوبة واحد من التحديات التي واجهت المماليك في عهد السلطان بيبرس والتي كانت ضرورية لحسم

---

[1] ابن وصيف شاه، **فضائل مصر واخبارها**، 116؛ عاشور: سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**،81.

[2] المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 202؛ سعيد: ابراهيم سعيد، **البحرية في عصر سلاطين المماليك**، 94؛ مسعد: مصطفى، **الاسلام والنوبة في العصور الوسطى**، 146-147.

[3] ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 7/ 47؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 64.

[4] النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 28/ 259؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 623؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 7/ 51؛ ابن أيبك الدواداري: أبو بكر عبد الله، **كنز الدرر**، 8/ 184؛ عاشور: سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، 79؛ سعيد: ابراهيم حسن، **البحرية في عصر سلاطين المماليك**، 95؛ عاشور: سعيد، **الظاهر بيبرس**، 126.

[5] المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 621-622؛ النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 30،345.

آخر جبهات المواجهة، والتي انتهت بعقد معاهده واتفاق بين السلطان بيبرس وشكنده والتي نصت على ما يلي:

1- يصبح الملك شكنده تابعا لسلطان مصر ونائبا عنه في حكم بلاد النوبة.

2- على سكان بلاد النوبة بعد أن طلبوا الأمان أن يدخلوا الإسلام أو يدفعوا الجزية .

3- أن تكون بلاد العلا وبلاد الجبل ملكاً خاصاً لمصر، وتحديداً الدو وبريم[1] وهما قلعتان حصينتان قريبتان من أسوان خالصةً للسلطان، وهي حوالي ربع بلاد النوبة ، وكانت جزءاً من مصر[2] ويلاحظ أن النوبيين بهذه المعاهدة أصبحوا أهل ذمه، ولهذا أنشأ السلطان بيبرس كما ذكرنا ديواناً سماه ديوان النوبة لمراقبة جمع الجزية ، والخراج، وتعيين العمال[3] .

4- كما تعهد شكنده، أن يعيد الجزية القديمة، وهي أربعمائة عبد، وثلاثة أفيال، وثلاث زرافات، وخمسة نمور، ومائة هجين ، ومائة ثور، ونصف محصول الأراضي الزراعية .

5- إطلاق سراح الأسرى الذين أخذهم داود عند حملته الأخيرة على إقليم أسوان .

6- أن يستولي سلطان مصر، على ثروة، وأملاك، وذخائر، وعبيد ملك النوبة، وجميع الأمراء الذين ماتوا في أثناء القتال[4] . كما خيرهم بين الإسلام، أو القتل، أو الجزية، فاختاروا القيام بدفع الجزية وأن يدفع كل واحد ديناراً عيناً في السنة. وقد عملت نسخه يمين بهذه الشروط [5].

---

[1] قلعتا الدو وبريم: قلعتان حصينتان بالقرب من أسوان، للمزيد ينظر: المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 622.

[2] اليونيني: موسى، **ذيل مرآة الزمان**، 3/ 118؛ مسعد: مصطفى، **الاسلام والنوبة**، 149-150.

[3] المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 623؛ شلبي: أحمد، **موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارةالاسلامية**، 257.

[4] زقلمة:أنور، **المماليك في مصر**،58

[5] ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** م8/ 46-47؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 623

هذه المعاهدة بين السلطان بيبرس وشكنده ملك النوبة احتلت مكانةً مهمة في تاريخ هذه العلاقة لأسباب نوجزها فيما يلي:

1- رغبة المماليك في حماية البلاد الإسلامية وتحديداً في الشرق الأدنى.

2- وكذلك حماية مصر من التداعيات المحتملة في بلاد النوبة المسيحية وما يمكن أن يستجد في حال شعور أهل النوبة بتمدد النفوذ الفرنجي في المنطقة، وذلك من أجل حماية مصر من الاعتداءات .

3- كذلك أراد المماليك من هذه الحملات وما ترتب عليها من ترتيبات وعلاقات تأكيد حضورهم في العالم الإسلامي وأنهم حماة الإسلام [1] .

لقد كانت هذه الاتفاقية واحدةً من الاتفاقيات المهمة جداً بالنسبة لمماليك مصر، سواء بالبعد الأمني الاستراتيجي، أو حتى البعد الاقتصادي من حيث تحويل جزء من الجغرافيا في بلاد النوبة لمصلحة السلطان وتحديداً قلعتي الدو وبريم فضلاً عن تقديم شروط الطاعة والولاء؛ وكأن هذه المنطقة غدت منطقة نفوذ تحت المراقبة والسيطرة، وهذا يدلل على سعة أفق السلطان بيبرس في تحصين السلطنة، كما تدل على طاعة شكنده الذي يبدو أن همه الأول كان الخلاص من خصومه[2] .

ويذكر أن السلطان المنصور قلاوون قد سار على ذات نهج السلطان بيبرس في إحكام قبضة المماليك على بلاد النوبة ، وفيما سبق ذكرنا كيف أن ملك النوبة عقد اتفاقية مع حكام مصر تحت ضغط الأحداث السياسية والعسكرية ، لذلك فقد ظل خلفاؤه الذين لم يرضوا عن الوضع القائم ينتهزون الفرص لنقضها [1]، وقد ذكر أن شكنده قد توفي في العام الذى توفي فيه السلطان بيبرس ، فقفز على عرش النوبة أمير يدعى (بَرك)، متجاهلاً أن تعيين الملوك بالنوبة لابد أن يتم بموافقة القاهرة، وكأن السلطان في مصر قد آل إلى قلاوون والذى أرسل جيشاً

---

[1] ابن عبد الظاهر :محيي ، **تشريف الايام والعصور**، 416؛ القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 5/ 266، ابن أبي الفضائل: مفضل، **النهج السديد**، 234-238؛ النويري: أحمد ، **نهاية الارب**، 30، 344؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 621-623.

[2] اليونيني: موسى، **ذيل مراة الزمان**، 3// 118.

[1] طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، 177.

قبض على برك وقتله[1]. وقد ازدادت تداعيات المشهد الحربي والسياسي في بلاد النوبة تعقيداً بعد أن ظهر في بلاد النوبة في عام (685 هـ/ 1286 م) زعيم ذو نزعات استقلالية، حيث راح يعمل على التخلص من التبعية المملوكية، حيث امتنع سيمامون ملك دنقلة عن دفع الجزية كخطوة نحو إعلان استقلال بلاده[2]. ولم يكن أمام المماليك، إلا إرسال حملة ثانية شملت عدداً من الأمراء والأطلاب[3]، وجهز معهم متملك النوبة ابن اخت سيمامون الأمير عز الدين أيدمر ونائبه جريس[4] ورسموا لجريس أن يتقدمهم ومعه أمراء أسوان وذلك لطمأنة أهل البلاد وتأمينهم[5] وإذا وصلوا بلاداً خرج أعيانه وأخذوا الأمان واستقروا ببلدهم وذلك من الدو إلى جزائر ميكائيل التي كانت تحت يد جريس صاحب الجبل [6]. وأمام هذا الزخف من قبل المماليك وأعوانهم فقد فر سيمامون من دنقلة وأخلاها من أهلها، حيث ذكر أنه توجه إلى جزيرة تبعد مسافة ثلاثة أيام، وعندما وصل المماليك وأعوانهم قباله الجزيرة سألوا من بها عن الملك، فأجأبوهم أنه بالجزيرة المذكورة، فعرضوا عليه الدخول في الطاعة والحضور، وبذلوا له الأمان فأبى ذلك، وانهزم إلى جزيره الأبواب وهي ليست داخلة في مملكته ، وأمام شدة الحال انفض مَن حوله مِن أنصاره وطلبوا الأمان ودخلوا تحت الطاعة، فأمنوا وعاد المهاجمون إلى دنقلة وبعد ذلك تم تنصيب الملك الواصل من الأبواب السلطانية داود ابن أخ مرتشكين، وألبسوه التاج وحلفوه للسلطان، وحلفوا له أهل البلاد ، وتقرر عليه البقط المستقر أولاً ، وجرد عنده طائفة من العسكر[1].

---

[1] شلبي: أحمد، **موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية**، 258؛ مسعد: مصطفى محمد، **الاسلام والنوبة في العصور الوسطى**، 153.

[2] زقلمة: أنور، **المماليك في مصر**، 59

[3] الأطلاب: ومفردها طلب والطلب أصلا هو الأمير الذي له علم معقود وطبلخاناه ويخضع لأوامره مائتا فارس أو مائة أو سبعون فارساً وإذ شاع استخدام هذا اللفظ اصطلاحا في مصر والشام زمن الأيوبيين، صار يطلق على فئة من الجيش كثيرة العدد يتولى قيادتها أحد الأمراء، ينظر: المقريزي: أحمد، **المواعظ والاعتبار**، 1/ 862؛ النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 42.

[4] النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 42؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق3/ 773.

[5] ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 83/8

[6] النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/. 43.

[1] ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 8/ 91؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 401؛ النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/ ق2/ 752؛ ابن عبد الظاهر:محيي ، **تشريف الايام والعصور**، 154؛ عاشور: سعيد، **العصر المماليكي**، 85–86؛ بيبرس المنصوري: الدوادار، **زبدة الفكرة**، 9/ 66؛ المقريزي: أحمد، **المقفى الكبير**، 2/ 330.

لم يكد يمضي على خروج حملة السلطان قلاوون من السودان ثلاثة شهور حتى عاد سيمامون وقضى على الحامية وذبح الملك الجديد وجلس على عرش النوبة حتى وافاه الموت ولم يقو السلطان قلاوون على إرسال حملة ثالثة ضد هذا الملك العنيد[1]. وأمام واقع هذا الصدام الشرس بين المماليك وسيمامون ملك دنقلة ، يبدو أن الطرفين قد وصلا إلى النتيجة ذاتها وهي أنه لا بد من المفاوضات من أجل إقرار مسودة تفاهم تساعد في استقرار المنطقة ودوام العلاقات السلمية بين الطرفين ، وهذا ما أكده سلوك سيمامون الذى أعاد تجميع قواته واستعاد دنقله بعد رحيل الجيش المملوكي، وقتل الملك ونائبة جريس ، وكتب إلى السلطان المنصور قلاوون يطلب العفو ويتعهد بدفع الجزية [2] ولما كان السلطان المنصور قلاوون منهمكاً بأمور أكثر أهمية وهو يستعد لمهاجمة عكا فلم يكن لديه متسع من الوقت لتجهيز حملة أخرى إلى بلاد النوبة، فقبل طلب سيمامون فعفا عنه وأقره على ملكه وكتب نسخة الشروط التي تعهد بتنفيذها وحلف سيمامون عليها[3].

إن جولات الصراع هذه والتي خاضها المماليك ضد متمردي بلاد النوبة تظهر الإصرار، والتنظيم على ضبط خاصرة مصر الجنوبية والحيلولة دون مد جسور التواصل والتعامل بين سكان النوبة والفرنجة في بلاد الشام. وأمام شراسه المواجهة نجد أن سيمامون كان يعلم أن سلطنة المماليك لن تغفر له هذا السلوك وأنها لن تقف مكتوفة الأيدي عن ذلك الوضع فراح يحسن علاقاته بمصر، وأرسل مبعوثين محملين بالهدايا إلى القاهرة طالباً العفو، كما تعهد بأن يدفع الجزية المقررة على بلاده طبقاً لاتفاقية البقط، بل أنه أبدى استعداده لأن يدفع أكثر مما اتفق عليه [1]، وأرسل له الرقيق والتقادم عدةً كثيرةً [2]، وقد أقسم سيمامون يميناً أن لا تختلف

---

[1] زقلمة: أنور، **المماليك في مصر**، 60.

[2] المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ 215؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** م8/ 82؛ طقوش:محمد سهيل،**تاريخ المماليك في مصر والشام**، 179؛ عاشور:سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، 91؛ الهاشمي: عبد المنعم، **موسوعة تاريخ العرب**، 5/ 72-74.

[3] المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ ق2/ 749. 752. 753؛ القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 13/ 293؛ طقوش:محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر والشام**، 179.

[1] المقريزي: أحمد، **السلوك**، 1/ 752؛ ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** 8/ 92؛ عاشور، سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، 89؛ سعيد، ابراهيم حسن، **البحرية فيعصر سلاطين المماليك**، 99.

[2] النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 31/ 46.

هذه الشروط في جوهرها عما أقسمه شكنده، وقد زاد فيه شرطاً جديداً وهو ألا يتسلح أحد من الأهالي أو يحوز سلاحاً في الخفاء [1]، ويبدو من هذا الشرط أن السلطنه المملوكية أرادت أن تظل بلاد النوبة ضعيفة منزوعة السلاح حتى لا تفكر في الخروج عليها مرة ثانية، وقد رضي السلطان قلاوون بما عرضه عليه سيمامون، وقبل تعهداته، وأقره على ما بيده من بلاد [2].

ومن هنا يمكن القول إن المعاهدة والاتفاق بين السلطان المنصور بن قلاوون وسيمامون وما تضمنته من بنود واشتراطات تؤكد أن خصم المماليك عنيد، وأن الطرفين استجابا لنداء الطرفين المصالحة بعد جولات من الصراع أكدت أن الحاجة للمصالحة وتفعيل العلاقات على قاعدة الهدوء واستيعاب كل طرف للآخر، كانت سبباً في التوصل لهذا الاتفاق.

وأما فيما يتعلق بعلاقة السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ببلاد النوبة، فيبدو أنها كانت علاقات محدودة نظراً لانشغال الأشرف في تصفية الوجود الصليبي في بلاد الشام، حيث تذكر المصادر أن سيمامون في عهده تمرد على سلطنة مصر من جديد، ولم يرسل ما تعهد به من جزية وضرائب، فأرسل له الأشرف حملة كبيرة، ففر سيمامون كعادته من أمام هذه الحملة التي سارت حتى وصلت إلى جنوب السودان، حيث اختفى سيمامون ولم يظهر له أثر بعد ذلك، مما أوجب تعيين ملك جديد مكانه وهو بوديما (boudemma) وكان من الأمراء المسجونين بمصر قبل ذلك [3].

ولم يكن السلطان الناصر محمد أقل اهتماما ببلاد النوبة ممن سبقوه، ففي عهده سارت عدة بعوث حربية لجمع الجزية، وأغارت سلطات مصر على تلك الجهات وتحديداً إلى سواكن وغيرها لتأديب العرب الذين اعتادوا تخريب الصعيد ونهبه، والسعي لإخضاع بلاد النوبة إخضاعاً نهائياً، والتي طالما حاول الناصر أن يضمها لسلطان أمير مصري، وبقيت الحالة تتأرجح بين الاضطراب والهدوء مدة من الزمن، حتى رجعت إلى ما كانت عليه من الهدوء

---

[1] القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 12/ 290-291؛ سعيد: ابراهيم حسن، **البحرية في عصر سلاطين المماليك**، 99.

[2] ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر وديوان المبتدا والخبر**، 5/ 400؛ عاشور: سعيد، **العصر المماليك**، 89.

[3] ابن الفرات: ناصر، **تاريخ ابن الفرات** م8/ 82؛ المقريزي: أحمد، **السلوك**، 2/ 215؛ عاشور: سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، 90؛ شلبي: أحمد، **موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية**،258.

والسكينة [1] ويقول ابن خلدون: إن ملك بلاد النوبة بعد سيمامون آل إلى شخص يدعى (أي) ويقال انه توفي في عام (316هـ/1316م)[2]، وملك بعده في دنقلة أخوه كربيس أو(كرنبس) ولكن يبدو أنه وكآخر الملوك المسيحيين قد ظهر منه تنكر لسيادة مصر وذلك عام (716هـ/1316م) حيث امتنع عن تنفيذ معاهدة البقط[3] وأمام هذا السلوك المخالف للمعاهدات والاتفاقات رأى السلطان الناصر محمد أن الوقت قد حان لتعيين ملك مسلم على بلاد النوبة بعد أن كثر فيها المسلمون، حيث انتهز الناصر فرصة تمرد كرنبس فأرسل حملة بقيادة الأمير عز الدين أيبك، حيث اصطحبت الحملة معها أحد النوبيين المسلمين واسمه عبد الله برسنبو، وكان قد تربى في مصر واعتنق الإسلام، واعتقد الناصر أن تعيينه سيضع العلاقات بين مصر والنوبة في وضع جديد، وعندما أحس كرنبس برغبة السلطان هذه أرسل ابن اخته كنز الدولة بن شجاع الدين[4] إلى السلطان الناصر ومعه رسالة جاء فيها: "**إن كان مولانا السلطان يقصد أن يولي البلاد لمسلم، فهذا مسلم، وهو ابن أختي، والملك ينتقل إليه من بعدي**"[5]. ولم يسمع الملك الناصر لهذه الرغبة وعين برشنبو، ودارت عدة مناورات انتهت بأن استقر الملك لكنز الدولة الذي نشر الاسلام. وبإسلام هذه البلاد انتقلت العلاقات بينها وبين مصر إلى طابع جديد، هو طابع التعاون، والود، والتبادل الثقافي، والتجاري، وتوقفت الجزية بطبيعة الحال[1]. وهنا لا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة في مسألة الصراع وهي أن المماليك نظروا إلى بلاد النوبة المسيحية التي حكمها ملوك مسيحيون بشيء من الشدة والحذر الأمر الذي جعل سلاطين المماليك

---

[1] ماير: وليم، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، 92؛ زقلمه: أنور، **المماليك في مصر**، 60.

[2] ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 429.

[3] شلبي: أحمد، **موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية**، 259.

[4] كنز الدولة بن شجاع الدين بن فخر الدين مالك بن كنز، وقد عرف بني ربيعة ببني كنز، وهم بنو الكنوز الحاليون الذين يمتد وطنهم من أسوان في الشمال إلى كرسكو في الجنوب، وقد ظل بنو كنز يمثلون أقوى العناصر النوبية المستعربة في بلاد النوبة حتى نهاية الدولة المملوكية الثانية في مصر والشام عام 1517م على يد السلطان سليم العثماني ، ينظر: ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 4/ 58-59/288؛ ابن الاثير: علي، **الكامل في التاريخ**، 9/ 70؛ المقريزي: أحمد، **البيان والاعراب**، 50؛ مسعد:مصطفى **الاسلام والنوبة في العصور الوسطى**، 135. سرور: جمال الدين، **دولة بني قلاوون في مصر**، 155؛ محمود: حسن **الاسلام والثقافة العربية في افريقيا**، 324.

[5] النويري:أحمد، **نهاية الارب**، 30، 95-96؛ عاشور:سعيد، **العصر المماليك في مصر والشام**، 82.

[1] شلبي: أحمد، **موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارةالاسلامية**، 259.

ينظرون إلى بلاد النوبة على أنها ميدان جديد للجهاد، إلى جانب الميدان الفرنجي القديم في المشرق الاسلامي[1].

إن هذه العلاقة بين مصر المملوكية وبلاد النوبة والتي انتهت إلى دخولها في الإسلام وتراجع بعض بنود الاتفاقات التي أبرمت بين أطراف الصراع، يدلل بشكل واضح على أن الهدن والاتفاقات ليست بجامدة بل إنها قد تتغير انسجاما مع تطورات الميدان، والعنصر المهم في تغيير أي معاهدة أو هدنة، هو مستوى ومدى تحقق الأهداف التي كانت أساساً لتوقيع تلك الهدن[2]. وعليه فإننا نجد أنفسنا أمام عدد من النتائج المهمة، التي ترتبت على تبني المماليك لهذا الصراع، وفي ظروف حرجة، ومما سبق يتبين لنا ما يلي:

1. أثبتت الدولة المملوكية أنها الأقدر على صياغة الاتفاقات والهدن حتى في أشد الظروف، إذا ما تعلق الأمر بكسب الخصوم لجهة قطع الطريق على أية تحالفات مع الأعداء ولو بشيء من الثمن الباهظ.
2. أدركت الدولة المملوكية أن بلاد النوبة هي جزء مهم من فضاء الدولة المملوكية والتي لا بد من ربطها باتفاقات تبقيها كميدان سياسي واقتصادي مهم لدعم الخزينة المملوكية كونها من المناطق ذات الإمكانات والثروات التي لا استغناء عنها.
3. يلاحظ أن سلاطين الدولة أعطوا هذه البقعة الاهتمام نفسها، ولم يكن تراجع أو نكوص عن المسؤولية تجاه تلك المنطقة، وكان لسان حالهم يقول إنه لا يجوز للدولة حتى في أصعب الظروف أن تتخلى عن تحالفاتها والتزاماتها تجاه أي من الأصدقاء عبر الهدن والاتفاقات المرحلية التي تضمن على الأقل الحياد الإيجابي لتلك الجهات.
4. إن ما يدفع لقراءة اتفاق بيبرس مع بلاد النوبة بالتحديد، هو تأكيد حقيقة وأهمية عقد الهدن حتى مع الدول التي لا تخاض معها المواجهة مباشرة، وذلك لقطع الطريق أمام كل محاولات استغلال المحيط وتحشيده ضد الدولة المملوكية، خاصة وأن صلات الدين بين الفرنجة في بلاد الشام والنوبة المسيحية، كان يمكن لها أن تُفعّلى وتحيا لو أتيح

---

[1] عاشور: سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، 97.

[2] القلقشندي: عبد الله، **صبح الأعشى**، 5/ 277؛ ابن خلدون: عبد الرحمن، **العبر**، 5/ 429؛ عاشور: سعيد، **العصر المماليك في مصر والشام**، 97.

المجال للقوى الفرنجية أن تفعل ذلك، فكانت هذه الخطوة وهذه السياسة ذكية وعملية من جانب المماليك، وهذا ما دفع معظم زعماء المماليك البحرية لاحقاً للسير على ذات الخطى والنهج في النظر بأهمية إلى بلاد النوبة، وتقدير التداعيات الداخلية فيها، بما يبقى للمماليك سلطة الفعل المركزي من خلال هذه الهدن والاتفاقات.

وعليه يمكن استنتاج ما يلي:

- يمكن أمام التحديات التي كانت تواجه المماليك ظهر واضحاً أن الموقع الجيوسياسي لأرمينيا كان مهماً في فرض واقع الهدنة، والاتفاق مع حكامها نظراً لحساسية الموقع وأهميته من الناحية الاقتصادية، مما فرض على زعماء المماليك أخذ ذلك بعين الاعتبار.
- شكلت العلاقة مع سلاجقة الروم بالنسبة للمماليك جسراً مهماً ببعد تاريخي مهد الطريق أمام ظهور العديد من الدويلات التي جعلت من نفسها امتداداً طبيعياً لحكام المماليك في مصر.
- لقد أثبت حكام مصر المماليك ومن خلال سياستهم التي اتسمت ببعد النظر والتعامل مع أوروبا أنهم الأقدر على ممارسة سياسة التحييد والضبط للعديد من القوى الأوروبية التي كانت في مرحلة من المراحل عنواناً للحملات الصليبية على المشرق الإسلامي، فكان أن اتجه المماليك لصبغ العلاقات مع غرب اوروبا بصبغة تجارية جعلت من قضية التحييد منهجها، وهذا يدل أن تنبؤ وحذر المماليك مبكراً من ارتفاع وتيرة التناقض مع أوروبا بشكل يعزز انحيازها لجهة القوى المتعصبة في أوروبا والداعمة للحروب الإفرنجية، فكان خيار عقد الهدن والمعاهدات التجارية والاقتصادية مع زعماء أوروبا مع بعض الامتيازات الدينية وسيلة مكنت المماليك من قطع الطريق على العديد من محاولات البابا والكنيسة لقطع الصلات بين أوروبا والمماليك.
- وكذلك فعلت الدولة المملوكية مع زعماء قبرص، الذين شكلوا عناوين خطرة على مستقبل الوجود المملوكي بعد أن تحولت قبرص إلى ملجأ لكل غلات الفرنج المنسحبين من بلاد المشرق، فكان لدهاء المماليك وحنكتهم دوراًمركزياً في لجم أية تطلعات عدائية من جانب قبرص.

- إن شدة المواجهة بين المماليك وأعدائهم الفرنج والمغول لم تمنع سلطنة المماليك من التطلع لترتيب العلاقة مع بلاد النوبة كامتداد جغرافي مهم في مد مصر ببعض الاحتياجات فضلاً عن رغبة مماليك مصر في الحيلولة دون قيام وحدة حال بين بلاد النوبة المسيحية وقوافل الفرنج التي قد تجعل من تغذية النزعات الدينية عناوين إزعاج ومواجهة للدولة المملوكية في خاصرتها الجنوبية.

قد لا يتنبه الكثيرون لأهمية صوغ ونظم العلاقة مع الداخل، لحماية الجبهة الداخلية، لأن كثيراً من محطات التاريخ تؤكد أن التمردات الداخلية هي من يسهل نفاذ العدو وربما تشكل عنصراً مهماً في تغيير موازين القوى بشكل غير محسوب، وهنا تأتي أهمية الهدن مع الذات، وفي هذا السياق لعل من المفيد الإشارة إلى مسألة مهمة وهي أن عهد السلطان الناصر محمد وخاصة في الفترة الثالثة من حكمه قد شهدت تراجعاً في حجم التآمر والتمرد بعد إسلام أغلب القوى المغولية التي تحولت إلى الإسلام، وغدت مدافعة عنه، وهذا بالتأكيد لا يعني أن التناقضات الداخلية ستختفي بالكامل، لأن بيئات الحكم وطبيعة الأنظمة هي من تفرض وجود المعارضة الداخلية، والتي يمكن التعامل معها عبر صيغ تحالفية أشبه بالهدن والمعاهدات لكنها أقل تفصيلاً والتزاماً.

ولعل النتيجة الأهم في دراسة مجرى التمردات الداخلية أنها ساهمت في عملية الاستنزاف والإعاقة لمسيرة الدولة المملوكية من خلال تمردات أدت إلى تشتيت جهد المماليك فضلاً عن النهايات التي آلت إليها بعد مسلسل دموي من الصراع، وهذا يؤشر لجهة النتيجة الأبرز التي يمكن تكثيفها بالقول إن الهدن والمصالحات مع أطياف العمل الداخلي المختلفين والمتفقين يجب أن تكون من أولويات أجندة السلطة الحاكمة، ولا يجوز التعامل بتهاون أو استخفاف معها، وذلك خوفاً من تلقف الأعداء لها وتحويلها إلى عناوين استنزاف لن يكون من السهل دائما السيطرة عليها، لذا فإن معالجة حالات التمرد والعصيان لا يمكن أن تكون دائما بالعنف المضاد وردات الفعل، فلا بد من بقاء هامش للحلول السياسية وعبر كل أشكال الصيغ المهدئة والمتصالحة.

الخاتمة

ونخلص من هذه الدراسة إلى أهم النتائج التالية:-

- إن لغة التهادن أو عقد المعاهدات هي لغة قديمة في العلاقات بين المتخاصمين، وهي لغة لا تنم عن الضعف والانكسار غالبا.. بل هي لغة الدبلوماسية في ظل تعقيدات الصراع وهذا ما أكدته مسيرة دولة المماليك البحرية، التي جعلت من خطاب المهادنة والصلح وسيلة لتفكيك جدار الخصم، وإحداث شروخ الانكسار، وكأن المماليك بهذا المنهج أرادوا إيصال رسائل الإصرار على أن المواجهة مستمرة وأن الاستسلام بالمعنى المذل هو خارج نطاق القاموس المملوكي الذي جعل من حلقات الصراع والمواجهة عنواناً لوحدة المعسكر المملوكي حتى في ظل التناقض الداخلي.
- شكلت المرحلة الأولى من عمر الدولة المملوكية فرصة ذهبية لزعماء تلك المرحلة، لإعادة ترسيم خطوط الاتجاه الجديد في المواجهة بعيداً عن الشكل التقليدي الذي أسهم في إغراق المنطقة في بحر التناقضات الثانوية على حساب الصراع المركزي مع أعداء الإسلام وهذا طبعا اقتضى ظهور زعماء وقادة أخذوا على عاتقهم مسؤولية رفع وتيرة المواجهة بشكل فاعل وصلت من خلاله أوضح الرسائل للفرنج والمغول لاحقاً أن لا تهادن ولا تنازل عن ثوابت الوجود الإسلامي مهما كانت التحديات، وكأن هذا الاستهداف العدائي هو مبرر للوجود المملوكي لاحقاً، ولعل الرسالة الأبلغ في هذا السياق هي تلك التي وجهها السلطان المملوكي لاحقا لقولة الفعل المركزي في المواجهة، وإن خلت فترة حكمه من عقد الهدن والمعاهدات مع أعدائه، إلا أن نهجه الكفاحي أكد أن القوة هي التي ترسم سياسات وخرائط الدول وأن الهدن والمعاهدات ما هي إلا استراحات ضرورية لتصليب دوائر الفعل واستعادة زمام المبادرة.
- لقد شكل التحليل الموضوعي لفترة حكم السلطان الظاهر بيبرس وما تضمنته من هدن ومعاهدات أساساً قوياً لتشخيص ذاك الواقع بكل تداعياته، وما تضمنته من اتجاهات لعقد تلك الهدن ضمن ظروف ومعطيات موضوعية كانت تعيشها الدولة المملوكية، والتي كانت تفرض على السلطان أو القائد اتباع أفضل السبل والمناهج الحامية لمقدرات الأمة، عبر إعطاء المجال للمناورة، والتعرف لإمكانات وقدرات الخصم ليس فقط عبر المواجهة

العنفية، لا بل عن طريق هوامش المناورة التي تشكل في بعض الأحيان إدارة قياس عبر ردود الفعل.

- أكدت هذه الدراسة أن قدرات السلاطين المماليك كانت فائقة على التصور، حين مارسوا السياسة والحرب معا، دون تهادن.. حين لجأوا إلى سياسة تحييد الخصوم وإرباك سياساتهم، صانعين بذلك قواعد جديدة في العلاقات الدولية اعتمدت الحوار والأخلاق كأركان مهمة لتحقيق الأهداف، حينما صبغوا الصراع بنكهة دبلوماسية وعسكرية دون الفصل بين المنهجين في ظل سخونة منقطعة النظير لصراع مزدوج لم يكن للمماليك ان ينتصروا فيه لولا حكمة الزعماء وسعة الأفق في التعامل مع متغيرات الصراع.
- إن أهم ما ميز فلسفة المماليك في عقد الهدن والمعاهدات أنها كانت تركز على ما يخدم التوجه المملوكي بالبعدين المرحلي والاستراتيجي، فكان التركيز على المضمون والمدى الزمني متى كانت تخدم المرحلة انسجاما مع الظروف الموضوعية لدولة المماليك، وكذلك الفسخ والتنكر متى اقتضت الحاجة لإيصال الرسائل بالبعد الصدامي دون الارتهان لرؤية الخصوم، وكأن ضرورات الهدن والمعاهدات هي من كان يحدد الاستمرارية من عدمها.
- شكلت مضامين الهدن والمعاهدات من وجهة نظر المماليك ببعدها السياسي والاقتصادي القواعد الأهم في عقدها، وتحديداً في الفترة المتأخرة بعيداً عن الجمود أمام بعض الاختلافات حول بعض النقاط أو التفاصيل التي تتناول أحيانا بعضا من الجغرافيا أو النواظم الاقتصادية التجارية والسلوكية لكل الأطراف، وكأن المماليك بهذا السلوك أرادوا التأكيد على مفصلية دورهم في معادلات المنطقة التي كانت في مرحلة من المراحل تخضع لسياسات القوى المعتدية من إفرنج ومغول.
- لم تكن سياسات المماليك السلمية "من هدن ومعاهدات" تركز على شكليات الاتفاقات بل كانت تعدّ سلوكها هذا مقدمات مهمة لمنهج استراتيجي يحتاج لاختراقات ما في صفوف الخصم عبر الارباكات المتتالية لهم، وعبر تغيير حقيقي في ثقافتهم أن المنطقة لن تقبل غرباء سادوا بقوة البطش والعدوان، بمعنى تمتع سلاطين المماليك بإمكانيات التراجع والفسخ متى شعروا بتعارض الهدن والمعاهدات مع أي من خطاباتهم السياسية والكفاحية.
- يبدو أن منهج سلاطين المماليك في عقد الهدن والمعاهدات لم يكن منسجما مع واقع المضمون بقدر إيمانهم بالبعد التراكمي لها، وهذا ما أكده سلاطين المماليك بعد بيبرس

فمثلا في عهد السلطان المنصور قلاوون جاءت المعاهدات موجزة، وكأن ما سبق من معاهدات وهدن شكل قواعد ناظمة للعلاقات بين الأطراف مع إبقاء الباب مفتوحاً لأية ملاحق وإضافات تقتضيها ضرورات وظروف زمان ومكان عقد تلك الهدن والمعاهدات.

كما أن حيوية وقوة عقد الهدن والمعاهدات تختلف من مرحلة تاريخية لأخرى تبعاً لقوة وطبيعة الصراع، فمثلاً في عهد قلاوون يبدو أن قواعد الصراع قد تغيرت بعد أن بات كل طرف يعي حجمه في معادلة الصراع، بمعنى أن ذلك يؤثر أيضاً على القضايا التي تصبح محط الاهتمام، فبعد تحول المماليك لقوة الفعل المركزي وتراجع زخم الفرنجة أخذت المفاوضات والهدن تركز على قضايا هامشية حياتية لا خوف منها، ويبدو أن كثافة عقد المماليك للهدن والمعاهدات مع الفرنج أقام أية تحالفات قد يتجه لعقدها الفرنج مع المغول كقوة ما زالت تشكل خطراً على المماليك مقابل أفول نجم الفرنج في المنطقة بعد فقدانهم لمناطق النفوذ والتأثير.

- أظهرت الهدن والمعاهدات مع المغول اختلافاً في العقلية قياساً مع الفرنج، بمعنى أن عمومية أهداف المغول لم تكن لتخيف المماليك على عكس الفرنج المدفوعين للمنطقة بأهداف دينية واقتصادية ذات بعد استبدادي ودوام.
- يبدو أن المرحلة الأخيرة من عمر الوجود الفرنجي قد اتسمت بالضعف والارتباك نظراً لتمكن المماليك من اختراق الجبهة الاوروبية عبر مجموعة من السياسات الاقتصادية التي حولت جزءاً من الغرب لمستثمر يحذر الانزلاق إلى ميدان المواجهة الساخنة.
- شكل مفهوم الهدن والمعاهدات وسيلة ناجحة عند المماليك لصد الأخطار الداخلية والخارجية عبر استخدامهم لسياسة الشدة واللين حسب الموقف والظروف.
- إن عقد المماليك للهدن والمعاهدات مع أعدائهم أظهر الحاجة لأهمية تغيير قواعد وأصول الصراعات حتى لا يبقى الاستنزاف هو سيد الموقف.
- إن النقطة الأهم في هذه الدراسة والتي أكدتها محطات الصراع بين المماليك وأعدائهم أن الهدن والمعاهدات سواء طال عمرها أم قصر لا تستطيع إنهاء الصراع بين الخصوم خصوصاً إذا ما تعلق الأمر بالصراعات العقدية والفكرية التي لا تقبل بأنصاف الحلول لكنها تجعل من الهدن والمعاهدات مداخل لتحقيق الأهداف المرحلية كمقدمة للهدف الناجز.

اولا: المخطوطات

1. ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد (ت930هـ/1532م)، **نشق الأزهار في عجائب الأقطار**، مخطوط في المكتبة البريطانية تحت رقم: 7503، ويوجد نسخة مصورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية تحت رقم: 872، ورقة 68ب.
2. ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله (ت بعد 736هـ/1335م)، **درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان**، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم 4409 تاريخ.
3. ابن بهادر، محمد بن محمد، (عاش في القرن 9هـ/15م)، فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم 4977.
4. ابن حبيب، بدر الدين الحسن بن عمر، (ت779هـ/1377م)، **درة الاسلاك في دولة الأتراك**، الجزء الثاني، مخطوط في مكتبة الخزانة العامة – الرباط، رقم 34، يوجد نسخة مصورة عنه مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، تحت رقم 676م.
5. ابن خطيب الناصرية، علاء الدين أبو الحسن، علي بن محمد الجبريني، (ت 843هـ/1441م)، **الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب**، مخطوط بدار الاوقاف الإسلامية– حلب، رقم 1214، يوجد نسخة مصورة عنه بمركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الاردنية تحت رقم: 1167م.
6. ابن رسول الغساني، الملك الأفضل عباس، بن علي، بن دواد، بن عمر(ت 778هـ/1374م)، **نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون**، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم: 4946 تاريخ.
7. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (ت770هـ/1366م)، **نثر الجمان في تاريخ الأعيان**، 3 أجزاء ، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم: 1746 تاريخ.

ثانيا: المصادر والمراجع العربية

1. القرآن الكريم
2. ابن أبي الفضائل، مفضل (ت بعد عام 759هـ/1358م)، **النهج السديد فيما بعد تاريخ ابن العميد**، حققه وترجمه إلى الفرنسية بلوشيه، باريس، 1912م.
3. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت874هـ/1369م)، **النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة**، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، والترجمة، والطباعة، والنشر، القاهرة، (د.ت)، (16 جزء) .
4. –، **الدليل الشافي على المنهل الصافي** ، تحقيق: فهيم محمود شلتوت، مطبعة دار الكتب المصرية، ط2،القاهرة، 1998م، (جزءان).

   –، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج2، تحقيق: محمد محمد امين (وآخرون)، 1984م، (7أجزاء) .
5. –، **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة**، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد ، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م، (جزءان)
6. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ/1232م)، **الكامل في التاريخ**، دار الفكر العربي، بيروت، 1978، (11 جزء).
7. ابن الجزري، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت 738هـ / 1337م) ، **تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الاكابر والأعيان من أبنائه (المعروف بتاريخ ابن الجزري)** ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، صيدا، 1998م ، (3 أجزاء).
8. ابن الشحنة، أبو الفضل محمد بن الشحنة الحلبي الحنفي (ت890هـ/1485م)، **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب**، علق حواشيه: يوسف بن إليان سركيس الدمشقي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1909م.
9. –، **روض المناظر في علم الأوائل والأواخر** ، تحقيق: سيد محمد مهنى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997م .

10. ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس الملطي (ت685هـ/1286م)، **تاريخ مختصر الدول**، دار المسيرة، بيروت، (د.ت).
11. –، **تاريخ الزمان**، نقلة إلى العربية: اسحق أرملة، دار المشرق (د،ط)، بيروت، 1986م.
12. ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت1089هـ/1678م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط (وآخرون)، دار ابن كثير، دمشق، 1986م، (18 جزء).
13. ابن العميد، جرجس بن العميد بن أبي المكارم (ت672هـ/1273م)، **أخبار الايوبيين**، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، (د.ت).
14. ابن الفرات، ناصر محمد بن عبد الرحيم (ت 807هـ/1405م)، **تاريخ ابن الفرات، (تاريخ الدول والملوك)**، ، تحقيق: قسطنطين زريق، (وآخرون)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت)، (9 مجلدات).
15. ابن الفوطي ، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق تاج الدين أحمد (ت 723هـ /1323م)، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة** ، تحقيق: مهدي النجم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
16. ابن المغيزل، نور الدين علي (ت695هـ/295م)، **ذيل مفرج الكروب في اخبار بني ايوب**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية،ط1، صيدا، بيروت، لبنان، 2004م.
17. ابن الوردي، أبو حفص زين الدين عمر(ت749هـ/1349م)، **تتمة المختصر في اخبار البشر**، (تاريخ ابن الوردي)، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، 1970م، (جزءان).
18. ابن إياس، محمد أحمد الحنفي (ت930هـ/1523م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**،تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م، (5 أجزاء).
19. –، **نزهة الامم في العجائب والحكم**، تحقيق: محمد زينهم واخرون، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.
20. ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله (ت بعد 736هـ/1335م)، **الدرة الزكية في اخبار الدولة التركية**، تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة، 1971م.
21. – ، **الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر**، (ت 736هـ/1335م)، تحقيق: هانست رويمر، 1960، (9 أجزاء) .

22. –، **كنز الدرر وجامع الغرر**، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، (د.ت)،(9 أجزاء).
23. ابن أيبك الصفدي، أبو الصفا خليل (ت764هـ/1364م)، **الوافي بالوفيات**، اعتناء: وداد القاضي،ط2، (د.م)، 1993م، (30 جزء).
24. –،**أعيان العصر واعوان النصر**، تحقيق: فالح أحمد اليكور، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1998م، (4 أجزاء) .
25. –**تحفة ذوي الالباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب**، تحقيق: سعيد خلوصي (وآخرون)، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1992م، (جزءان)
26. ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد (ت 779هـ / 1377م) ، **رحلة ابن بطوطة، المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)** ، شرحه وكتب هوامشه ، طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، ط 2 ، بيروت ، 1992م.
27. ابن حبيب، بدر الدين الحسن (ت779هـ/1377م)، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، تحقيق: محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب، مصر، 1976م، (3 أجزاء).
28. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد (ت852هـ/1448م)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، (4 أجزاء) .
29. ابن حوقل، أبو قاسم النصيبي (ت367هـ/977)، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، (د.م)، (د.ت).
30. ابن خرداذبة، عبدالله بن عبدالله (ت 280هـ/ 893م)، **المسالك والممالك**، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).
31. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(808هـ/1406م)، **تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1971م،(7أجزاء).
32. ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي (ت809هـ/1406م)، **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، تحقيق: سمير طبارة، المكتبة العصرية، صيدا، 1999م.
33. –، **الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين**، تحقيق: محمد كمال عز الدين علي، عالم الكتب، الطبعة الاولى، بيروت، 1985م(جزءان).

34. –، **النفحة المسكية في الدولة التركية، من كتاب الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبةالعصرية، الطبعة الأولى، بيروت، 1999م.

35. ابن رشيد، محمد بن أحمد ، (ت591هـ/1194م)، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1996م.

36. ابن سباط، حمزة بن أحمد (ت926هـ/1520م)، صدق الأخبار، **تاريخ ابن سباط**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الجزء الأول، جرس برس، الطبعة الأولى، طرابلس، لبنان، 1993م.

37. ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل (ت 872هـ/ 1467م)، **زبدة كشف المماليك وبيان الطرق والمسالك**، تصحيح: بولس روايس، المطبعة الجمهورية، باريس، 1893م.

38. ابن شداد، عز الدين بن علي بن ابراهيم (ت684هـ/1285م)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق: يحيى عبارة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1978م.

39. –، **تاريخ الملك الظاهر**، اعتناء: أحمد حطيط، فرانز شتاينر، فيسبادن، 1983م.

40. – ، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، تحقيق: جمال الدين الشيال، (د.ن) ، ط1، (د.م)، 1964م.

41. ابن طولون الصالحي، محمد بن علي (ت953هـ/1549م)، **أعلام الورى ممن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، تحقيق: محمد دهمان، دار الفكر، ط2 ، دمشق ، 1984م.

42. –، **نقد الطالب لزغل المناصب**، تحقيق: محمد دهمان وخالد دهمان، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1992م.

43. ابن عبد الظاهر، محيي الدين (ت692هـ/1292م)، **تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور**، تحقيق: مراد كامل، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، 1961م.

44. –،**الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية**، تحقيق: ايكسل موبريج، السويد، 1902م.

45. –، محيي الدين (ت692هـ/1292م)، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر، الرياض، 1976م.

46. ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت 749هـ /1349م)، **التعريف بالمصطلح الشريف**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.
47. –، **مسالك الابصار في ممالك الامصار**، دولة المماليك الأولى، تحقيق: دوروثيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، 1986م.
48. ابن قدامة، موفق الدين عبد الله (620هـ/ 1223م)، **المغني**، تحقيق : محمد شرف الدين خطاب وزميليه، دار الحديث، القاهرة، 2004م.
49. ابن قيم الجوزية، **أحكام أهل الذمة**، دار الكتب العلمية، ط1،بيروت، 1995م.
50. ابن كثير، عماد الدين اسماعيل القرشي الدمشقي (ت774هـ/1372م)، **البداية والنهاية**، تحقيق: مصطفى العدوي، دار ابن رجب، المنصورة، 2004م، (14 جزء) .
51. ابن كنان، محمد بن عيسى بن محمود بن كنان الصالحي الدمشقي (ت 1153هـ /1740م)، **حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين**، تحقيق: عباس صباغ، دار النفائس، بيروت، 1991م.
52. –، **المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية**، تحقيق: حكمت اسماعيل (وآخرون) منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1992م.
53. ابن منظور، أبو الفضائل جمال الدين محمد بن مكرم(ت711هـ/1311م)، **لسان العرب**، دار صادر، دار بيروت للطباعة، بيروت، 1968م.
54. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/1298م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: جمال الدين الشيال، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، ط1،صيدا، بيروت، 2004م.
55. أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن الملك الافضل (ت732هـ/1331م)، ، **تقويم البلدان**، اعتنى بتصحيحه: رينود والبارون ديسلان، باريس، 1840م.
56. –،**المختصر في أخبار البشر** ، دار المعرفة، بيروت، (د.ت) (4 أجزاء) .
57. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله،(ت في القرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد**، 1994م، (مجلدين).

58. البرزالي، علم الدين أبو محمد القاسم (739هـ/1338م)، **المقتفى الكبير**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (ج1)، (ق1)، حوادث (681-698هـ) المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ت).

59. البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت739هـ/1838م)، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، 1955م، (3 أجزاء) .

60. البلاذري، أبو الحسن أحمد (ت279هـ/892م)، **فتوح البلدان**، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1988م.

61. بيبرس المنصوري، الأمير ركن الدين الدوادار (ت 725هـ/1324م)، ، **التحفة الملوكية في الدولة التركية**، نشر وتقديم، عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1987م.

62. -،**زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تحقيق: دونالدس ريتشارد، الشركة المتحدة للتوزيع ، بيروت، 1998م.

63. -، **مختار الاخبار**، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الدار اللبنانية، القاهرة، 1993م.

64. الجرجاني، علي بن محمد ، (ت816هـ/1422م)، **التعريفات**، مكتبة لبنان، بيروت، 1990م.

65. الحريري، أحمد بن علي بن أحمد (ت926هـ/1519م)، **الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين**، تحقيق: مهدي رزق الله أحمد، الإسكندرية، ط1،مصر،1986م.

66. الحميري، محمد عبد المنعم (ت900هـ/1494م)، **الروض المعطار في خبر الاقطار**، تحقيق: احسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م.

67. الدويهي، اسطفانيوس (ت1116هـ/1704م)، **تاريخ الازمنة**، نشره وعلق عليه: فرديناند توتل اليسوعي، منشور ضمن مجلة المشرق، السنة الرابعة والأربعون، 1950م، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1951م.

68. الذهبي، الحافظ شمس الدين محمد (ت 748هـ/1347م)، ، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام وحوادث 641-690**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1998م.

69. -،**سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، (د.م)، 2001م

70. –، **دول الإسلام**، تحقيق: حسن اسماعيل مروان (وآخرون) ، دار صادر، بيروت، 1999م.
71. –، **العِبر في خبر من غبر**، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد، الجزء الثالث، (من سنة 547–700هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1985م.
72. الزبيدي، محمد مرتضى (1213هـ/1898م)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، (10 أجزاء).
73. الزهري، أبو عبد الله محمد (ت في أواسط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، (د.ت).
74. السبكي، تاج الدين، أبو نصر عبدالوهاب (ت771هـ/1370م)، **معيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1948م.
75. السرخسي، محمد بن أحمد (483هـ/1159م)، **شرح كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني**، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1973م.
76. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ/1505م)، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، (جزءان) .
77. الشربيني، محمد بن محمد الخطيب الشربيني، (ت977م/1571)، **مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج**، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.
78. الشوكاني، محمد بن علي (ت1250هـ/1834م) ، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، (د.ت)، (جزءان) .
79. صالح بن يحيى (ت 840هـ / 1436م) ، **تاريخ بيروت (أخبار السلف من ذرية بحتر ابن علي أمير الغرب ببيروت)** ، تحقيق: فرنسيس هورس اليسوعي (وآخرون) ، دار المشرق، بيروت ، 1969م
80. الصفدي، الحسن بن أبي محمد (ت717هـ/1317م)، **نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك**، تحقيق: عمر بن عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، 2003م.
81. الصقاعي، فضل الله بن أبي الفخر (ت726هـ/1326م)، **تالي كتاب وفيات الاعيان**، تحقيق: جاكلين سوبله، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1974م.

82. الصوري، وليم، **الحروب الصليبية** ، (ج2،ج3) ، ترجمة وتعليق حسن شبلي، الهيئة العربية للكتاب، القاهرة ، 1994 (4 أجزاء)

83. الطباخ الحلبي، محمد راغب بن محمود (ت1370هـ/1951م)، **أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، ، ج2، ط2، تعليق وتصحيح: محمد كمال، دار القلم العربي، حلب، 1988م، (7 أجزاء) .

84. الطرسوسي، نجم الدين إبراهيم بن علي (ت758هـ/1356م)، **تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك**، تحقيق: رضوان السيد، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1992م.

85. العسقلاني المصري، شافع بن علي الكاتب (ت 730هـ / 1329م) ، **الفضل المأثور من سيرة الملك المنصور** ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1998م.

86. العصامي، عبد الملك بن حسين (ت 1111هـ / 1699م) ، **سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود (وآخرون) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998م .

87. العيني، بدر الدين محمود (ت855هـ/1451م)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(ج3)، حوادث (689-697هـ/1290-1298م)، (د.م) 1990.

88. الغزي، كامل بن حسين (ت 1351هـ/1933م)، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، المطبعة المارونية، حلب، (د.ت).

89. القرماني، أبو العباس أحمد ، (ت1008هـ/1599م)، **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المثنى، القاهرة، (د.ت).

90. القزويني، زكريا بن محمد ، (ت682هـ/1283م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، مكتبة صادر، بيروت، (د.ت).

91. القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين عبدالله بن أحمد (ت821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، شرحه وعلق عليه: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، (14 جزء) .

92. –، **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتب الإسلامية ودار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1982م.

93. –، **مآثر الأنافة في عالم الخلافة**، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، 1980م، (3 أجزاء)

94. الكاساني، أبو بكر بن مسعود (ت587هـ/1191م)، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1994م.

95. الكتبي، محمد بن شاكر ، (ت764هـ/1361م)، **عيون التواريخ**، (ج21، ج23) ، تحقيق: فيصل السامر (وآخرون(، دار الشؤون الثقافية، العراق، 1984م.

96. –، **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1974م، (5 أجزاء) .

97. مجهول (ت 742هـ /1341م) ، **تاريخ سلاطين المماليك** ، تحقيق: زيتر ستين ، ليدن ، بريل ، 1919م .

98. المقدسي، محمد بن أحمد (390هـ/1000م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق: دي خويه، بريل، ليدن، 1906م، نسخة مصورة، القاهرة، 1990م.

99. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت845هـ/1441م) ، **التبر المسبوك في تواريخ الملوك**، تحقيق: عمر العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1996م .

100. –، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، الجزء الاول، تحقيق: محمد عطا، منشورات: محمد علي بيضون، مكتبة العلم، 1997م، (8 أجزاء) .

101. –، **المقفى الكبير** ،(ج2)، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي ، 1911م، (4 أجزاء).

102. –، **المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، جزءان، دار صادر، بيروت، (د.ت).

103. النويري، شهاب الدين أحمد (ت732هـ/1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، 31جزء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (جزء29)، تحقيق: محمد ضياء الدين الريس ومحمد مصطفى زيادة، (ج30)، تحقيق: محمد عبد الهادي شعيرة ومحمد مصطفى زيادة، ج31، تحقيق: الباز العريني وعبد الهادي الاهواني، 1992، (31 جزء).

104. اليافعي، أبو محمد عبد الله (ت 768هـ/1366م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في ما يعتبر من حوادث الزمان**،(ج2) ، مؤسسة الاعلمي، بيروت، 1970م.
105. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي الرومي (ت626هـ/1228م)، **معجم البلدان**، خمسة أجزاء ، دار الفكر، دار صادر، بيروت، 1957م.
106. اليونيني، قطب الدين موسى (726هـ/1326م)**ذيل مرآة الزمان، بعناية وزارة التحقيقات المكتبية للحكومة الهندية**، دار الكتاب الاسلامي، ط2، 1998م.

المراجع العربية

1. أبو عليان، عزمي، **مسيرة الجهاد ضد الصليبيين في عهد المماليك**، دار النفائس ، الأردن ، 1995م.
2. الأمين، حسن، **جنكيزخان وهولاكو (الغزو المغولي للبلاد الإسلامية من بغداد إلى عين جالوت)**، دار النهار للنشر، بيروت، ط2، 1938م.
3. الأمين، حسن، **غارات صليبية على مصر وبلاد الشام**، دار قتيبة، (د.م)، ط1، 2000م.
4. بدر، مصطفى طه، **مغول إيران بين المسيحية والإسلام**، دار الفكر العربي (د.م)، (د.ت).
5. برجاوي، سعيد، **الحروب الصليبية في المشرق**، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1984م.
6. البعلبلكي، ميخائيل موسى، **تاريخ بعلبك**، المطبعة الأردنية، بيروت، (د.ت).
7. البقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1983م.
8. البيشاوي، سعيد (وآخرون)، **تاريخ الحروب الصليبية**، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2004م.
9. تدمري، عمر عبد السلام، **تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور**، مطابع دار البلاد، ط1، طرابلس، لبنان، 1978م.
10. توفيق، عمر كمال، **الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، دراسة تحليلية وثقافية في التاريخ الدبلوماسي (491-690هـ/1097-1291م)**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986م.

11. جبران نعمان، **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، مؤسسة حمادة، ط1، الأردن، إربد، 2000م.
12. حجة، شوكت، **العلاقات بين دولة المماليك الاولى وايلخانية فارس**، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، إربد، الاردن، 2005م.
13. الحداد، محمد حمزة، **السلطان المنصور قلاوون**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1998م.
14. حسن، إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996م.
15. حسن، علي إبراهيم، **دراسات في تاريخ المماليك البحرية**، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، 1967م.
16. حسين، حسن عبد الوهاب، **تاريخ جماعة التيوتون في الأراضي المقدسة**، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 1989م.
17. حسين، حميدي عبد المنعم، **دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، دار المعرفة الجامعية، السويس، 2000م.
18. حسين، عدنان السيد، **العلاقات الدولية في الإسلام**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2006.
19. حطيط، أحمد ، **تاريخ لبنان الوسيط، (دراسة رحلة الصراع المملوكي – الصليبي) (658-690هـ/1260-1291م)**، ط1، منشورات دار النجار، بيروت، 1986م
20. –، **قضايا من تاريخ المماليك، السياسي والحضاري**، الفرات، 2003م.
21. –، **المدلول التاريخي لنصوص الهدن والمعاهدات المعقودة بين المماليك والفرنج**، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).
22. حمادة، محمد ماهر ، **وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي**، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1979م .
23. حمزة، عادل عبد الحافظ، **نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.م)، 2000م.
24. الخطيب، إبراهيم ياسين، **تاريخ المغول والمماليك**، مؤسسة شرين، عمان، 1993م.

25. دحلان، السيد أحمد بن زيني، **الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية**، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، 1968م.
26. رستم، أسد، **الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب**، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، ط2، 1988م.
27. رشاد، محمد فؤاد، **قواعد تفسير المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي**، دار الفكر الجامعي، ط1، الاسكندرية، 2007م.
28. زقلمة، أنور، **المماليك في مصر**، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ت).
29. زكار، سهيل، **فلسطين في عهد المماليك**، الموسوعة الفلسطينية، مج2، بيرت، 1990م.
30. سالم، عبدالعزيز، عبد العزيز، **تاريخ الأيوبيين والمماليك**، الناشر، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1997م.
31. –، عبد العزيز، **تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1986.
32. –، **طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1986م.
33. سرور، محمد جمال، **دولة بني قلاوون في مصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947م.
34. سعيد، إبراهيم حسن، **البحرية في عصر سلاطين المماليك**، دار المعارف، الإسكندرية، 1983م.
35. سلطان، حامد، **أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية**، دار النهضة، ط1، (د.ت).
36. سليم، محمد رزق، **عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي**، مكتبة الآداب، القاهرة، 1962م.
37. شفيق، محمود، **المماليك البحرية وقضاؤهم على الصليبيين**، الناشر، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (د.ت)، 2010م.
38. شكري، محمد عزيز، **الوجيز في القانون الدولي العام مقارناً بأحكام الفقة الإسلامي**، منشورات جامعة دمشق، ط3، 1992م.
39. الشيال، جمال الدين، **تاريخ مصر الإسلامية**، دار المعارف، الإسكندرية، 1967م.

40. الصوافي، طالب، **القلاع والحصون في شمال فلسطين في فترة صراع الفرنج الإسلامي**، (492-691هـ/1099-1291م) مؤسسة الأسوار عكا، 2000.
41. الصياد، فؤاد عبد المعطي، **الشرق الاسلامي في عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكو)**، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، 1987م.
42. -، **المغول في التاريخ**، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م.
43. الطراونة، طه ثلجي، **مملكة صفد في عهد المماليك**، دار الآفاق، بيروت، 1982م.
44. طقوش، محمد، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، دار النفائس، القاهرة، 1999.
45. عاشور، سعيد عبد الفتاح، **بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، بيروت، (1422هـ/2002م).
46. -، سعيد، **الحركة الصليبية**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1963م.
47. -، سعيد، **الظاهر بيبرس**، الهيئة المصرية العامة، 2001م.
48. -، سعيد، **العصر المماليكي في مصر والشام**، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976م.
49. -، سعيد، **قبرص والحروب الصليبية**، القاهرة، 1957م.
50. -، سعيد، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).
51. عاشور، فايد، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى**، دار المعارف، القاهرة، 1967م.
52. العبادي، أحمد مختار، **في التاريخ الأيوبي والمملوكي**، مؤسسة شباب الجامعة، (د.ت).
53. -، أحمد مختار، **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام**، دار النهضة العربية، بيروت، 1969م.
54. عبد الحليم، رجب محمد، **انتشار الإسلام بين المغول**، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، (د.م)، 1986م.
55. عدوان، أحمد ، **العسكرية الإسلامية في العصر المملوكي** ، دار عالم الكتب ، الرياض ، 1985م .
56. العريني، السيد الباز،- **الشرق الأدنى في العصور الوسطى والأيوبيون**، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).

57. –، **المغول**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.
58. العسلي، بسام، **الظاهر بيبرس ونهاية الحروب الصليبية**، دار النفائس، ط، بيروت، 1992م.
59. –، **فن الحرب الاسلامي أيام الحروب الصليبية**، مح4، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1988م.
60. عطا الله محمود، علي، **نيابة غزة في العهد المملوكي**، دار الآفاق الجديدة، بيروت ، 1406هـ/1986م .
61. عطا، زبيدة، **بلاد الترك في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت).
62. علي ، محمد كرد ، **خطط الشام**، ج2 ، المطبعة الحديثة، دمشق، 1925م، (6 أجزاء).
63. علي، السيد علي، **العلاقات الإقتصادية**، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).
64. عمران، محمود سعيد،– **المغول والأوروبيون والصليبيون وقضية القدس**، دار المعرفة الجامعية، 2004م.
65. –، **المغول وأوروبا**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (د.ت).
66. عوض، محمد مؤنس، **تاريخ الحروب الصليبية (التنظيمات الدينية الحربية في مملكة بيت المقدس اللاتينية القرنين 6–7 هـ/12–13م)** ، تقديم: سعيد البيشاوي، ط1، دار الشروق ، رام الله ، 2004م .
67. غوانمة، يوسف،– **التاريخ السياسي لشرقي الأردن في العصر المملوكي (المماليك البحرية)**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 1982م.
68. –، **معاهدات الصلح والسلام بين المسلمين والفرنج**، دار الفكر، ط1، عمان، الاردن، 1995م.
69. فهمي، عبد السلام، **تاريخ الدولة المغولية في إيران**، دار المعارف، القاهرة، 1981م.
70. قاسم، عبده قاسم، **عصر سلاطين المماليك**، دار الشروق، القاهرة، 1994م.
71. القزاز، محمد صالح، **الحياة السياسية في الفرات في عهد السيطرة المغولية**، مطبعة القضاء والنجف، 1970م.
72. ماهر، سعاد، **البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية**، المكتب العربي للطباعة والنشر ،مصر، 1967م.
73. مسعد، مصطفى محمد، **الإسلام والنوبة في العصور الوسطى**،القاهرة، 1960م.

74. المعاضيدي، خاشع، **تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي**، وآخرون، (د.ت)، (ط.م)، ط2، 1986.

75. مهدي، شفيق، **مماليك مصر والشام**، الدار العربية، (د.م)، 2008م.

76. النداف، محمد زكريا، **الاخلاق السياسية للدولة الإسلامية**، دار القلم، دمشق، ط1، 2006م.

77. نسيم، جوزيف ، **العدوان الصليبي على بلاد الشام، دار النهضة العربية**، بيروت، 1985م.

78. النشار، محمد محمود،**علاقة مملكتي قشتالة وأرغون وسلطنة المماليك (658هـ/1259م)**، مؤسسة عين للدراسات، القاهرة، 1997م.

79. الهاشمي، عبد المنعم، **موسوعة تاريخ العرب عصر المماليك والعثمانيين**، دار ومكتبة الهلال، دار البحار، بيروت، 2006م.

80. هلال ،عادل، **العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي**، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997م.

81. اليوسف، عبدالقادر، **علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر**، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1969م.

ثالثا: المعاجم والموسوعات

1. أبو حجر، آمنة، **موسوعة المدن العربية**، دار اسامة، عمان، 2003م.

2. البستاني، بطرس، **دائرة المعارف الإسلامية**، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، تهران، (دون تاريخ).

3. البقلي، محمد قنديل، **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م.

4. التونجي، محمد، **المعجم الذهبي**، دار العلم للملايين، بيروت، 1868م.

5. الخطيب، مصطفى عبد الكريم، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

6. الدباغ، مصطفى مراد، **مؤسسة بلادنا فلسطين**، الجزء الأول قسمان، دار الهدى، (د.م)، (د.ت)، (10 أجزاء).

7. دهمان، محمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م.
8. شراب، محمد حسن، **معجم بلدان فلسطين**، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، عمان، الأردن، 1416هـ/1996م.
9. شلبي، أحمد ، **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، ط6، 1986م.
10. الفيروز أبادي، مجد الدين محمد ، (ت817م) **القاموس المحيط**، حققه : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، 1987م.
11. الكيالي، عبد الوهاب (وآخرون)، **المؤسسة السياسية**، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979م.
12. **الموسوعة الفلسطينية**، م2، ط1، دمشق، 1984م.

الرسائل الجامعية

1. إسماعيل، اكتمال، **الآثار الاجتماعية والاقتصادية للحملات المغولية على بلاد الشام** (1250هـ/1400م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة دمشق، 1994م.
2. الحروب، محمد، **دور المماليك في تصفية الوجود الصليبي من فلسطين وبلاد الشام، (648-690هـ / 1250 -1291م)** ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة عين شمس وجامعة الأقصى ، 2009.

الدوريات

1. إسكندر، فايز، **الأشرف خليل بن قلاوون وتحرير قلعة الروم، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط**، مج1، ق1، جامعة عين شمس، القاهرة، الصفحة 76، 2000-2001.
2. جبران، **نعمان، محاولات المغول (إيلخانية فارس) للتحالف مع القوى الأوروبية لاقتسام بلاد الشام**، مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد 20، جامعة قطر، 1997م.
3. الحجي، حياة ناصر، **العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القبجاق**، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثانية، 1981م.
4. حطيط، أحمد ، **الكارمية وتجارة الكارم في عصر المماليك**، مجلة الفكر العربي، العدد54، 107م.
5. عبد المجيد ، زغلول، سعد ، **الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم**، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد ، 10 ، 1965م .
6. ابن العبري، (**تاريخ الدول السرياني**)، مجلة الشروق، العدد50، صفحة 136، 1956م.

المصادر والمراجع الفارسية

1. ابن وصيف شاه (ت596هـ/1199م)، جواهر البحور **ووقائع الأمور وعجائب الدهور في أخبار الديار المصرية المعروف (فضائل مصر وأخبارها)**، تحقيق: محمد زينهم،الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2002م.
2. إقبال عباس، **تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية**، نقله عن الفارسية: عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2000م.
3. آيتي، عبدالحميد، **تحرير وصاف (وصاف الحضرة)**، انتشارات بنياد فرهنك، إيران، تهران، 1346هـ.
4. البدليسي، شرف خان، **شرفنامة**، ترجمه إلى العربية، محمد علي عوني، دار إحياء الكتب العربية ،(د.م)، 1962م، (جزءان).

5. رشيد الدين، فضل الله بن عماد الدولة الهمذاني(ت717هـ/1317م) ، **جامع التواريخ، تاريخ المغول في ايران(تاريخ هولاكو)،مج2**، ج2، من مقدمة لكاترمير، ترجمة محمد صادق نشأت، (وآخرون)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي،القاهرة، 1960م.
6. قزويني، حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر (750هـ/1349م)، **نزهة القلوب**، بسعي واهتمام وتصحيح: غي لسترانج، مطبعة بريل، ليدن، 1913م.
7. كريم الله، أبرار، **من هم التتار**، ترجمة: رشيدة رحيم الصبروتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م.
8. ميرخواند، محمد خاوند شاه بلخي (ت903هـ/1496م)، **روضة الصفا**، تهذيب وتلخيص: عباس رياب، انتشارات علمي، تهران، ط2، 1358م.

المصادر والمراجع الاجنبية المعربة

1. أرنولد، توماس، **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م.
2. باركر، آرنست، **الحروب الصليبية**، ترجمة، الباز العريني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1967م.
3. براور، يوشع، **الاستيطان الصليبي في فلسطين (مملكة بيت المقدس)**، ترجمة عبد الحافظ البنا، عين للدراسات، الطبعة الأولى، القاهرة، 2001م.
4. براون، إدوارد جوانفيل، **تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي**، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة،مصر، 1954م.
5. بولو، ماركو، **رحلات ماركو بولو**، ترجمة: عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م.
6. جروسيه، رينيه، **الحروب الصليبية، (صراع الشرق والغرب)**، ترجمة عن الفرنسية، أحمد إيبش، دار قتيبة، ط1، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، 2002م.
7. جوانفيل، جان دي، **مذكرات جوا لفيل (القديس لويس، حياته وحملاته على مصر والشام)**، ترجمة، حسن حبشي، دار المعارف ، القاهرة، 1968م.

8. حتى، فيليب، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين** ، ترجمة كمال اليازجي ، دار الثقافة ، بيروت ، 1959م .

9. خسرو، ناصر ، **سفرنامة**، ترجمة أحمد الخشاب، تصدير: عبد الوهاب عزام ، الهيئة المصرية للكتاب، ط2 ، القاهرة ، 1413هـ /1993م .

10. رانسيمان، ستيفن، **تاريخ الحروب الصليبية**، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1981م.

11. رايلي، سميث، **الإستبارية (فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص)، (1000هـ / 1310م)** ، ترجمة : صجى الحابي، دمشق، دار طلاس، 1989م .

12. شبولر، **العالم الإسلامي في العصر المغولي**، ترجمة: خالد أسعد عيسى، دار حسان للطباعة والنشر، القاهرة، 1994م.

13. شبولر، بارتولد، **المغول في التاريخ**، ترجمة: يوسف شلب الشام، دار طلاس للدراسات، سوريا، 1989م.

14. فيشل، والتر، **لقاء ابن خلدون لتيمورلنك**، ترجمة: محمود توفيق، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1952م.

15. كازانوفا، بول ، **تاريخ ووصف قلعة القاهرة** ، ترجمة: أحمد دراج ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، 1974.

16. كاهن، كلود، **الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية**، ترجمة أحمد الشيخ، سينا للنشر، القاهرة، 1995م.

17. لام، هارولد، **جنكيز خان وجحافل المغول**، ترجمة: متري أمين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1962م.

18. لامب هارولد، **شعلة الإسلام، قصة الحروب الصليبية**، ترجمة محمود عبد الله يعقوب، مكتبة المتنبي، بغداد، 1967م.

19. لسترينج، كي، **بلدان الخلافة الشرقية**، ترجمة فرنسيس وعواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م.

20. لويس، آرشيبالد، **القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.م)، (د.ت).

21. ماير،هانس، **تاريخ الحروب الصليبية**، ترجمة: عماد الدين غانم، مجمع الفاتح للجامعات، طرابلس، 1980م.

22. مولر، فولفغانغ، **القلاع أيام الجروب الصليبية**، ترجمة: محمد وليد الجلاد، مراجعة سعيد طيار، دار الفكر بدمشق، ط2، 1984م.

23. موير، وليم، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، ترجمة: محمود عابدين وسليم حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.

24. هايد، ف، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، (ج1)، ترجمة: أحمد محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م.

Sources: المراجع الاجنبية

1- Grosset Rene, Histoire Des Croisades, ET Du Roy, France, De Jerusalem Librarie Plon, Paris.
2- Holt, P.M, the Age of the Crusades, Longman, London, New York.
3- Richard, Jean, The Latin Kingdom of Jerusalem, translated by Janet Sharlys, Oxford, New York, 1979.
4- Stevensons, W.B, the Crusaders in the East, Cambridge, London, 1907.
5- Lane, Poole, S, History of Egypt in the Middle Ages, London, 1925
6- Philips, E.D, the Mongols, London, 1969.
7- Holt, P.M, the Cambridge History of Islam, Cambridge University Press, Cambridge, 1970.
8- Atiya, Egypt and Aragon , Leizpzig 1938.
9- Morgan, David, Mongols and Mumluks, the Mamluk wars, 1260-1281, Cambridge, 1995.
10- Muir, (Sir William), the Mamluk or Slave Dynasty of Egypt in 1250.
11- Heyd, HISTOIRE DU Commerce Du Levant Aumayan Age.
12- Hanotaux, Histoire De La Nation Egyptienne, Vol. IV.

Abstract:

This study espouses an important and a sensitive era from the Mamlouks regime, which is a natural heir for the Ayyubid Government during the presence of the Crusaders and their attempts to reign over that area dubbed as the Levant and Egypt. The study also sheds light on how both the Mughalese and the Crusaders conquered the area through several wars that drained the area's resources and divided it to several small Dynasties and Emirates. Moreover, this study shows the important role the Mamlouks played in defending and liberating this area from the dangers of both the Crusaders and the Mughalese conquers.

The study also aims at introducing the most important treaties and truces between the Mamlouks, the Crusaders and the Mughalese in addition to the fact that how these treaties and truces impacted the ongoing struggle between these forces. For example, the first chapter displays the rise of the Mamlouks Sultanate, and the treaties this Sultanate held with the Crusaders, while the second chapter analyses the treaties and the truces between the Mamlouks and the Mughalese. In these two chapters, the treaties and the truces held show how the Mamlouks were able to contain the dangers that threaten the Levant area and Egypt. Above all, both chapters show how conquerors absolute power corrupts absolutely and they will never prevail. These chapters also show the important results of the treaties and the truces held in addition to the fierce and the bloody wars that took place in between truces, which led to the revocation of many truces held and so forth and so on. On the other hand, the third chapter comprises the main focus of the study, for it not only displays the relationships between the Mamlouks in the Levant and Egypt area and all the outside forces that strives to dominate over this area, but it also tackles the core of the treaties held and their impact on the ongoing struggle. For instance, this chapter espouses the treaties between the Mamlouks, the Armenians, and the Byzantines in addition to the Roman Seljuks, who all had either direct or indirect impact on the ongoing struggle in that region. Another example of the importance of the third chapter penetrates when it shows how the Mamlouks could establish with Western Europe. That is because the study emphasizes how Western Europe had a big impact on the ongoing struggle in the region by supporting the Crusaders in conquering the

Levant area and Egypt. Western Europe, as the third chapter, is clearly playing both a direct and an indirect in supporting the Crusaders.

However, Western Europe, despite all of the support it was backing up the Crusaders with, it always maintained good relationships with the Mamlouks for political and economical and even religious interests. As a vivid example, the Europeans took care of the religious minorities in the region such as the Dominican minority. In the end, the chapter discusses some of the major conflicts between the Mamlouks and the Nawba region, for it was a strategic area in combating both the Mughalese and the Crusaders. To sum up, the study eventually shows how important the treaties and the truces held between the Mamlouks, the Crusaders and the Mughalese helped the formers in dominating over the Levant and Egypt area. These treaties and truces were taken by the Mamlouks as a break from war which enabled them to continue war and drive the Crusaders out of the region.